



أسرار الصلاة

الشيخ حبيب الكاظمي

الطبعة: الاولى . ١٤٣٩ هـ

الناشر: نور المعارف

الإخراج الفني: السيد محمّد رضا الحكيم

المطبعة: نينوا ـ قم

الكميّة: ١٠٠٠ عدد

نور المعارف للطباعة والنشر:

ايران: قم ، شارع معلم ، مجمع ناشران ، رقم ٥٠٨

الهاتف: ‎+٩٨٢٥٣٧٨٤١١٣٣‎ الجوال: ‎+٩٨٩١٠١١٠٤٥٣٨‎

مراكز التوزيع:

ايران: قم ، شارع سميّة، فرع ١٢، حوزة الأطهار (ع) التخصصية

الهاتف: ‎+٩٨٢٥٣٧٧٤٥٢٨١‎

النجف الأشرف: شارع الإمام الصادق (ع) ، فرع مصرف الرشيد ،

مقابل مكتب السيد الحائري ، مجمع المعارف ، الهاتف: ٠٧٨٠٩١٨٠٤١٥

لبنان: بيروت ، الرويس ، شارع الرويس، بناية ناصر ، دار الولاء

الهاتف: ‎+٩٦١١٥٤٥١٣٣‎ الجوال: ‎+٩٦١٣٦٨٩٤٩٦‎

أسرار الصلاة

الشيخ حبيب الكاظمي

نور المعارف
للثقافة والتطوير

سرشناسه: کاظمی، حبیب، ۱۳۳۶

عنوان: أسرار الصلاة؛

تکرار نام پدیدآور: حبیب الکاظمی

مشخصات نشر: قم: نور معارف، ۱٤۳۹هـ = ۱۳۹٦

مشخصات ظاهری: ۳٦۰ص.

شابک: ۷-۱-۹۸٦٤۳-٦۰۰-۹۷۸

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: کتابنامه

یادداشت: عربی

موضوع: نماز

موضوع: نماز - فلسفه

رده‌بندی کنگره: ۱۳۹٦، ٥ الف ۲ ک / ۲ / ۱۸٦ Bp

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۳٥۳

شماره مدرک: ٤۷۸۹٥۳۳

فهرس المحتويات



مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

في خضم التسارع التكنلوجي وتعدد وسائل الاتصال، أمسى القارئ بأمس الحاجة إلى المناهل الرصينة التي يستقي منها المدد الفكري المتمثل بالمنشورات المكتوبة والتي لاتزال لها الصدارة عند المثقف العربي.

مهمة التصدي لتوفير المناهل العلمية والمصادر الفكرية، مسؤولية لابد من التصدي لها بشكل مدروس؛ للحفاظ على التراث الفكري وتطوير الأطروحة العلمية وتقديمها بأيسر سبلها وأبهى صورها للقارئ الكريم.

وقد أخذت مؤسسة نور المعارف هذه المسؤولية بالتصدي لنشر الكتب الأخلاقية والدينية التي يحتاجها القارئ الكريم، لاسيما في هذا الوقت الذي كثر فيه التأليف وتعددت مصادر النشر حتى أمسى القارئ أمام آلاف العناوين المطبوعة لايعلم غثها عن سمينها، مع غياب الرقابة العلمية الرصينة التي تحمل في صميمها المسؤولية الشرعية والأخلاقية في تقديم المائدة الفكرية للقراء الكرام.

إن منهج مؤسسة نور المعارف في التواصل مع القارئ الكريم يتمثل في الأمانة بتقديم الكتب الرصينة والأطروحات الفكرية التي تنبثق من فكر آل محمد صلى الله عليه وآله، تحت إشراف دقيق ومراجعة لكل مايحمله

الكتاب المنشور من أطروحة فكرية.

حيث نقدم في هذا الموسم للقارئ الكريم مجموعة عناوين لكتب جديدة بأطروحة فكرية سلسة يأنس بها المطلع ويحصد من كنوزها ما يسعه إناءه.

وبين يدي القارئ الكريم نقدم هذه المجموعة لمؤلفها سماحة المربي الشيخ حبيب الكاظمي في العناوين التالية:

أسرار الحج

أسرار الصلاة

أسرار الصيام

ونعد قارئ الكريم بمزيد من الطبعات الأخلاقية والفكرية التي ستقدمها مؤسسة نور المعارف، سائلين المولى أن يجعلنا من الذين يحملون شعلة الفكر المحمدي لطالبيه، أملين أن نكون عند حسن ظن القارئ الكريم.

دار نور المعارف

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الأمين وآله الطيبين الطاهرين.

إن الصلاة أجمل وقفة يقفها العبد بين يدي ربه، وهو القرآن الصاعد بل وفي ضمنها القرآن النازل، وفيها يجمع العبد بين الحديث مع الرب، وحديث الرب معه. وخير ما يجسد لنا هذه العلاقة الربانية، هو قول الإمام الرضا عليه السلام حيث يصف الصلاة قائلا: «إنّ الصلاة أفضل العبادة لله، وهي أحسن صورة خلقها الله. فمَن أدّاها بكمالها وتمامها، فقد أدّى واجب حقّها، ومَن تهاون فيها ضُرب بها وجهه»، والملفت في هذه الرواية هو بيان طرفي السلب والإيجاب: فمن أدّاها بكمالها وصل الى كماله المنشود، ومن تهاون فيها لم يُحرم القبول فحسب، وإنما يضرب بها وجهه، كناية عن إعراض الله تعالى عنه.

ومن هذا المنطلق أحببنا أن يتم تدوين سفر جامع لآداب الصلاة ـ بعد ملاحظة جلّ ما كتب في المجال قديما وحديثا ـ فكان هذا الكتاب الذي بين يديك، جامعا ـ بتوفيق الله تعالى ـ لكثير من أسرار هذه الفريضة التي ما أعطيناها حقها، والحال أن كل شيء من أعمالنا تبع لها، كما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام.

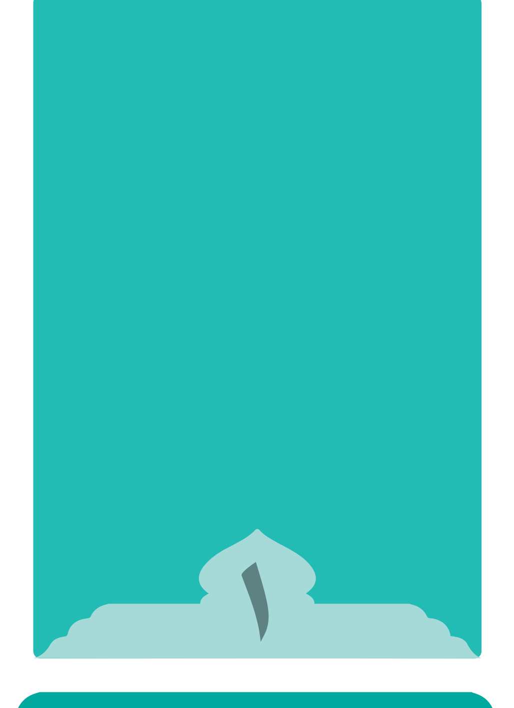
وقد حاولنا بحمد الله تعالى، أن نأتي بما تيسر من الروايات المناسبة لكل فعل من أفعال الصلاة: بدءا بالطهور، وختما بالتعقيب، بل لكل ما يلحق بها من صلاة الجماعة وصلاة الليل، وذلك بعد مراجعة الآيات المتناولة للصلاة في القرآن الكريم، و معظم المصادر الروائية في هذا الباب، كما أحببنا أن تكون طريقة العرض فيه على شكل نقاط محددة، بدلا من السرد والإسهاب، لتكون كل فقرة فيه موردا للتأمل والتفكر.

وعليه فلا مانع من أن يكون هذا الكتاب في مصلى المؤمن بين يديه، ليكون التأمل فيه من موجبات إتقان صلاته، والاطلاع على النصوص الشريفة الواردة فيها، ولعله يكتب حينها في عداد المعقّبين فيها، إذا كان مما يوجب له التفكر في عظمة الله تعالى، والخشية منه .

أسال الله تعالى أن يجعلنا - بعد كل ما ذُكر - من جمله المفلحين الذين جعل الله تعالى من أول سماتهم ﴿الَّذينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خاشِعُون﴾، ومن جملة ﴿الَّذينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُون﴾، ومن ﴿الَّذينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُون﴾ وأن لا يجعلنا من﴿الَّذينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُون﴾ .. إنه ولي التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حبيب الكاظمي

٢٩ ربيع المولود ١٤٣٩



الآداب الباطنية
في التهيؤ النفسي

ملكوت العبادات

١ـ إنَّ للعبادات ملكوتا وباطنا، فليس الحج مثلا هذه الحركات الظاهرية التي يؤديها الحجاج فحسب، وليس باطن الصلاة هذه الحركات البدنية فحسب، فإن روايات النبي وأهل بيته عليهم السلام تؤشر إشارة من بعيد ـ بل من قريب ـ إلى هذه الحقيقة.. ولعل هذا الحديث اللافت في مضمونه، مما يلقي الضوء على هذه الحقيقة؛ إذ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُصَلِّي مَا يَغْشَاهُ مِنْ جَلَالِ اللهِ مَا سَرَّهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ**»[1].

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا قَامَ الْمُصَلِّي إلى الصَّلَاةِ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ مِنْ أَعْنَانِ السَّمَاءِ إلى أَعْنَانِ الْأَرْضِ، وَ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَ نَادَاهُ مَلَكٌ: لَوْ يَعْلَمُ هذَا الْمُصَلِّي مَا فِي الصَّلَاةِ، مَا انْفَتَلَ**»[2]، أي أنه لو التفت صاحبها إلى ملكوت الصلاة، والمعاني التي تحملها لما تركها، ولكن أين الذين التفتوا إلى هذه الحقيقة الكبرى في العلاقة مع رب العالمين؟!.

---

١) الخصال، ج٢، ص٦٣٢.

٢) الكافي، ج٦، ص٩.

الشوق والترقب

٢ـ إن من يريد الصلاة الخاشعة، عليه أن يعيش حالة من الترقب للدخول في بحر الصلاة، فالذي يريد أن يصل إلى ملكوت الصلاة، لا بد وأن يعيش هذا الهاجس قبل دخول الوقت، مترقبا للصلاة بكل شوق، فالصالحون والأولياء يعدّون أنفسهم للقاء المولى قبل ساعة أو ما يقرب منه، بينما عامة الناس يفاجؤهم الوقت مفاجأة، ولعل بعضهم يتمنى في قرارة نفسه أن لا يدخل عليه الوقت لكيلا يفسد عليه لهوه، وما هو مشغول فيه من دنياه!.

وللشهيد الثاني قُدِّسَ سِرُّهُ بيان سديد في هذا المجال حيث يقول:

«وليظهر على قلبك السرور، وعلى وجهك البهجة عند دخوله، لكونه سببا لقربك ووسيلة إلى فوزك، فاستعد له بالطهارة والنظافة، ولبس الثياب الصالحة للمناجاة، كما تتأهب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا، وتلقاه بالسكينة والوقار والخوف والرجاء، فإن الرحمة عميمة، والفضل قديم، والأخذ والاستدراج متحقق، والطرد عند التقصير متوجه»[١].

بركات التلقين

٣ـ إن الأمور الكبرى في الحياة والمعاني السامية فيها، تبدأ بالتلقين، وتتحول إلى واقع بعد الممارسة الدؤوبة، وعلى الإنسان أن لا يملّ من هذا التلقين المستمر؛ إذ السير إلى الله تعالى حركة معاكسة لطبيعة الإنسان، والتي تدفعه إلى: الميل إلى شهوات الدنيا، والتثاقل إلى الأرض، وتقديم العاجل على الآجل، وتقديم اللذة على المجاهدة، وتقديم المصلحة الآنية على المصلحة المستقبلية.

أضف إلى ذلك كله، فإن العبادة هو تعامل وتفاعل مع عالم الغيب،

---

١) أسرار الصلاة (للشهيد الثاني)، ص١٠١.

والغيب إذا بقي غيبا محضا، فإنه لم يعُد داعيا لحركة الإنسان إلى ربه، فالذي يؤمن بالغيب ـ أي بالمبدأ والمعاد إيمانا ذهنيا ـ ولكن لا يعيش تلك الحقيقة الشهودية في قلبه، فإن من الطبيعي أن لا يسير إلى الله عز وجل سيراً حثيثاً، وبمثال جامع نقول: إن الذي يريد أن يسبح خلاف التيار، فإنه يحتاج في أول الأمر إلى تكلف ومعاناة ومجاهدة، إلى أن يتعود ركوب الموجة و بالتالي تجاوز العقبات.

المنطقة البرزخية

٤ـ إن الدخول في بحر الصلاة يحتاج إلى تهيؤ نفسي مسبق، بمعنى أن يجعل الإنسان حائلا بينه وبين الصلاة، يتمثل بالمنطقة البرزخية الحائلة بين العالَمين: فلا هي صلاة ولا هي تعامل مع بشر، لوضوح أن الإنسان لا يمكنه الخروج عادة من الجو الذي كان يعيش فيه في لحظة واحدة، كما لو كان مثلا في خصومة مع زوجته ثم دخل في الصلاة، فإنه من الطبيعي حينئذ أن يستمر في خصومته معها، بحديث نفسي عدواني معها وهو في حال الصلاة، و من هنا نرى القرآن الكريم يؤكد على هذه الحقيقة، ألا وهو التسبيح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.

وعليه فإن على العبد أن يكرر ذكر الله تعالى قبل غروب الشمس وقبل شروقها، وفي مكان يهيئ نفسه فيه للمثول بين يدي الله تعالى بذكر بعض التسبيحات والتهليلات، وباقي المستحبات المأثورة ليخرج بذلك تدريجياً من جو التفاعل مع عناصر هذه الدنيا، وقد جعل الله تعالى فترةً للتهيؤ من أجل الإتيان بصلاة الفجر متمثلة في صلاة الليل، كما جعل فترة تهيئة للظهرين وذلك بنوافلها السابقة عليها، وكذا الأمر في العشاء.

فالملاحظ في غالب الفرائض الخمس، بأنَّ هناك قبلها من الطاعات ما يُهيئُ العبد للدخول فيها، متمثلة بالنوافل والأذكار؛ إذ إنَّ رتبة الواجب

لا يرقى إليها المستحب، فكان من الطبيعي أن يكون الإتيان بالمستحبات، مقدمة لإتقان الواجبات، بل هي جابرة للنقص.

السجدة المهيأة

٥ـ إن من موجبات التهيؤ للصلاة الخاشعة قبل دخول الوقت، أن يسجد الإنسان بين يدي الله عز وجل سجدة تأملية أو استغفارية أو يونسية، فإننا ـ مع الأسف ـ قد نحوّل السجود في بعض الحالات إلى حركة بدنية محضة، لا يستشعر فيها العبد أي معنى من معاني التذلل والخشوع بين يدي الله تعالى، والحال أن حقيقة السجود هي الحقيقة الجامعة المستوعبة لمختلف المعاني الملكوتية.. وعليه فما المانع أن يعيش الإنسان أجواء مختلفة من: التذلل، والمناجاة، والتأمل، فيما سيقبل عليه من اللقاء بين يدي الله عز وجل؟!.

السلوك بين الفريضتين

٦ـ إن من موجبات التوفيق والتهيؤ للصلاة الخاشعة، هي مراقبة السلوك بين الفريضتين، فمن المعلوم أنَّ الذنب السابق على الصلاة ـ وخاصة إذا كان مقاربا أو لصيقا لها كمن دخل المسجد وقد مر بالسوق ونظر إلى ما يحرم النظر إليه ـ قد يؤثر على توجه الإنسان، فعندما يأتي إلى الصلاة، فإنه سيعيش قهرا جوا من أجواء البعد عن الله عز وجل.

وهناك تعبير جميل في كتب الأخلاق مفاده: إن من يلطّخ نفسه بالعسل، ثم يقترب من بيت الزنابير، فمن الطبيعي أن تهجم عليه الزنابير، لتلدغه في كل بقعة من بُقَعِ جسده؛ لأن العسل الذى لطخ به بدنه، يجذب إليه مثل هذه الزنابير، وقياسا على هذا المثال نقول: إنَّ الشياطين تستهوي مثل هذا الإنسان العاصي المنهمك في لذاته،

ومعاصيه وغفلاته. وعليه، فإن الإنسان عندما يقف للصلوة بين يدي الله تعالى، تهجم عليه الشياطين والخواطر الحقة منها والباطلة، بحيث ينتهي من الصلاة وهو لم يفقه شيئا مما جرى على لسانه في صلاته، ولا ينبغي حصر الأمر بالمعاصي الظاهرة، بل إنَّ كل التفات عن الحق المتعال ـ ولو بفضول نظر أو قول ـ له مثل هذا التأثير، والدليل على هذا إنَّ الآية الكريمة ربطت بين الخشوع في الصلاة، وبين الإعراض عن اللغو في مفتتح سورة المؤمنون.

تفريج الهموم

٧ـ إن من الحقائق التي لا يمكن إنكارها هو أن الإنسان يحتاج في حياته إلى من يبث إليه همومه؛ إذ إن من لا أنيس له ولا مفزع له في الحياة، قد يعيش حالة من حالات الكبت والتبرم ثم الانفجار، ومن بعد ذلك الانهيار الكامل.

وحينئذ نقول: إذا كان الإنسان يلجأ إلى بني جنسه كسبيل وذريعة لتفريغ همومه، فلماذا لا يتخذ من الصلاة مثل هذه المحطة لبث شكواه إلى العليم الخبير، وهو القادر على كشف كل كربه وهمومه، لا مجرد الاستماع إليه ومشاركة الهمّ فحسب كما يتفق مع البشر؟!.

الفزع إلى الصلاة

٨ـ قد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أنهم كانوا يفزعون إلى الصلاة كلما أهمهم أمر، أو نزلت بهم نازلة، والمؤمن يجب أن يكون كذلك، فيقوم بهذه الصلاة الالتجائية في كل الأزمان والحالات، كجوف الليل ووضح النهار، وفى السوق والمنزل، فعندما يكون في قمة الغضب واليأس والنظرة السوداوية إلى الحياة، فإنه يذهب ويتخذ زاوية في المنزل، ليتكلم مع رب العالمين بمناجاة المستغيث اللهفان!.

وعليه فإذا جعل الإنسان من الصلاة ذريعة للحديث مع الله عز وجل؛ تحولت الصلاة عنده إلى أحلى محطة من محطات الأنس والتلذذ والارتياح، تلك المحطة التي لا تُقارن بمحطات التلذذ بالمتاع الزائل الذي تفنى لذته ويبقى وزره!.

ثمرة الحب

٩- إنَّ إظهار المحبة لأهل البيت عليهم السلام من خلال المظاهر العاطفية لهو أمر راجح، ولكن لا بد أن نعلم أن الثمرة الواقعية للمحبة الصادقة هو الاتباع لهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[1] ولم يقل تعالى: إن كنتم تحبون الله يحببكم الله؛ إذ إن بين «تحبون الله» وبين «يحببكم الله» هنالك مرحلة «الاتباع»، والاتباع له مظاهر في حياة الإنسان، فمن مظاهر الاتباع تحقيق هذه التبعية في مقام العمل، ومن أهم مواردها هي هذه الصلاة الخاشعة، والتي كانت من أهم المعالم البارزة في حياة أهل البيت عليهم السلام .

ومن المعلوم أن من أهم روابط القرب من الحق المتعال هي هذه الصلوات اليومية، حيث إن معظم العبادات الأخرى تكون موسمية كالحج والصيام، فكم من الخسارة أن لا يتوفق العبد لنفخ روح الصلاة الخاشعة في هذا القالب الظاهري المتجسد بحركات البدن!.

قدم تشريع الصلاة

١٠- إنَّ الصلاة كانت منذ القدم هي حلقة الوصل بين الأنبياء وربهم، على اختلاف في طبيعة تشريعاتهم الصلاتية، فلا يعقل أنْ تكون رسالة من الرسالات السماوية خالية من وسيلة للارتباط بالرب المتعال، فهذا

١) آل عمران/ ٣١.

الفرع ـ وإن بدا فقهيا ـ فإنه في رتبة مباشرة للمعرفة الإلهية وهو الأصل في الدين، وهو ما يفهم من قول الصادقعليه السلام حيث قال: «**مَا أَعْلَمُ شَيْئاً بَعْدَ المَعْرِفَةِ أَفْضَلَ مِنْ هذِهِ الصَّلَاةِ؛ أَلَا تَرى أَنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:** ﴿وَأَوصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا﴾»[1]، وهذا هو النبي الذي سينزل في آخر الزمان، ليقيم الصلاة أيضا خلف صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف بصلاة الشريعة الخاتمة طبعا.

التطهر بالصلاة

١١ـ روي عن النبيصلى الله عليه وآله: «**لَوْ كَانَ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ نَهَرٌ فَاغْتَسَلَ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ كَانَ يَبْقَى عَلَى جَسَدِهِ مِنَ الدَّرَنِ شَيْءٌ؟!.. إنما مَثَلُ الصَّلَاةِ مَثَلُ النَّهَرِ الَّذِي يُنَقِّي، كُلَّمَا صَلَّى صَلَاةً كَانَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ، إِلَّا ذَنْبٍ أَخْرَجَهُ مِنَ الْإِيمَانِ مُقِيمٍ عَلَيْهِ**»[2]، وعليه فإن النبيصلى الله عليه وآله عبّر عن المغتسل قائلا: «يغتسل» وذلك عندما أراد أنْ يذكر مثالا للمتطهر بنهر الصلاة، فقصد بذلك أنَّ المغتسل الصادق يدخل النهر حقيقة متطّهرا، أما الذي يستلقي على شاطئ النهر متشمّسا، أو ينظر إلى النهر متفرجا، أو يجعل رجليه إلى الساق في النهر متدلّيا، فإن هذا الإنسان لا يرجع بالطهارة أبداً، بل يبقى ذلك الدرن على بدنه، وذلك كالطفل الكسول الذي عندما تأمره أمه بالاستحمام، فإنه يدخل الحمام ويخرج مدعياً الاستحمام، إلا أنه من السهل على الأم أن تكشف خداع ولدها، فتأتي وتشم رائحة العرق النتن على جسده وثيابه، فتعلم أنه لم يستحم ولو أقسم على ذلك بالأيمان المغلظة، فإن رائحة النتن دليل قاطع على عدم استحمامه، فهو بذاك متشبه بالمستحمين وليس من المتطهرين واقعا.

---

١) الكافي، ج٦، ص٧.

٢) بحار الأنوار، ج٧٩، ص٢٣٦.

وعليه فإن حال الإنسان الذي يدخل المساجد والمشاهد، ويذهب إلى الحج والعمرة من دون أنْ يحوّل تلك المواقف إلى مواطن للتطهر، كحال هذا الصبي المدعي للتطهّر، فهو يتشبه بالطائفين و المصلين والزائرين، من دون أنْ يرى علامة القبول، والمتمثل بتحقق نور ذلك المقام وتلك العبادة في وجوده.

خاصية الصلاة

١٢ـ لو أردنا أن نجسد جوهر الصلاة في آية واحدة لكان قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[١]، فإذا كانت الصلاة غير ناهية عن الفحشاء والمنكر فهي ليست بصلاة، أو هي صلاة فاقدة للخواص والآثار، والأمور تقصد لخواصها كالأدوية الناجعة، وإلا فإن شبيه الدواء لا يعالج أحدا، ومن اللافت في هذا المجال أنَّ قوم شعيب ـ على كفرهم ـ أدركوا هذه الحقيقة ولو أنهم ذكروه بلسان التهكّم، وهي أنَّ صلاة شعيب عليه السلام داعية بلسان حالها إلى ترك عبادة غير الله تعالى حيث يقول تعالى: ﴿قالُوا يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا﴾[٢].

وعليه فإن من أراد أنْ يعلم قبول صلاته عند مولاه، فلينظر إلى تأثير صلاته في حركة حياته اليومية، وخاصة عند إرادة المعصية، فإذا نهته صلاته عن المعصية، كان مقيما لحقيقة الصلاة ومحقّقا لها في حركة حياته.. ولنعم ما قال ـ تلخيصا لهذه الحقيقة ـ صاحب الأرجوزة الفقهية: «**تنهى عن المنكر والفحشاء أقصر فهذا منتهى الثناء**»[٣]

---

١) العنكبوت/ ٤٥.

٢) هود/ ٨٧.

٣) الدّرة النجفية (للعلامة بحر العلوم)، ص ٨٥.

الاستعانة بالصلاة

١٣- إن مما يجسد لنا عظمة الصلاة هو قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1].. وهذه الآية بيّنة الدلالة، و لكن فيها جهات للتأمل، فمنها:

- إنّ الذي يجعل الصلاة قريبة إلى النفس خفيفة عليها إنما هي حالة الخشوع والإقبال، وإلا فثقل الصلاة على غير الخاشع لا يُنكره أحد، وهو من الأمور الوجدانية الواضحة.

- إن الخاشع هو المتلبس بهذه الصفة كحالة راسخة فيكون ديدنه الخشوع، وإلا فإن الخشوع في موقف عابر ولظرف طارئ كالكون في المشاهد مثلا، لا يعد إنجازا يعتد به.

- إنه يمكن القول عن هذه الآية، أنها مبينة لآية من الآيات الأنفسية، فالبعض لو خيّرته بين صلاة ركعتين، وبين أي عمل بدني شاق، فإنه يقدمه على تلك الركعتين.

والغريب أن البعض في المشاهد المشرفة قد يزور المعصوم ساعة من الزمان، ويقرأ الزيارة الجامعة الكبيرة مثلا، فيخشع ويبكي بل ينتحب، ولكن إذا أراد أن يصلي ركعتي الزيارة، فإنه يراها ثقيلة على نفسه، و نرى في هذا السياق نفسه، أن بعضهم في ليلة القدر قد يحيي الليل إلى مطلع الفجر بتوجه إجمالي، ولكن إذا دخل وقت الفجر وأراد أن يصلي الفريضة عادت المشكلة نفسُها، إذ عندما يهمّ بصلاة ركعتين خاشعتين، يرى نفسه لا تطاوعه في ذلك أيضا.

ثمرة الصلاة

١٤- إن من الآيات المبينة لثمرة الصلاة هو قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ

---

١) بقره/ ٤٥.

لِذِكْرِي﴾[1]، فإنها جعلت الغاية من الصلاة هو الذكر، ومن هنا فإن الصلاة الجوارحية الفاقدة للذكر ـ وهي حالة في الجوانح ـ فاقدة للغاية من تشريعها؛ إذ إن الله تعالى لا ينظر إلى صورنا وأبداننا، ولكن ينظر إلى قلوبنا، و صاحب القلب الخالي عن الذكر، لا يعد مصليا وإن انشغل بدنه بالحركات العبادية الظاهرية، فعبادة البدن بحركته الظاهري لا تحسب على عبادة القلب بخشوعه الباطني، وقد بينت الرواية أنَّ الحكمة من تشريع الصلاة هي أنْ: «**لا يغفل عنه ولاينسى**»[2].

ومثاله في عالم الظاهر هو الطبيب، فهو عندما يأمر مريضه بشراء دواء طلبا للشفاء، فإنه لا يقصد شراء الدواء بعينه، بل الشفاء المرجو من ورائه، فإذا علم أن الدواء لا أثر له، فإنه لا يتعلق قصده بالشراء أبدا.. وعليه فنقول: إن الأمر بالصلاة، كأنّه أمر بالمقدمة لكي تتحقق النتيجة منها وهي ذكر الله تعالى، فتبين بذلك أن حقيقة الذكر، أمر ما وراء الصلاة الظاهرية، فقد تجتمعان كما في صلاة الخاشعين، وقد تفترقان كما في صلاة الغافلين، حيث ورد النهي عنها ـ ولو عموما ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[3].

ومما يؤكد هذه الحقيقة قول النبي الأكرمصلى الله عليه وآله: «**إِنَّ مِنَ الصَّلَاةِ لَمَا يُقْبَلُ نِصْفُهَا وَ ثُلُثُهَا وَ رُبُعُهَا وَ خُمُسُهَا إِلى الْعُشْرِ، وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الخلَقُ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا، وَ إنما لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ**»[4].. فهذه الصلاة ليست هي غير مقبولة فحسب، وإنما هي

---

١) طه/ ١٤.

٢) هشام بن حكم قال: «سألت أباعبد الله عن علّه الصلاة .... قال: فيها علل و ذلك .... لكيلا يغفلوا عنه فينسوه فيدرس ذكره». وسائل الشيعة، ج٤، ص٩.

٣) الأعراف/ ٢٠٥.

٤) بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦٠.

مردودة إلى صاحبها، مضروبة بها وجهه، ويا له من تعبير قاس!.

الإجزاء و القبول

١٥ـ إن وظيفة فقهائنا الأبرار هو بيان الجانب الفقهي للصلاة، فتصدوا لبيان جهة الإجزاء، ولكن ليُعلم أن الإجزاء في كفة والقبول في كفة أخرى وهي الكفة الأهم، لتقدم الباطن على الظاهر، والقلب على القالب، وهو ما يصرحون به جميعا.

ولهذا نقول: كما أن الفقهاء أتعبوا نفوسهم الشريفة من أجل الوصول إلى ظاهر الصلاة، فإنه لا بد أن يتصدى جماعة ـ بمستوى الفقهاء أيضا ـ لبيان أسرارها؛ لأنهم أدرى من غيرهم بمقاصد الشريعة، فإنه بظاهر الصلاة وباطنها معا، تتحقق الغاية من تشريع الصلاة.

غشيان الجلال

١٦ـ إن الذين يبحرون في بحر الصلاة يكتشفون من الأسرار والغرائب ما لم يخطر على قلب بشر، فهناك أمور خفية نحن لا ندركها بحواسنا القاصرة عن الإحاطة بعالم الغيب؛ إذ إننا ـ نحن المحجوبون عن الغيب ـ نعلم ظاهرا من الحياة الدنيا، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُصَلِّي مَا يَغْشَاهُ مِنْ جَلَالِ اللهِ، مَا سَرَّهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ**»[1].

وهذا الجلال الإلهي أمر مبهم لم تُحدد هويته ومعالمه؛ لأنه من أخص أسرار الوجود، وقد يغشى هذا الجلال إنسانا لا يعبأ به عامة الخلق، فمقاييس التفاضل في العرش، تخالف ما هو متعارف في الفرش.

١) الخصال، ج٢،ص٦٣٢.

الأذكار المهيأة

١٧- لا بد من تهيئة النفس قبل الدخول في بحر الصلاة بشتى الوسائل المتاحة؛ ذكرا وفكرا ودعاء، كأنْ يلهج المصلي بالآيات المثيرة للمشاعر الباطنية قبل التكبير، مثل قوله: «**يَا مُحْسِنُ قَدْ أَتَاكَ الْمُسِيءُ، وَ قَدْ أَمَرْتَ الْمُحْسِنَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِ الْمُسِيءِ**»[١]، أو مخاطبته للنفس قائلا: «بأن كل أوقاتك كانت للدنيا، والآن جاء وقت الصلاة، وبالتالي فإن مقتضى الإنصاف أن يكون أجلّ الأوقات وأفضلها وأكثرها إقبالا وتركيزا، هي محطة للصلاة بين يدي الله تعالى».

ومن الغريب أنَّ البعض يستعد أيَّما استعداد للقاء وجيه من وجهاء الدنيا، ولكن عند مجيئ وقت اللقاء برب الأرباب، فإنه لا يجد في نفسه ميلا أو شوقا مميزا لمثل هذا اللقاء، الذي تترتب عليه سعادته في الدنيا والآخرة.

التوفيق الشامل

١٨- إنَّ التوفيق في جميع النشاطات اليومية وفي شتى الأبعاد، مرهونة بهذه الصلاة الخاشعة، مصداقا لقول علي عليه السلام: «**وَ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ، فَمَنْ ضَيَّعَ الصَّلَاةَ فإنهُ لِغَيْرِهَا أَضْيَع**»[٢]؛ فمن أوصل كيانه بكل أبعاده بهذه الجهة العليا في الوجود، فمن الطبيعي أن يلتفت إليه ربه بكل جهات الفيض، سواء في وقفته الصلاتية أو غيرها من وقفات الحياة، أعني تعاملا مع نفسه أو غيره.

ولا ريب أن الله تعالى هو الذي يختار من عباده من يمن عليهم بمثل هذا الإقبال، والذي يترشح من جهة الربوبية على العبد، ووزان ذلك

---

١) مصباح المتهجد، ج١، ص٣٠.

٢) الأمالي (للمفيد)، ص٢٦٧.

وزان التوبة في قوله **تعالى**: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[1]، فكما أن توبة العبد بين توبتين، فكذلك خشوع العبد بين خشوعين، فالرب يقبل على العبد إقبالا إجماليا، ثم يقبل العبد على ربه ببركة هذه العناية، وعندها يتحقق الإقبال التفصيلي من الرب على عبده.

لغة المحبوب

١٩- إن الذي يحب الحديث مع محبوب بشري لا يعرف لغته، فإنه يسعى جاهدا لفك هذه الغموض في لغة التعامل، وذلك للوصول إلى حالة الأنس التي تستلزمها محادثة المحبوب، وهنا لا بد من القول بأن من يريد الحديث المؤنس مع ربه، لا بد له من أن يتعلم طريقة الخطاب ومفرداته، وهو مما لا يتيسر إلا في الصلاة الخاشعة وهو القرآن الصاعد، كما أن الحديث المؤنس من الرب مع عبده يتمثل في القرآن النازل.

ومن هذا المنطلق فقد طلب إبراهيم الخليل عليه السلام من الرب الودود - بعد بنائه للبيت - أن يكون مقيما للصلاة، لا بالنسبة إلى نفسه فحسب بل من جهة ذريته أيضا، ومن المعلوم أن إقامة الصلاة نوع معنى يغاير أصل إتيانها.

التأسّي بالحسين عليه السلام

٢٠- إن من مصاديق التأسي بالإمام الحسين عليه السلام الذي طالما وددنا أن نكون معه، هي المحافظة على الصلاة في أول وقتها، حيث إن من أهم صور عبوديته لربه - إضافة إلى جهاده في يوم عاشوراء - هو وقوفه ليصلي صلاة الحرب جماعة في أول وقتها، فقد ورد في الخبر:

---

١) التوبة/ ١١٨.

«فلم يزل يقتل من أصحاب الحسين الواحد والاثنان، فيبين ذلك فيهم لقلّتهم، ويُقتل من أصحاب عمر العشرة، فلا يبين فيهم ذلك لكثرتهم، فلما رأى ذلك أبو ثمامة الصيداوي قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله!.. نفسي لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك، والله لا تقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة، فرفع الحسين رأسه إلى السماء، وقال: ذكرتَ الصلاة، جعلك الله من المصلين، نعم هذا أو ل وقتها، ثم قال: سلُوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي، فقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين، وسعيد بن عبد الله: تقدمّا أمامي حتى أصلي الظهر. فتقدما أمامه في نحوٍ من نصف أصحابه، حتى صلى بهم صلاة الخوف، ورُوي أن سعيد بن عبد الله الحنفي تقدم أمام الحسين عليه السلام، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل، كلما أخذ الحسين عليه السلام يمينا وشمالا قام بين يديه، فما زال يُرمى به حتى سقط إلى الأرض»[1].

الفلاح والخشوع

٢١- إن الله تعالى علق الفلاح - بعد ذكر الإيمان - على الصلاة الخاشعة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[2]، واللافت في الآية أن ما جُعل من موجبات الفلاح كأول شرط فيها هو الخشوع الفاعلي لا الفعلي، فلم تقل: «يخشعون»، بل «خَاشِعُونَ» أي أن هذه صفة متعلقة بذواتهم، وليس فعلا عابرا يتفق بين وقت وآخر.

واللافت في مفتتح سورة المؤمنون، أنَّ الله تعالى يذكر بعد ذكر عدة أوصاف للمؤمنين، صفة المحافظة على الصلاة كآخر صفة لهم، وذلك بعدما قدّم الخشوع في الصلاة في أول السورة، مما يدل من جهة على

١) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٢١.
٢) المؤمنون/ ٢-١.

تقدم رتبة الخشوع في الصلاة على أصل إقامتها، تقدم الروح على البدن.

جهل المصلي بما يغشاه

٢٢ـ هنالك مجموعة من الروايات المفتاحية في بحث الصلاة الخاشعة، فمنها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا قَامَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فِي صَلَاتِهِ، نَظَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إليه ـ أو قَالَ: أَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ ـ حَتَّى يَنْصَرِفَ، وَأَظَلَّتْهُ الرَّحْمَةُ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ إلى أُفُقِ السَّمَاءِ، وَالْمَلَائِكَةُ تَحُفُّهُ مِنْ حَوْلِهِ إلى أُفُقِ السَّمَاءِ، وَوَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكاً قَائِماً عَلَى رَأْسِهِ يَقُولُ لَهُ: أَيُّهَا الْمُصَلِّي!.. لَوْ تَعْلَمُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ وَمَنْ تُنَاجِي مَا الْتَفَتَّ وَلَا زِلْتَ مِنْ مَوْضِعِكَ أَبَداً»[1]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُصَلِّي مَا يَغْشَاهُ مِنْ جَلَالِ اللهِ مَا سَرَّهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ»[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قَامَ الْمُصَلِّي إلى الصَّلَاةِ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ مِنْ أَعْنَانِ السَّمَاءِ إلى أَعْنَانِ الأَرْضِ، وَحَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَنَادَاهُ مَلَكٌ: لَوْ يَعْلَمُ هَذَا الْمُصَلِّي مَا فِي الصَّلَاةِ مَا انْفَتَلَ»[3].

فالملاحظ في هذه الروايات الكريمة: أن موضوع هذه الكرامة الباهرة هو المصلي، ولم تقيده بصفة التلبس مثلا بالمقامات العالية، مما يُعلم منه أنَّ المصلي بمجرد أن يكبر، فقد تزيَّى بزي العبودية لله تعالى، وصار في هيئة الدخول على ساحة كبريائه، وبهذا يُعلم مدى خسران من كان في هذا الموقع المتميز، إلا أنه انصرف عن مواجهة المولى إلى الوجوه الخيالية الباطلة.

والملاحظ أيضا فيها: أن هناك إشارة إلى هذه الحقيقة وهي «لَوْ يَعْلَمُ هَذَا الْمُصَلِّي» أي أن المصلي ما ترك الاستمتاع بالصلاة لو التفت إلى

---

١) الكافي، ج٦، ص١٠.

٢) الخصال، ج٢، ص٦٣٢.

٣) الكافي، ج٦، ص٩.

ملكوت الصلاة، والمعاني التي تحملها الصلاة بين يدي الله عز وجل، فما الذي جعل يوسف يفضل السجن على قصر زليخا؟!.. وما الذي جعل الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام يشكر الله عز وجل على نعمة الخلوة؟!.

فمن الواضح أنَّ أهم ما كان يؤنس الأنبياء والأوصياء في خلواتهم وجلواتهم، هي هذه الصلاة بين يدي الله عزَ وجل، فإنها متعتهم الأساس في هذه الدنيا، كما أن النظر إلى وجهه الكريم هي متعتهم الأولى في الآخرة ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾[1].

الحسرة القاتلة

٢٣ـ إن هنالك عذابا يشترك فيه جميع الناس، وذلك في البرزخ والبعث وعرصات القيامة أيضا ـ ما عدا الأنبياء والمعصومين طبعا ـ ألا وهو هذا العذاب الذي يلازم الإنسان من ليلة الوحشة إلى ساعة دخوله الجنة، وذلك من خلال الحسرة القاتلة التي لو بقيت مع العبد لما تهنأ أحد بدخول الجنة، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

ومن أهم مصاديق الحسرة، هي هذه الحسرة على عدم إتقان الصلوات المستوعبة لأيام الحياة الدنيا، وعدم تطوير أدائها، رغم أن صاحبها طوّر نفسه في كثير من أمور الدنيا، أعني في المال والبنين وغيرها، إلا أنه قد يموت على صلاة كان يصليها أوائل أيام تكليفه، فبقيت على ما هي عليها بسهوها وغفلتها وشكوكها، بل قد يقال: إن صلاته حين التكليف كانت أفضل من صلاته قبل الموت، لاحتمال مقارنة صلاته أيّام بلوغه لشيء من براءة الطفولة، أو جهالة أوائل التكليف!.

---

١) التوبة/ ٧٢.

٢) مريم/ ٣٩.

وكم العتاب بليغ من الإمام الصادق عليه السلام عندما يصف حال من أمضى عمره في صلاة مدبرة، حيث يقول: «وَاللهِ إِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَى الرَّجُلِ خَمْسُونَ سَنَةً، وَمَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ صَلَاةً وَاحِدَةً، فَأَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا وَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ مِنْ جِيرَانِكُمْ وَأَصْحَابِكُمْ، مَنْ لَوْ كَانَ يُصَلِّي لِبَعْضِكُمْ مَا قَبِلَهَا مِنْهُ لِاسْتِخْفَافِهِ بِهَا، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْحَسَنَ فَكَيْفَ يَقْبَلُ مَا يُسْتَخَفُّ بِه»[1].

شكوك الصلاة

٢٤ـ إن الشكوك الصلاتية لها حلول فقهية واضحة، حيث يبنى على الأكثر مثلاً ويأتي بصلاة الاحتياط، ولكن أصل عروض الشك في الصلاة حالة سلبية قد تنبئ عن شيء من البعد عن المولى، فليس من المقبول أن يُصاب المؤمن ـ المتوجه في صلاته ـ بحالات الشك والذهول، وذلك لأنه مقبل في صلاته من أولها إلى آخرها من دون شك وسهو، وذلك بسبب تنوع الألوان الشعورية في ركعات صلاته:

ـ ففي الركعة الأولى: حديث المشتاق مع رب العالمين في أول لحظات المواجهة.

ـ وفي الركعة الثانية: محطة مناجاة مع رب العالمين.

ـ وفي الركعة الثالثة: تذكّرٌ لما كان عليه من الإقبال في قنوته، مقارنا لدمعة لم تجف بعد.

ـ وفي الركعة الرابعة: رائحة الوداع بما تستلزمها من الهم والغم، فيعيش ألم الفراق، لعلمه بانتهاء اللقاء مع من كان يناجيه بلسان المحبة والمناجاة، ولهذا نرى بعضهم يطيل في الركعة الأخيرة في عند سجوده، لئلا يحرم من بهجة حديقة المصلين قدر إمكانه.

وعليه فإن عالم القنوت المؤنس مثلا، يغاير تماماً عالم المفارقة

---

١) الكافي، ج٦، ص٢١.

الموحشة في آخر صلاته، فكيف يخلط المؤمن بين الركعة الثانية وبين الركعة الرابعة؟!.

وبذلك يتبين لنا أنه لا مجال للسهو وهو على مثل هذه الحالة من الإقبال، إذ إن مثَل هذا المصلي كمثل إنسان يمر على حديقة غنَّاء مليئة بأنواع الورود والرياحين، فمن الطبيعي حينها أن يرى في كل خطوة طبيعة من الجمال تغاير طبيعة الجمال في الخطوة الأخرى، فلا يحصل تداخل بينها ليشك في موقع خطواته.. فمن أين يأتي السهو لهكذا إنسان يمر على صور من الجمال المتنوع؟!.

تهديد المصلين

٢٥- يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾[١]، إن هذه الآية لمن الآيات المخيفة حقا لمن عقلها واستوعبها؛ إذ جعل الموضوع في التهديد هو المصلي، فما المراد من الساهي في الصلاة، وهو الذي هدده المولى بكلمة الويل؟!. وحينئذ نقول: قد يكون المراد:

- هو الذي يسهو في صلاته كما يتفق للكثير من المصلين، ويكون الويل كناية عن الحرمان والخسارة.

- هو ذلك المتقطّع في أداء صلاته؛ أي يصلي يوما ويترك يوما، وذلك بقرينة الويل بمعناه الحقيقي، والدال على العذاب الكبير الذي يناسب الترك للصلاة، ولو في بعض الأوقات.

- هو التارك للصلاة رأسا في كل أوقاتها، وهو من أجلى مصاديق هذه المفردة. و يمكن القول بأن القدر المتيقن من الذم في هذا المقام: هو أن هناك درجة من درجات الطرد من رحمة الله تعالى، متوجهة إلى المستخف بصلاته ولو كان مؤديا لها، والذي يريد القطع بخروجه من دائرة التعبير

---

١) الماعون/ ٥_٤.

بـ «الويل» عليه أن يُقبل في صلاته بمقدار الوسع والإمكان، وما من شك أن أحدنا ـ بمستواه الفعلي لا التكاملي المستقبلي ـ يمكنه أن يحسّن من أداء صلاته فيما لو أراد ذلك.

الخوف من الرد

٢٦ـ إن من موجبات الإقبال على الصلاة هو الخوف من عدم القبول، فإننا نلاحظ أن من يتقدم لامتحان في الدنيا ـ يخشى من الفشل فيه ـ يحاول جهد إمكانه أن يحقق موجبات النجاح فيه، لعلمه بأنه عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان.

وعندئذ نقول: أو لا يحق لأحدنا أن يخشى من هذا الفشل بين يدي رب العالمين؟!. وبتشبيه بليغ يمكن القول: إن المساجد هي بمثابة قاعات الامتحان، ولكل يوم امتحانه، فعندما ندخل المسجد لا بد أن نعيش حالة الخشية من السقوط في هذا الامتحان، ومن المعلوم أن صلاة كل يوم تغاير الصلاة في اليوم الذي سبقه؛ إذ إن لكلّ صلاةٍ حسابها ودرجاتها، ومن الواضح أن هذه الخشية من السقوط في الامتحان، لمن موجباتِ التهيؤ النفسي لصلاة خاشعة، وإيجاد الشوق الباطني للمثول بين يدي رب الأرباب.

والشاهد على لزوم مثل هذا الخوف، هو ما نلهج به بعد كل فريضة قائلين: «**إلهي إِن كَانَ فِيها خَلَلٌ أَو نَقصٌ مِن رُكُوعِها أَو سُجُودِهَا فَلَا تُؤاخِذنِي بِهِ، وَتَفَضَّل عَلَيَ بِالقَبُولِ وَالغُفرانِ**»[1] أي: يا رب!.. أنا لا أرجو الجزاء على هذه الصلاة إلا بفضلك لا بعدلك، بل أخاف من المؤاخذة على صلاة أنت أعلم بها مني!.

---

١) مفاتيح الجنان، باب تعقيبات الصلاه.

نقر الغراب

٢٧ـ إن النبي الأكرمﷺ يشبّه صلاة بعضهم بنقر غُراب، فقد ورد في الخبر: «**بينما رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ إذ دَخَلَ رَجُلٌ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهُ وَ لَا سُجُودَهُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: نَقَرَ كَنَقْرِ الْغُرَابِ، لَئِنْ مَاتَ هذَا وَ هكَذَا صَلَاتُهُ، لَيَمُوتَنَّ عَلى غَيْرِ دِينِي**»[1] والبعض قد يصلي، إلا أنها تُلفُّ ويُضربُ بها وجه صاحبها كما روي عن النبي الأكرمﷺ أنه قال: «**وإذا ضَيَّعَ وُضُوءَها وَرُكُوعَها وَسُجُودَها وَالقِراءَةَ بِهَا، قالَت لَهُ الصَلَاةُ: ضَيَّعَكَ اللهُ كَما ضَيَّعتَني، ثُمَّ يصعَدُ بِهَا إِلَى السَماءِ، فَأُغلِقَت دُونَها أَبوابُ السَماءِ، ثُمَّ تُلَفُّ كَما يُلَفُ الثَوبُ الخُلُق، ثُمَّ يُضرَبُ بِهَا وَجهُ صَاحِبِها**»[2].

إن مثل هذا المصلي قد صلى صلاته، ولكن لنتساءل: ما هي الخطيئة التي ارتكبها العبد بما جعل رب العالمين يُرجع صلاته إليه، ويضرب بها وجهه؟!.. ألَا يوجب هذا الهاجس المقلق داعيا للعبد من أجل إتقان صلاته بموازاة أصل إقامتها؟!.

ومما يجسّد لنا قبح الإدبار في لقاء المولى هذا المثال الوجداني: فلو افترضنا أن صاحب دار انكشف عنده عدم رغبة ضيفه في البقاء عنده، أو لا يوجب ذلك طلبه من الضيف أن يخرج من عنده زاهدا فيه، كما زهد هو فيه؟!. وهنا نقول قياسا على هذا المثال: إن العبد عندما يستثقل الصلاة بين يدي المولى، فمثَله كمثل ذلك الضيف الذي يستثقل المُقام عند مضيفه، وعندئذ أولا يحق لصاحب الوجود أن يطرده من عنده وهو الغني المتعال؟!

١) الكافي، ج٦، ص١٩.

٢) أخبار الصلاه، ج١، ص٢٧.

حال النبي صلى الله عليه وآله قبل الصلاة

٢٨ـ إن من موجبات الإقبال بين يدي الله تعالى هو الالتفات إلى عظمة من نقف بين يديه، فقد روي عن بعض نسائه: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صلى الله عليه وآله **يُحَدِّثُنَا وَ نُحَدِّثُهُ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْنَا وَ لَمْ نَعْرِفْه**»[١]، فإن النبي رغم شفقته بجميع الخلق، ومعاشرته لأهله بالمعروف كأفضل ما تكون المعاشرة، إلا أنه عندما كان يحين وقت اللقاء مع ربه، كان ينصرف بكل وجوده عن الخلق إلى من كان يشتاق اللقاء به طوال اليوم، فكانت الصلاة له صلى الله عليه وآله بمثابة محطة اللقاء بمحبوبه، ومن هنا كان يقول صلى الله عليه وآله : «**أَرِحْنَا يَا بِلَال!**»[٢]. وهو ما يكشف عن حالة الترقب له قبل صلاته إلى درجة لا تكون له صلى الله عليه وآله راحة إلا بالصلاة بين يدي مولاه.

وهذه الحالة أيضا نراها في الأئمة عليهم السلام من ذريته؛ إذ هم من معدن واحد، فكانت ألوانهم تتلون عند حضور الصلاة، وقد روي أن الإمام الْحَسَنُ عليه السلام إذا فَرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «**حَقٌّ عَلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى ذِي الْعَرْشِ، أَنْ يَتَغَيَّرَ لَوْنُه**»[٣].

الاستعداد للقاء

٢٩ـ إن بعض أهل الدنيا عندما يستعد للقاء سلطان من سلاطين الدنيا، فإنه تأخذه تلك الهيبة إلى درجة لا يتقن الحديث معه، ولكننا عند الوقوف بين يدي الرب المتعال، فإننا لا نعيش هذه الحالة من التهيّب، والسبب في ذلك هو غطاء المحجوبية الذي يلفنا جميعا.

ومن المعلوم أنه لو كُشف الغطاء عن قلوبنا، لرأت من الجلال ما

---

١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٤٠٠.

٢) بحار الأنوار، ج٧٩، ص١٩٣.

٣) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣٤٧.

يحقق تلك الهيبة التي تلازم مشاهدة ذلك الجلال الذي ليس فوقه جلال، وخاصة عندما يعلم الإنسان أن صاحب هذا الوجه قد يميل عن عبده عند ميلان وجهه عن ربه، وهذه هي الطامة الكبرى عند أهلها.. وقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام كشاهد على هذه القاعدة أنه قال: «لَوْ مِلْتُ بِوَجْهِي عَنْهُ لَمَالَ بِوَجْهِهِ عَنِّي، أَفَمَنْ يُرَى رَاحِماً بَعْدَهُ؟»[1]

الفقه الظاهري والباطني

٣٠- إننا مأمورون بالانتقال دائما من الفقه الظاهري للعبادة إلى الفقه الباطني لها، سواء في ذلك الحج أو الصوم أو الصلاة، وهي العبادات الثلاث الجامعة بين الحركة البدنية، والتي تتم بموازاتها حركة باطنية بمراعاتها يُكمل ظاهر العمل.

ولكن الفارق بين الصلاة وأخويها: أن الحج يؤديها العبد في العمر مرة، والصوم في السنة مرة، بيد أن الصلاة غذاء روحي يؤمّن حاجته الروحية في اليوم خمس مرات.

ومن هنا لزم على العبد المتزوّد لأمر آخرته، أن يتقن تعلم آداب هذه الفريضة، والتي يبدو أن الروح الإنسانية بحاجة لها في كل يوم مرات عديدة، لتنقيتها من شوائب الغفلات، كما أن الأمر كذلك في تنقية الأبدان وخاصة في البيئة الملوثة.

معراجية الصلاة

٣١- إن العبارة المعروفة في وصف الصلاة بأنها معراج المؤمن، لتدل دلالة أكيدة على أن الصلاة فيها عملية طيران وتحليق إلى الأجواء العليا وذلك في عالم المعنى، وهذا يستلزم القيام بالمقدمات التي توجب له مثل

١) بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٤٦.

هذا السمو، وإلا فإن التشبّه بالمحلقين لا يحقق في المقام درجة من التعالي أبدا، ومثاله من ذهب إلى المطار، وركب الطائرة ولم تحلق به، ثم نزل منها عائدا إلى مسكنه، أو يحقّ له القول إن سافر إلى مقصده الذي خرج من أجله؟!.. بل إن غاية ما يقال عنه أنه تشبه بالمسافرين، ولم يحظ بمتعة الانتقال إلى المكان الذي كان يود السفر إليه؟!.

فالمساجد بمثابة المطارات وصلواتنا بمثابة الطائرات، فإذا لم نحقق فيها سفرا روحيا، فليس هنالك سفر ولا مطار ولا طائرة!.. وقد ينكشفُ الغطاء للإنسان في دار الدنيا ـ ولو متأخرا ـ فيمكنه التدارك، بخلاف من كُشف له الغطاء وقد أغلقت الدواوين، وصار بذلك من أخسر الخاسرين!.

خيمة الصلاة

٣٢ـ إن من يروم السفر إلى الله تعالى لا بد أن تكون له خطة سير، وإلا ما زادته كثرة السير إلا بعدا، ومما لا شك فيه أن من أهم معالم هذه الخطة هي إقامة الصلاة، لا إتيانها مجردة عن المعاني المحققة لإقامتها، وإقامة الصلاة فيها إنما هو معنى يقابل أصل الإتيان بها، كالفارق بين الخيمة المقامة والخيمة المطروحة على الأرض، ومن هنا كانت الصلاة عمودا لخيمة الدين، إذ من الواضح أن الخيمة المطروحة على الأرض، لا تقي صاحبها حرا ولا بردا، إلا إذا أقيمت على أعمدتها.

ولهذا كثر في كلمات الأعلام الواصلين إلى مرحلة من الصلاة الخاشعة ـ تبعا لسادتهم ـ التأكيد على الإتيان بأصل الصلاة في أو ل الوقت، وذلك لمن كان يروم السفر إلى الله تعالى ومتخذا إليه سبيلا.

الصلاة بعد التمكين

٣٣ـ تتجلى أهمية الصلاة أيضا من خلال الوصف الإلهي لمن مكّنه الله تعالى في الأرض، من أنه يقيم الصلاة لقوله تعالى:﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[١]، فجعلت الآية من أو ل وظائفهم بعد التمكين في الأرض هي إقامة الصلاة، وذلك قبل إشاعة العدل في الأرض، وبسط أركان الشريعة، وتخليص المستضعفين من ظلم الظالمين وغير ذلك.. ومن هذا البيان يعلم أيضا أنَّ الأمة المقيمة للصلاة والحاكم المقيم لها، هما القادران على تحقيق مقاصد الشريعة في حركة الحياة.

الضيافة الإلهية

٣٤ـ إنَّ الصلاة ضيافة حقيقية أعدها جبار السموات والأرض لخواص عباده، فهو الذي يختار للدخول في خاصة ضيافته من يشاء من عباده، فيُلقي عليهم الخشوع والإقبال، وهذا من أهم آثار الوصول إلى درجة المخلَصين، وذلك بأن يجتبيهم لمناجاته ولذيذ خطابه كما ورد في الدعاء: «**و اخترتُهُ لِمَنَاجَاتِكَ**»[٢].

ومن هنا فإن من يرى ثقلا في أداء صلاته، فعليه أن يقدم الشكوى لصاحب الضيافة، لما يراه من انغلاق شهيته وهو في دار الإكرام والإنعام.. وفي المقابل فإن من رأى انفتاح شهيته على مائدة السلطان، فليعلم أنَّ هناك أيضا ضريبة لهذه المزية، فإنه قد يسلب منه ذلك التوفيق إذا بدر منه ما يتحقق معه سوء أدب بين يدي مليكه، أضف إلى أن العبد الملتفت يطرد العُجب عن نفسه عندما يعلم أنه دخل الضيافة بدعوة وتفضل، لا باستحقاق ومنّه له على مولاه.

---

١) الحج/ ٤١.

٢) مفاتيح الجنان، مناجاة المحبين.

والتأمل في حديث علي عليه السلام كاف لمعرفة ما على مائدة الضيافة الإلهية من بركات، حيث يقول: «**اللهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسينَ لِأوليائِكَ، وأحضَرُهُم بالكِفايَةِ لِلمُتَوَكِّلينَ عَلَيكَ، تُشاهِدُهُم في سَرائِرِهِم، وتَطَّلِعُ عَلَيهِم في ضَمائِرِهِم، وتَعلَمُ مَبلَغَ بَصائِرِهِم؛ فَأسرارهُم لَكَ مَكشوفَةٌ، وقُلوبُهُم إلَيكَ مَلهوفَةٌ، إن أوحَشَتهُمُ الغُربَةُ آنَسَهُم ذِكرُكَ، وإن صُبَّت عَلَيهِمُ المَصائِبُ لَجَؤوا إلى الاِستِجارَةِ بِكَ؛ عِلماً بِأَنَّ أزِمَّةَ الأمور بِيَدِكَ، ومَصادِرَها عَن قَضائِكَ**»[1].

أكبر المشاريع

٣٥- إن الصلاة الخاشعة مشروع من أكبر المشاريع في عالم الوجود، فهو بناء وفوق كل بناء، بل بمثابة بناء برج من أغلى وأعلى الأبراج على وجه الأرض، وليُعلم أن هذه الركعات المتعددة تحتاج إلى برنامج و مخطط، كما هو الحال في أبراج الدنيا الفانية.

ومن المعلوم أنَّ الذي ينجح في بناء طابق واحد، صار بإمكانه أن يبني الطوابق المشابهة، أي من أتقن ركعة واحدة، صار بإمكانه أن يتقن جميع صلواته بركعاتها الكاملة، بتوفيق من الله عز وجل، وذلك طبعا بعد المجاهدة والمثابرة.

المنهج الثابت

٣٦- إن الإنسان المؤمن لابد أن يكون له منهج في حياته، فبعضهم مع الأسف يعيش حالة تذبذبية، فيَقبل تارة ويدبر أخرى، ومن أسوأ أنواع النفاق هو تغير الحال في الخلوات والجلوات؛ إذ هو في الخلوات على هيئة، وفي الجلوات على هيئة أخرى.

---

١) نهج البلاغة (صبحي صالح)، ص٣٤٩.

وعليه فإن الذي لا يعيش هذه المراقبة الإلهية المتصلة، ويرى بأن هذا الجدار حائل بينه وبين الناس، فإنه متورط بدرجة من درجات النفاق، فالله تعالى يعلّق اتباع الذكر على الخشية منه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾[1]، فالذي لا يخشى الله تعالى في الغيب، فإنه لا تؤثر فيه مواعظ الأنبياء.

فالحل الجامع إذن هو أن يرى الإنسان تلك العين الإلهية التي تنظر إليه في كل حركاته وسكناته، وعندئذ تنتفي عنده تلك الحالات التذبذبية، فيصبح مثَله كمثل الطائرة التي تهتز في أو ل صعودها، ثم تحلق في مدار ثابت.

ومن المعلوم أن المشكلة في حركة السالكين إلى الله تعالى، هي هذه الحالة من التراجع والتقدم، وقد جاء تشريع الصلاة ليعيد الإنسان إلى نصابه كلما تنزل في طيرانه، وعاد إلى الأرض المليئة بأشواك التعلقات الفانية، فهي من ناحية: إرجاع لما فقده «قبل» الصلاة، وإعادة شحن للتحليق «حين» الصلاة، وتحصين له عن الفحشاء «بعد» الصلاة.

استذواق الطريق

٣٧- إن البعض يستذوق الطريق إلى الله تعالى استذواقاً، فلا جدّية له في سيره، فهو يريد أن يتشبه بالطائعين؛ فيصلي صلاة الليل فترة ثم يتركها، ويقرأ القرآن فترة ثم يتركه، فهو بذلك لا يصل إلى منطقة آمنة أبدا، بل يتراجع ويقول بلسان حاله: نحن لم نلتذ بلذائذ أهل الدنيا حتى المحللة منها، بعد أن استذوقنا شيئاً من لذائذ عالم الآخرة، والتي تذهلنا عن غيرها من اللذائذ، ومن ناحية أخرى لم نصل إلى شيء يعتد به من لذائذ عالم المعنى، فالنتيجة هي: إنه لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!.

---

١) يس/ ١١.

وليُعلم أنَّ هذه مرحلة خطيرة جداً؛ إذ إن أصحابها يُبتلون بالإحباط والانتكاسة، أضف إلى أن الذي يتراجع عن هذا الطريق، تكون الشياطين له بالمرصاد حيث تنتقم منه شر انتقام!.

ومن هنا يمكن جعل الصلاة نقطة إرتكاز لتأسيس مركز لذلك النور الإلهي أولا، ثم توسيعها تدريجيا لتشمل منطقة بين الصلاتين ثانيا، وهذا الأمر لا يتم إلا إذا كانت للصلاة قوة دافعة، تفجر ذلك النور الذي سيستوعب كل محطات الحياة، وهو لا يتم إلا بالصلاة الخاشعة والتي عُبر عنها بأنها نور المؤمن[1].

نزع بؤر التوتر

٣٨- إن الإنسان الذي له مشكلة مع من حوله زوجة أو شريكا أو جارا أو غيره، فإنه سوف لن يخشع في صلاته إلا بمجاهدة شاقة، وقد يفلح مع هذه المجاهدة وقد يفشل، وحينئذ نقول: لماذا نجعل في حياتنا اليومية بؤرة من بؤر التوتر، حتى يدخل الشيطان من خلال تلك البؤرة؟!.

ومن هنا أوصتنا الروايات بهذه الوصية: «**صِلْ مَن قَطَعَكَ، وَأعطِ مَن حَرَمَكَ، وَاعفُ عَمَّن ظَلَمَكَ**»[2] فلماذا ينتظر العاقل أن يأتي إليه من ظلمه معتذرا، فيشغل باله به؟!.. بل ليبادر طالب الإقبال على مولاه - خصوصا قبل الصلاة - إلى سد كل ما يوجب له مثل هذا التشويش الباطني وذلك حباً لنفسه؛ لأنه يحتاج إلى ذهن خال من الشواغل؛ إذ مع وجود هذه البؤر من التوتر، لا يمكنه أن يستقر في يقظة ولا نوم.

١) «الصلاة نور المؤمن»؛ مستدرك الوسائل، ج٣، ص٩٢.

٢) مسند أحمد، ج٢٨، ص٦٥٤.

التطوير نحو الأكمل

٣٩- إن الصلاة بين يدي الله تعالى هي أكبر وأهم مشروع في الحياة؛ لأنها حلقة الوصل الخالدة بين العبد وربه، ومما تُعلّق عليه قبول باقي الأعمال، لذا يجب على كل إنسان أن يسعى لتطوير صلاته نحو الأكمل وإن كان يعتقد أنها متقنة، حيث إن هنالك مرحلة أرقى مما هو فيه!.

وهناك في عالم الطبيعة قاعدة تقول: إن الجسم البشري إذا تحمّل مقدارا من الأحمال، ثم أعجزه ضعف أو مرض، فإنه سيحصل على قناعة بأن له القابلية على حملها مرة أخرى لو استعاد عافيته.

ومن هنا نقول: إن من أتقن صلاته يوما ما في المشاهد المقدسة والأزمنة المباركة مثلا، فإن هذا الإتقان كاشف عن أصل القابلية في وجوده، فلا يسترسل في إدباره؛ لعلمه أنَّ من يُقبل في مورد، صار بإمكانه أن يقبل في الموارد الأخرى فيما لو أزاح الموانع وأوجد المقتضيات.

القرب الخاص

٤٠- إن من الأغراض المرادة في المستحبات الواردة في الصلاة وغيرها، هو ربط الإنسان بما يوجب له التقرب الخاص من رب العزة والجلال، إضافة إلى ما يوجب القرب العام المتحقق بأصل الفريضة.

وعليه فإن الملتزم بالمستحبات الصلاتية - وهي مكتنفة لمعظم أجزاء الصلاة - يجعل صلاته في دائرة القبول الخاص، فكأنّ الله تعالى جعل لخاصة أوليائه طريقا إضافيا للتودد إليه، وبذلك يكون إتيانهم بالمستحب مقترنا بالرغبة والشوق تحصيلا للقرب الخاص من المولى، لا إسقاطا للتكليف أو طلبا لبعض المزايا المحسوسة.

ومن غرر الروايات في هذا المجال، ما تسمى برواية «قرب النوافل» التي رواها الفريقان، والدالة على أنَّ العبد لا يصل إلى الدرجات العليا

إلا من خلال النوافل، فقد روي عن أبي جعفرعليه السلام كما روي عنه: **«إِنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ قَالَ: مَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَ إِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَ لِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُه»**[1].

تكرار الامتحان

٤١- إن الصلوات اليومية متكررة في غالبها كالظهرين و العشاءين، خلافا لصلاة الفجر. فكأنّ العبد لو سقط في الامتحان الأول كصلاة الظهر مثلا، أمكنه التدارك في الصلاة اللاحقة لها. وهكذا في صلاة المغرب، فشأنه في ذلك شأن من يعيد امتحانه فيما لو لم ينجح فيه تداركا لما فاته، وهذه صورة من صور الرحمة الإلهية المتوجهة للعباد، حيث فتح له باب التدارك والتعويض، إلى درجة أذن له بالقضاء حتى لو فاتته الفريضة عمدا، إذ لعله بذلك قد يعيد ما سُلب منه في علاقته بربه.

نفخ الروح

٤٢- لو أن آدمعليه السلام بقي على هيئته الطينية لما كان أباً للخليقة، ولكن رب العالمين نفخ فيه من روحه، فجعله صفوة خلقه، وهكذا نقول - قياسا على ذلك - عن صلواتنا: إنها لو بقيت على هيئتها البشرية من الحركات البدنية لما صارت سبيلا من سبل التقرب إلى الله تعالى، فإنها تنتظر تلك النفحة الإلهية لتتحول إلى ما يحقق المعراجية الإلهية، وهذه النفخة الإلهية للرب مرتبطة بجهد العبد، كمثل الروح الإلهية

---

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص٧٢.

التي نفخت في مريمعليها السلام بعدما هي أحصنت فرجها، أو الرطب الذي تساقط عليها بعدما هي هزت نخلتها.

تسويل الشيطان

٤٣- إن الشيطان يسول لبعضهم قائلا: إنه ما دمت مرهقا بالمعاصي والذنوب، فَلِم الإتيان بصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟!..

والجواب عن هذا التسويل الإبليسي: إن هذا الوجود الناقص خير من العدم أولا، ومن الممكن أن يكون هذا الوجود الظاهري مقدمة للوجود الواقعي للصلاة، والمتمثلة في النهي عن المنكر ثانيا، فمن كان متدليا في بئر بخيط رفيع لا يقطعه، بدعوى أن هذا الخيط لا يعتد به!.

والشاهد على ذلك ما روي أن فتى من الأنصار كان يصلّي الصلاة مع رسول اللهصلى الله عليه وآله ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: «**إِنَّ صَلَاتَهُ تَنْهَاهُ يَوْماً مَا**»، فلم يلبث أن تاب.[١]

رد الأعمال

٤٤- هنالك سؤال احتار بعضهم في جوابه، وذلك حول الحديث المشهور: «**إِنَّ الصَلاةَ عَمُودُ الدِينِ، إِن قُبِلَت قُبِلَ مَا سِوَاهَا، وَإِن رُدَّت رُدَّ مَا سِوَاهَا**»[٢].. فلنتصور إنسانا صلى وقام بباقي الصالحات، ثم لم تُقبل صلاته فكيف تُرد سائر أعماله، والحال إن الله تعالى وعد الجزاء على مثقال ذرة، فكيف بما هو أعظم منها؟!.

والجواب: إن الكلام هنا في القبول لا في الإجزاء، فمن لم تُقبل صلاته لخلل في فعله، كشف عدم القبول عن خلل في ذاته، وهو السبب بعينه في

---

١) بحارالأنوار، ج٧٩، ص١٩٨.

٢) الأمالي (للصدوق)، ص٦٤١.

رد باقي الأعمال، بمعنى عدم استحقاقه للدرجات وإن رفعت عنه الدركات.

وبعبارة أخرى: إن للصلاة حيثيتين: حيثية الإجزاء وحيثية القبول، فالصلاة التي تتجاذبها الأوهام والخواطر، قد تكون مجزية ومسقطة للعقاب ولكنها غير مقبولة، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] فقد جعل الله تعالى التقوى فيها شرطاً للقبول، وفرقٌ واضح بين الإجزاء وبين القبول!.. كما أن هناك فرقا بين من يأتي يوم القيامة ولا يُجعل في خانة تاركي الصلاة، وبين من تكون صلاته معراجاً إلى الله تعالى!.

ركعتان مقبولتان

٤٥ـ لو جاء العبد يوم القيامة، وكُشفت له عن دواوين أعماله، فلم يُر في ديوان عمله إلا ركعتين خالصتين مقبولتين ـ بعد تساوي حسناته مع سيئاته ـ كانت هذه الصلاة كافية لإدخاله الجنة إلى أبد الآبدين، فكم هي عظمة الصلاة الخاشعة وقوتها في السعادة الأبدية للعبد!.. وهو ما يستفاد من رواية النبي صلى الله عليه وآله: **«فَإذا قُمْتَ إلى الصَّلاةِ وَتَوَجَّهْتَ وَقَرَأْتَ أُمَّ الْكِتَابِ وَمَا تَيَسَّرَ لَكَ مِنَ السُّوَرِ، ثُمَّ رَكَعْتَ فَأَتْمَمْتَ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَتَشَهَّدْتَ وَسَلَّمْتَ، غُفِرَ لَكَ كُلُّ ذَنْبٍ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي قَدَّمْتَهَا إلى الصَّلَاةِ الْمُؤَخَّرَة»**[2].

معاملة التارك للصلاة

٤٦ـ قد تم وصف الصلاة من قِبل المعصومين عليهم السلام بعبارات مختلفة، منها: **«الصَّلَاةُ مِعَراجُ الْمُؤمِنِ»**[3]، و**«الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِ تَقِي»**[4] و**«الصَّلَاةُ**

---

١) المائدة/ ٢٧.

٢) الأمالي (للصدوق)، ص٥٤٩.

٣) بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٥٥.

٤) الكافي، ج٦، ص١٠.

عَمُودُ الدّينِ»[1] مما يدل على أنه ليست هناك عبادة في الشريعة تضاهي الصلاة في موقعها، ومن هنا يُعلم موقع تارك الصلاة، وأنه في حد الكفر بالله العظيم، فقد روي: «**مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّداً، فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**»[2]، إذ كم من الشقاء أن لا يشكر العبد من أنعم عليه بأنواع النعم، وذلك من خلال ركيعات لا تكلفه الكثير من العناء!.

ومن هُنا أُمرنا بأن لا نزوج هذا الإنسان، ونلقاهُ بوجهٍ مكفهر، ولا نؤاكله، ولا نُسافر معه، ولا نُصادقهُ، إذ قد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنْ نَلْقى أَهْلَ المَعَاصِي بِوُجُوهٍ مُكْفَهِرَّة**»[3] وأي معصية أعظم من ترك ما هو عمود للدين!

أحسن الصور المخلوقة

٤٧ـ ورد تعبير عن الرضا عليه السلام لا نظير له حول الصلاة، ألا وهو: «**إِنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ للهِ، وَ هِيَ أَحْسَنُ صُورَةٍ خَلَقَهَا اللهُ، فَمَنْ أَدَّاهَا بِكَمَالِهَا وَ تَمَامِهَا فَقَدْ أَدَّى وَاجِبَ حَقِّهَا، وَمَنْ تَهَاوَنَ فِيهَا ضُرِبَ بِهَا وَجْهُهُ**»[4].

فكأنّ الصلاة ـ على هذه الرواية ـ بمثابة مخلوق بهيّ المنظر، ومثَلها كمثل الحور العين، ولكن أين جمال الحور من الصلاة؟.. فالحور مخلوقاتٌ خلقها الله تعالى ليستمتع بهن الرجال في الجنة، أما الصلاة فهي العلاقة المتميزة بينه وبين أنبيائه ورسله، ووصلة الاستمتاع والمؤانسة بينه وبين خلقه.

و قد روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ما يبين هذه العلاقة المميزة بربه

---

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص٢٧.

٢) الكافي، ج٣، ص٧٠٥.

٣) الكافي، ج٩، ص٤٩٢.

٤) بحارالأنوار، ج٨١، ص٢٤٦.

حيث قال: «لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَ لَا نَبِيٌ مُرْسَل»[١] ومن الواضح أن من أجلّ مواطن هذه الحالات هي هذه الصلاة.

تعميق المعرفة

٤٨- إن من يريد التوفيق للصلاة الخاشعة، عليه أن يبدأ بتعميق عنصر المعرفة في وجوده، فبمقدار ما يتسامى في معرفة مقامات الربوبية، فإنه يقترب بنفس النسبة من دائرة الجذب الإلهي له، وتبعا لذلك تنصب عليه أنوار محبته ومودته، إلى درجة لا يطيق المحب أن يتأخر عن أو ل وقت الصلاة، تلهفا لما في اللقاء من اللطف والمؤانسة.

وهذا هو الذي نفهمه من وصف المعصوم لمعصوم آخر مثله، وهي رواية الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «إِنِّي رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام إذا قَامَ فِي الصَّلَاةِ، غَشِيَ لَوْنَهُ لَوْنٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: وَ اللهِ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ يَعْرِفُ الَّذِي يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ»[٢].

جلب المودة

٤٩- إن من آثار إتقان الصلاة هو جلب مودة الناس إلى المصلي الخاشع، فما من شك أنَّ هذه الصلاة من أفضل مصاديق ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، حيث الوعد الإلهي بعدها في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدّاً﴾[٣]، والسر في ذلك: إن من يُقبل على الله تعالى بقلبه فإن الله تعالى سيُقبل عليه، ومن أقبل الله تعالى عليه، ساق جميع النعم إليه فيما يصلحه - بما في ذلك قلوب العباد - بمقتضى لطفه وكرمه.

---

١) مرآة العقول، ج١٥، ص٤٦٩.

٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٤.

٣) مريم/ ٩٦.

وقد دلت الرواية على هذه الحقيقة، حيث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إِنِّي لَأُحِبُّ لِلرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ مِنْكُمْ إذا قَامَ فِي صَلَاةٍ فَرِيضَةٍ، أَنْ يُقْبِلَ بِقَلْبِهِ إلى اللهِ تعالى، وَ لَا يَشْغَلَ قَلْبَهُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ فِي صَلَاتِهِ إلى اللهِ تعالى إِلَّا أَقْبَلَ اللهُ إليه بِوَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إليه بِالْمَحَبَّةِ، بَعْدَ حُبِّ اللهِ إِيَّاهُ**»[1].

المحبوبية في السماء

٥٠- من الممكن أن يتمتع المصلي الخاشع بمزايا المودة الإلهية المجعولة في قلبه تأثيرا على أسرته، وإرشادا للمسترشدين به، بل حتى جذبا للآبقين من عباد الله تعالى، ولكن الأهم من كل هذه المزايا في الأرض، هو أن يكون العبد محبوبا في السماء؛ بدءا بالملائكة وانتهاءا برب العزة والجلال، وهو ما نطلبه في الزيارة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام داعين الله تعالى: «**مَحْبُوبَةً فِي أَرضِكَ وَسَمائِكَ**»[2].

والشاهد على كل ما ذكرناه آنفا، هي غرة من غرر دررهم مما رواه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: «**إذا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً مِنْ أُمَّتِي، قَذَفَ فِي قُلُوبِ أَصْفِيَائِهِ وَأَرْوَاحِ مَلَائِكَتِهِ وَسُكَّانِ عَرْشِهِ مَحَبَّتَهُ لِيُحِبُّوهُ، فَذَلِكَ الْمُحِبُّ حَقّاً، طُوبَى لَهُ ثُمَّ طُوبَى لَهُ، وَ لَهُ عِنْدَ اللهِ شَفَاعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

وقد يتساءل بعضهم عن الطريق إلى هذه المودة المجعولة، والجواب أيضا هو ما نستقيه من مرشد الأمة ودليلها، حيث يقول صلى الله عليه وآله: «**تفَرَّغُوا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا مَا اسْتَطَعْتُمْ، فإنهُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ تعالى بِقَلْبِهِ، جَعَلَ اللهُ قُلُوبَ الْعِبَادِ مُنْقَادَةً إليه بِالْوُدِّ وَ الرَّحْمَةِ، وَ كَانَ اللهُ إليه بِكُلِّ خَيْرٍ أَسْرَعَ**»[4].

---

١) وسائل الشيعه، ج٥، ص٤٧٥.

٢) مفاتيح الجنان، زيارة أمين الله.

٣) . بحارالأنوار، ج٦٧، ص٢٤.

٤) بحارالأنوار، ج٧٤، ص١٦٦.

ساعة النشاط

٥١- تمر على الإنسان حالات من الإدبار والكسل والنعاس، ومن المعلوم أن إيقاع الصلاة في مثل هذه الأوقات، لمن موجبات عدم الإتيان بصلاة خاشعة.

وعليه فلا بد أن يختار العبد لعبادة ربه ساعة يخلو فيها من موجبات التثاقل عن العبادة، ومن موجبات رفع ذلك هو: علمه بأن الصلاة في تلك الحالة لمن موجبات الردّ، وإن عليه الخروج من فلك التفكير في الذات إلى التفكير في عظمة من يواجهه في صلاته، وهذه هي وصية أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «**لَا يَقُومَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ مُتَكَاسِلًا وَلَا نَاعِساً، وَ لَا يُفَكِّرَنَّ فِي نَفْسِهِ فإنهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وإنما لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ**»[1].

موجبات الشفاعة

٥٢- إن العبد مهما حرص على إتقان العمل، فإنه سيأتي يوم القيامة وعليه الكثير من التبعات التي توجب رد العمل، إضافة إلى ذلك، انكشاف الخلل الذي لم يكن يُعذر فيه في مجمل أعماله، ومن هنا لا بد أن تتداركه الرحمة الإلهية بوسائطها، ومنها شفاعة أولياء الأمر في عرصات القيامة. ولكن ليُعلم أن هذه الشفاعة لا تُمنح إلا لمن خرج من دائرة الاستخفاف بالصلاة، ومن الممكن أن يصدق هذا العنوان على من أمكنه الإقبال في صلاته، ولكنه لم يُقبل فيها عمدا وباختياره.

واللافت هنا إن هذا التحذير هو آخر ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال أبو الحسن الأول عليه السلام: «**لما حَضَرَ أَبِي الوَفاةَ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لَا يَنَالُ شَفَاعَتَنَا مَنِ اسْتَخَفَّ بِالصَّلَاة**»[2].

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٧.

٢) الكافي، ج١٢، ص٦٨٧.

هالة العظمة

٥٣- إنَّ من بركات الصلاة الخاشعة، هي إحاطة المصلي بهالة من العظمة والهيبة، تجعل الشياطين تخاف الاقتراب منه؛ لأنه صار شأنا من شؤون المولى، وحاشا لإبليس أن يقترب ممن تولى الله تعالى الدفاع عنه، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[١]، بل إن الشيطان يكتفي بالدعاء بالويل والثبور على نفسه، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ إذا سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، نَادَى إِبْلِيسُ يَا وَيْلَهُ!.. أَطَاعُوا وَعَصَيْتُ، وَسَجَدُوا وَأَبَيْتُ**»[٢].

وليعلم أنَّ العكس صادق أيضا، فإن من ضيّع الصلاة - ولو بتركها في أو ل الأوقات- طمع الشيطان فيه؛ لأن من صرف وجهه عن الله تعالى صرف الله تعالى وجهه عنه، وبذلك صار مطمعا للشياطين الحاقدة على بني آدم بعد أن ترفع الحصانة عنه، وهذا هو الذي بيّنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله: «**لَايَزَالُ الشَّيْطَانُ ذَعِراً مِنَ الْمُؤْمِنِ مَا حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، فَإِذا ضَيَّعَهُنَّ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ، فَأَدْخَلَهُ فِي الْعَظَائِمِ**»[٣].

ومن هنا يحسن بالمصلي أن يكثف من عبارات الالتجاء والاستعاذة بالله تعالى من همزات الشياطين، وذلك قبل تكبيرة الإحرام، ليدخل الحرم الإلهي المعنوي بهذه الحالة من الحصانة، كما أنَّ المُحرم بعد عقد الإحرام في الميقات، يدخل حدود الحرم الإلهي المادي.

موقع العبد من ربه

٥٤- إن بعضهم يحب أن يعرف موقعه من رب العالمين، وهل هو

---

١) الحج/٣٨.

٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص٣٩.

٣) الكافي، ج٦، ص٢٠.

راض عنه أم ساخط عليه؟! وطوبى لمن يعيش هذا الهاجس المقدس، ولكن بشرط عدم الالتجاء إلى ما لا يورث له اليقين، كالسؤال من الغير ـ وإن كان من الصالحين من زمانه ـ أو ينتظر مناما أو كشفا أو تجليا حسيا أو ما شابه ذلك، والحال أن من لا يعرف واقع نفسه، كيف يشخّص واقع غيره، ومن هنا يأتي دور الصلاة للكشف عن حقيقة الإنسان ومدى قربه من ربه، فإن الصلاة لقاء من الرب المتعال، فإذا كان اللقاء مصحوبا بشوق وحنين، انكشفت بذلك قوة العلاقة بين المتلاقين كما هي العادة.

ولنذكر بهذا الصدد رواية ملفته عن الإمام الصادق عليه السلام حيث جعل الملاك في المدح والثناء، هي كيفية الإتيان بهذه الصلاة، حيث يقول الراوي: ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِنَا، فَأَحْسَنْتُ عَلَيْهِ الثَّنَاءَ، فَقَالَ لِي: «**كَيْفَ صَلَاتُهُ؟**»[1].

العطاء المتبادل

٥٥ـ إن الصلاة بمثابة الأرض التي إن أعطيتها حقها من السقي والري أخرجت لك شيئا من بركاتها، أو بمثابة من تشتري منه السلعة، فكلما زدت الثمن زادك من المثمن، وهذا ما يجسّده ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: «**الصَّلَاةُ مِيزَانٌ، مَنْ وَفَّى اسْتَوْفَى**»[2].

فلا ينبغي أن يقنع الإنسان بقدر من السعي في إتقان صلاته، فإن المجال رحب للترقي في هذا المجال، إلى درجة يعبر عنها الإمام الصادق عليه السلام في ابتهاله حيث يقول: «**سَيِّدِي أَنَا مِنْ حُبِّكَ جَائِعٌ لَا أَشْبَعُ، أَنَا مِنْ حُبِّكَ ظَمْآنُ لَا أَرْوَى، وَا شَوْقَاهْ إِلَى مَنْ يَرَانِي وَ لَا أَرَاه**»[3].

---

١) الكافي، ج٦، ص٦٤٨.

٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص٣٣.

٣) بحار الأنوار، ج٩٤، ص٣٣٨.

صلاة المودع

٥٦ـ إنَّ من موجبات إتقان الفريضة، هو الالتفات إلى أن هذه الفريضة، قد تكون آخر ما يلقى به العبد ربه، فمن أين له اليقين بالاستيقاظ بعد النوم مثلا؟!.

وعليه فمن يحتمل أن هذا هو آخر لقاء له مع من يحب، فإنه يبالغ في مؤانسة من سيودعه، إذ قد لا يعود إليه ثانية، ومن هنا وردت في الروايات عبارة «صلاة المودع» فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا صَلَّيْتَ صَلَاةً فَرِيضَةً فَصَلِّهَا لِوَقْتِهَا صَلَاةَ مُوَدِّعٍ يَخَافُ أَنْ لَا يَعُودَ إليها أَبَداً، ثُمَّ اصْرِفْ بَصَرَكَ إلى مَوْضِعِ سُجُودِكَ، فَلَوْ تَعْلَمُ مَنْ عَنْ يَمِينِكَ وَ شِمَالِكَ لَأَحْسَنْتَ صَلَاتَكَ، واعْلَمْ أَنَّكَ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَرَاكَ وَ لَا تَرَاهُ**»[١].

تعجب الملائكة

٥٧ـ إنَّ الملائكة المستأنسة بالعبادات ـ وهي التي لا تفتر عن التحميد والتقديس وترى ما ترى من الآيات الباهرة ـ تتعجب من هجران العبد فراشه، للإتيان بنافلة لم يفترضها عليه رب العالمين، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إِنَ الْعَبْدَ يَقُومُ فَيُصَلِّي النَّافِلَةَ، فَيُعَجِّبُ الرَّبُّ مَلَائِكَتَهُ مِنْهُ، فَيَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي، عَبْدِي يَقْضِي مَا لَمْ أَفْتَرِضْ عَلَيْهِ**»[٢]، وقد يتفق أن يسجد فينام في سجوده، فيكون جسمه في الأرض وروحه في السماء.

فكم هي عظمة العبد الذي يُلفت نظر تلك الموجودات المقدسة؟!..، وكم هو العجب ممن يتسافل إلى درجة يكون فيها أضل من البهائم؟!.

---

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص٣٤.

٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص٧٢.

دور العقل

٥٨- إنَّ الإسلام دين التعقل والتفكر، فبالعقل يتم الاعتراف بالعقيدة ليترتب بعدها الإذعان بالشريعة، والعقل هو أول ما خلقه الله تعالى، وبه يثاب المرء ويعاقب، وبالتفكر - الذي هو رشحة من رشحات العقل - يفتتح المؤمن قيامه في الليل قائلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[١].

وفي هذا السياق نقول: بأن هذا التعقل إذا انضم إلى التعبد لتحققت الأعاجيب، ومن مصاديقها التفكر حين الصلاة التي أشار إليها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقوله: «**يَا أَبَا ذَرٍّ رَكْعَتَانِ مُقْتَصَدَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَ الْقَلْبُ سَاهٍ**»[٢]، بل قد يكون الأجر أكثر من ذلك، إذا سببت تغييرا في مسيرة العبد كما ورد: «**تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيرٌ مِن عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً**»[٣].

المراقبة المتصلة

٥٩ - إن الذي يريد الصلاة الخاشعة من خلال الطيب، واللباس النظيف، وحتى من خلال حضور الجماعة في المسجد وغيره من مكمّلات الصلاة، عليه أن يعلم أنَّ ما ذكر لا يلازم بالضرورة الاتيان بالصلاة الخاشعة؛ إذ إنه لا بد من عمل دائب على تصفية القلب الذي هو في مرمى الشيطان الذي يحوم حوله، وهو لا يتم إلا من خلال المراقبة المتصلة، لتحقيق المحضرية الإلهية من ناحية، وللسيطرة على ما يدور في جنبات النفس من ناحية أخرى.

وهذا كله لا يكون إلا بغلبة الحب الإلهي على جوانب القلب، والموجب

---

١) آل عمران/ ١٩٠.

٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص٧٤.

٣) بحارالأنوار، ج٦٦، ص٢٩٣.

للذهول عمن سواه، وقد ورد في هذا المجال عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «حُبُّ اللهِ نَارٌ لَا يَمُرُّ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ، وَ نُورُ اللهِ لَا يَطْلُعُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَضَاء»[1].

الحب الخالص

٦٠- إن الكثير منا لم يذكر رب العالمين طوال حياته ذكراً مركزاً - أعني بقلب فارغ من كل ما سواه تعالى - ولو لدقيقة واحدة. فأما العبادات اللفظية فإذا لم يوافقها القلب فهو عمل لساني محض، ولا ينبغي أن نجعلها في دائرة الذكر الإلهي الخاص، فالبعض عندما يصلي فإنه يذكر كل شيء في الصلاة، إلا ما يتعلق بالمولى المتعال.

وعليه فإن الصلاة تمرين يومي للوصول إلى هذه الحالة من الانقطاع إليه، وتحقق الحب الخالص له، ومن دون تحقيق هذا الحب الخالص، فإنه لا يمكن أن يسمو الإنسان في صلاته؛ لأنه لامعنى للحديث مع جهة يجهلها الإنسان، وخير ما يجسد لنا هذه العلاقة الرقيقة مع رب العالمين، هو ما روي عن الإمام السجاد عليه السلام: «وَ عِزَّتِكَ لَقَدْ أَحْبَبْتُكَ مَحَبَّةً اسْتَقَرَّتْ فِي قَلْبِي حَلَاوتُهَا، وَ آنَسَتْ نَفْسِي بِبِشَارَتِهَا، وَ مُحَالٌ فِي عَدْلِ أَقْضِيَتِكَ أَنْ تَسُدَّ أَسْبَابَ رَحْمَتِكَ عَنْ مُعْتَقِدِي مَحَبَّتِك»[2].

التركيبة المتكاملة

٦١- إن الصلاة عبارة عن تركيبة متكاملة؛ إذ فيها عناصر عديدة ولازمة لتغذية الروح البشرية، ولو كان في علم الله تعالى مركبا أجمع من الصلاة لكلفنا المولى بذلك المركب، فالصلاة فيها:

---

١) بحارالأنوار، ج٦٧، ص٢٣.

٢) . بحارالأنوار، ج٩١، ص١٧٠.

- تمجيد لله تعالى بذكر وحدانيته وكبريائه وإنه لا تحيط به العقول، وذلك من خلال مضامين الإقامة والأذان.
- تلاوة لكتاب الله عز وجل، حيث إن هناك سورة إلزامية وهي سورة الحمد، وسورة اختيارية من مجموع القرآن الكريم.
- محطة للدعاء وهو القنوت، حيث يمكن للإنسان أن يدعو فيه بكل ما يشاء.
- خضوع وخشوع لله عز وجل، حيث الخضوع حينما ينحني العبد راكعا، و الخشوع حين يخر ساجدا بين يدي الله سبحانه وتعالى.
- طلب المباركة للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذي لولاه لما صمنا ولما صلينا، وذلك من خلال الذكر المتكرر للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في الأذان، والإقامة، والركوع، والسجود، والتشهد، والتسليم.

صلاة الأنبياء جميعا

٦٢-إن تشريع الصلاة تشريع قديم، وذلك قِدم تاريخ الأنبياء عليهم السلام فهي صلة الوصل الثابتة بينهم وبين الله تعالى على اختلاف كيفية أدائها، ومن الشواهد على ذلك هو أن الله تعالى عندما أمر موسى عليه السلام للعمل التبليغي، مقارعة لفرعون وتخليصا لبني إسرائيل، قال له: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾[١]، حيث جعل الصلاة مقدمة لإقامة ذكر الله عز وجل، وكذلك ما ورد على لسان ابراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ﴾[٢]، ومنها ما ورد عن اسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ﴾[٣]، ومنها ما ورد عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ﴾[٤]،

---

١) طه/ ١٤.
٢) إبراهيم/ ٤٠.
٣) مريم/ ٥٥.
٤) مريم/ ٣١.

ومنها الوصية لبني اسرائيل عموما: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[1].

ومن المعلوم أن ما بُدئ زرعه في أول الرسالات السابقة، سيتم حصاده في ختام الرسالات أيضا، أي عندما يورّث الله تعالى الأرض للصالحين في زمان الظهور، فإن ثمرة التمكين في الأرض هي إقامة الصلاة أيضا كما يفهم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾[2]؛ فأول منهج للحاكم الإسلامي قبل باقي الأمور، هي إقامة الصلاة ـ طبعا ـ بمعناها الجامع.

تجلي العبودية والربوبية

٦٣ـ إن الصلاة هي تجلّ لذلة العبودية من جهة العبد، وتجل لعظمة الربوبية من جهة المولى، فبالصلاة تتحقق العبودية من ناحية، وتتجلى الربوبية من ناحية أخرى، كما قال الإمام علي عليه السلام: «**إِلَهِي كَفَى بِي عِزّاً أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْداً، وَ كَفَى بِي فَخْراً أَنْ تَكُونَ لِي رَبّاً**»[3].

فإذا نظر المصلي إلى نفسه استشعر جو العبودية لله تعالى، وإذا نظر إلى خالقه عاش عظمة الربوبية، فالمصلي الخاشع يتردد بين هذين اللونين حين صلاته، ويا له من شعور!.

همّ إقامة الصلاة

٦٤ـ إن من موجبات النجاح في تحقيق الصلاة الخاشعة، هو أن يحمل الإنسان همّ إقامة هذه الفريضة كما يريدها الله تعالى؛ إذ إن من حمل همّ شيء أتقن الإتيان به، وهذا هو ما يذكره علماء التنمية

---

١) البقرة/ ٨٣.

٢) الحج/ ٤١.

٣) بحارالأنوار، ج٧٤، ص٤٠٠.

البشرية، كشرط أو ل من شروط التحفيز الإبداعي في المجال الذي يدخله الإنسان المتدرب!.

ومن الأمثلة على ذلك: من يحمل همّ الزواج بامرأة ما، فإنه يقتحم اللجج للوصول إلى بغيته، وهو ما نقرأه في قصص أهل الغرام بالفانيات.. وعليه نقول: إنه لا بد لمن يروم الإقبال في صلاته، أن يحمل في نفسه همّ إتقان الوقوف بين يدي ملك الملوك، والذي بيده نواصي الأمور كلها، وقد ورد عن النبي الأكرمﷺ أنه قال: «**وَ لْيَكُنْ أَكْثَرُ هَمِّكَ الصَّلَاةَ، فإنها رَأْسُ الْإِسْلَامِ**»[1].

ومن أهم آثار حمل هذا الهمّ، هو أن يدخل العبد في دائرة الجذب الإلهي للعبد، وهو ما قد يغني عن المجاهدات الشاقة والرياضات المتواصلة، وذلك لأن من صار محبوبا عنده، يتم الإعلان عن حبه في العرش، ومن ثم القبول في الفرش، وهو ما روي عن النبيﷺ: «**إنَّ اللهَ تَعالَى إذَا أَحَبَّ عَبدَاً دَعَا جِبرَئيلَ فَقَالَ: إنِّي أُحِبُّ فُلانَاً فَأَحَبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبرَئيلُ ثُمَّ يُنادِي فِي السَّماءِ فَيَقُولُ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانَاً فَأَحبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرضِ**»[2].

مجالسة المحبوب

٦٥- إن أهل الدنيا عندما ينتابهم الضيق والتبرم، يلجؤون إلى ما يفرّج عنهم، وذلك من خلال الاستمتاع بالمأكول والمشروب والمنكوح، ومن المعلوم أن الباطن لا يستقر بما هو خارج الذات؛ لأن صاحب اللذة الحسية مستأنس بها مادام مشغولا بتلك اللذة، مضافا إلى أن لذائذ الدنيا تحتاج إلى مقدمات لا يتسنى لكل أحد تحقيقها، والحال أن

---

١) تحف العقول، ص٢٦.

٢) نهج الفصاحة، ص ٢٩٠.

المؤمن الواصل إلى رتبة القرب من الحق، يرى تمام اللذة في الحديث مع محبوبه الأعظم، حيث إن الذكر كما روي، قوت النفوس و مجالسة المحبوب، وهذا لا يكلفه جهدا ولا مالا، بل يخلو بربه حيث شاء من ليل أو نهار، فالأمر كما يقول إمامنا السجاد عليه السلام في مناجاته: «**وَ الحَمْدُ للهِ الَّذِي أُنَادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي، وَ أَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي، بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي**»[1].

والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان على رأس من كان يعيش مثل هذه الحالة، حيث روي عنه في خطابه لأبي ذر: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَ اللهَ جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ، وَحَبَّبَهَا إِلَيَّ كَمَا حَبَّبَ إلى الجائِعِ الطَّعَامَ، وَإلى الظَّمْآنِ الماءَ، فإن الجائعَ إذا أَكَلَ الطَّعَامَ شَبِعَ، وَإذا شَرِبَ الماءَ رَوِيَ، وَ أَنَا لَا أَشْبَعُ مِنَ الصَّلَاةِ**»[2].

مقياسية الصلاة

٦٦ـ قد يتفق لأحدنا أن يُعجب بأحدهم، فيبالغ في الثناء عليه، وقد يكون سببا في تزويجه أو مشاركته أو مجاورته، والحال أن المؤمن حريص على أن لا يقول إلا حقا، وخاصة عند تقييمه للعباد في المشورة اللازمة.

ومن هنا قد يتساءل البعض: وأين لنا بمعرفة كنه الآخرين، والحال أن الإنسان يجهل واقع نفسه، وبطريق أولى لا يعلم واقع غيره؟! والجواب إن هناك طرقا لمعرفة الأشياء كما هي عليها، و منها - وهي أهمها - إنارة الله تعالى لقلب عبده المؤمن، فيصبح ويمسي بنوره الذي يقذفه مولاه في قلبه، ومن طرق معرفة الغير أيضا - مقدمة لتزكيته - هو توفيقه للصلاة الخاشعة وخاصة في بيوت الله تعالى، فإن هذا كاشف

---

١) بحارالأنوار، ج٩٥، ص٨٢.

٢) الأمالي (للطوسي)، ص٥٢٨.

عن كمال باطني وقرب إلهي للعبد، يمكن أن يعوّل عليه الإنسان في مقام التقييم والتزكية، ويؤيد ذلك ما ورد في خصوص الالتزام بحضور المساجد، حيث روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ المَسْجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ**»[1].

قضاء الحوائج بالصلاة

٦٧ـ إن الطبيعة البشرية لبني آدم، تدعوه إلى النظر إلى ربه كوسيلة لقضاء حوائجه الدنيوية، ولا ضير في أن يوظّف العبد هذه الطبيعة لربط نفسه بعالم الغيب، إلى أن يصل إلى مرحلة التجرد من كل ضميمة فانية، ومن هنا يمكن للإنسان أن يحفّز نفسه من أجل التركيز في صلاته وعدم الإقبال ـ ولو الذهني ـ على غير الله تعالى، وذلك عندما يستذكر حوائجه الضاغطة عليه.

وهناك ما يشير إلى هذه الحقيقة وهي رواية الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**إِذَا قَامَ العَبْدُ فِي الصَّلاةِ فَخَفَّفَ صَلاتَهُ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى لِمَلائِكَتِهِ: أَمَا تَرَوْنَ إِلَى عَبْدِي كَأَنَّهُ يَرَى أَنَّ قَضَاءَ حَوائِجِهِ بِيَدِ غَيْرِي، أَمَا يَعْلَمُ أَنَّ قَضَاءَ حَوائِجِهِ بِيَدِي**»[2].

الردع عن الباطل

٦٨ـ إن من أهم آثار الصلاة الخاشعة هو الردع عما يسخط الله تعالى، وذلك للمضامين التي يقرّ بها ـ صادقا ـ في صلاته، من أنه عابد لله حصرا ومستعين به كذلك، وذلك عندما يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3] فمن قالها بصدق والتفات وتعهد بمضمونه، كيف

---

١) سنن الترمذي، ج١٠، ص١٠٢.

٢) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، ص٦٦٣.

٣) الفاتحة/ ٤.

يخالفها بعد صلاته مباشرة؟!.. إذ إنه بذلك يكون كالمستهزئ بربه، وهو مما يوجب له التعجيل في العقوبة، وهذا هو السر في الإحساس بقسوة القلب بعد الإقبال في الصلاة، وذلك عند ارتكاب معصية ـ ولو صغيرة ـ بعدها.

وقد روي في هذا المجال عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**اعْلَمْ أَنَ الصَّلَاةَ حُجْزَةُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا أَدْرَكَ مِنْ نَفْعِ صَلَاتِهِ فَلْيَنْظُرْ؛ فإن كَانَتْ صَلَاتُهُ حَجَزَتْهُ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَ الْمُنْكَرِ، فإنما أَدْرَكَ مِنْ نَفْعِهَا بِقَدْرِ مَا احْتَجَزَ، وَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللهِ فَلْيَعْلَمْ مَا للهِ عِنْدَه**»[1].

ولا بد من التوقف مليّا في ختام هذا الحديث، فإنها من أهم قواعد القرب إلى الله تعالى في الصلاة وغيرها، حيث يبين عليه السلام معادلة التجاذب المتبادل بين العبد وربه، فقدر العبد عند ربه، يقارن بمقدار ما يوقر ربه في قلبه.

الإتمام بالنوافل

٦٩ـ إن من الأمور التي تورث الإقبال في الفرائض، هو الاهتمام بالنوافل ـ وخاصة السابقة للفريضة ـ كنافلة الظهرين والفجر؛ لأن العبد من خلال ذلك يتهيأ للفريضة، فمثَله كمثل من يتهيأ لمواجهة خصمه، فيتمرن قبلها ليستجمع قواه، وتتبين عنده نقاط ضعفه من قوته، ولاريب أن الصلاة فيها مواجهة مع الأبالسة المانعة من الإقبال على الصلاة.

ومما يدل على أن النافلة متممة للفريضة ـ ولو من هذه الحيثية ـ ما نقله الراوي حيث قال: «**رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ع يُصَلِّي فَسَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ، فَلَمْ يُسَوِّهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: وَيْحَكَ أَتَدْرِي بَيْنَ يَدَيْ مَنْ كُنْتُ، إِنَّ الْعَبْدَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَلَاةٌ إِلَّا مَا أَقْبَلَ مِنْهَا، فَقُلْتُ:**

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٦.

جُعِلْتُ فِدَاكَ هَلَكْنَا فَقَالَ: كَلَّا، إِنَّ اللهَ مُتَمِّمُ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالنَّوَافِلِ»[١].

ضبط طائر الخيال

٧٠- إن العبد مهما بالغ في صرف طائر الخيال إلى حيث يحب في صلاته، فإنه سيرى أن الأمر أصعب مما كان يظن ويحاول، فإن السيطرة على الجوارح - أمرًا ونهيًا - لهو أمرٌ هين عند السائر إلى الله تعالى، وبعده السيطرة على الجوانح حبا وبغضا، ولكن الذهن البشري فرار غير قار، فلا يمكن السيطرة عليه بمحض الإرادة، ومن هنا لزم التدخل الغيبي الخاص في إعانة العبد على جعل كل زوايا وجوده بيده وتحت سيطرته، ومنه الجارحة والقلب والذهن.

و لكن هذه الرواية مما يبعث الأمل في هذا المجال، حيث روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَا أَطَّلِعُ عَلَى قَلْبِ عَبْدٍ فَأَعْلَمَ مِنْهُ حُبَّ الْإِخْلَاصِ لِطَاعَتِي لِوَجْهِي، وَ ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِي إِلَّا تَوَلَّيْتُ تَقْوِيمَهُ وَ سِيَاسَتَه**»[٢].

فهنيئا لمن تدخل الله تعالى بنفسه في تصريف قلب عبده، وساقه إليه رغم تقصيره، فهذا التدخل الإلهي يعبّر عن منتهى شفقة رب العالمين بمن تولاه، من بين جميع خلقه.

سبيلا التوجه

٧١- إن هناك سبيلين معروفين عند أهله، للإقبال على الله تعالى حين الصلاة، فمنها:

الطريقة الإجمالية: بأن يستحضر وجود المولى ونظرته له، فيُقبل عليه

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٨.

٢) بحار الأنوار، ج٨٢، ص ١٣٦.

من دون التفات إلى المضامين التفصيلية للحمد والسورة مثلا، فلا يتوجه لمعنى الحصر في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] إلا على نحو الإجمال.

الطريقة التفصيلية: بمعنى التدبر والتفهم لكل جملة ينطق بها، كما هو الأمر كذلك عند تلاوة القرآن الكريم.

والفرق بينهما واضح؛ ففي الأول يعيش حالة الاستغراق الكلي في عالم الحقائق، وكأنه ذاهل عن نفسه وعما ينطق به، فحاله فيها كحال المناجاة حيث لا يتوجه لجوهر الألفاظ، بينما في الثاني يعيش المعاني الجزئية، فيتفاعل معها فقرة فقرة، فحاله فيها كحال تلاوة القرآن حيث يتوجه للمعاني كلمة كلمة، ولكل من الطريقتين مزاياها الخاصة بها، يعرفهما من تذوق الحالتين معا.

طريقتنا المقارعة

٧٢ـ إن مقارعة الواردات المذهلة في الصلاة ـ أي التفكير فيما سوى الله تعالى ـ يكون تارة:

ـ بالمجاهدة الجزئية لكل فكرة ترد عليه، وقد يُتمّ العبد صلاته وهو في حال المقارعة مع الأبالسة المحيطة به، فقد يفلح في أن لا يفكر في غير مولاه، ولكنه في الوقت نفسه لا يفلح في الإقبال القلبي عليه لانشغاله بالمواجهة مع أعدائه، وحال هذا المصلي كحال من يطرد العصافير المشوشة من الشجرة التي يستظل تحتها بخشبته، ولكن سرعان ما ترجع فيعيد طردها بعصاه ثانية!

ـ ويكون تارة بقطع مادة الفتنة من جذورها، فيقطع الشجرة، وحينئذ لا غصن بعدها ولا عصافير، وهذا حال الأولياء الذين وصلوا إلى مرحلة كمال الانقطاع إليه، كما ناجى بها أمير المؤمنين عليه السلام ربه.

---

١) الفاتحة/ ٥.

الإجمال في الطلب

٧٣ـ تكثر الروايات الداعية إلى عدم استغراق العبد في كسب موجبات المعيشة، بل دعت إلى الإجمال في الطلب؛ لأن هذا من موجبات تشعب التفكير، وتفرق شعاع النفس نحو محبوبات متعددة، فلو نجح العبد في تجاوز هذه المرحلة، ارتاح أولا في مجمل حياته، ثم استعد للنجاح في صلاته، حيث لا يعاني من هجوم الأمواج العاتية على قلبه، وهو ما يجسده قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[١] حيث الآية صريحة في الربط بين الصلاة، وبين الاستقرار النفسي الموجب للتركيز في الصلاة، كما أن الآية الأخرى صريحة في نفي الحزن والخوف لمن عمل الصالحات وأتى الزكاة وأقام الصلاة: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

وهذه الحقيقة بيّنها النبي الأكرم ﷺ حيث قال: «**مَنْ أَصْبَحَ وَ الدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ، وَ أَلْزَمَ قَلْبَهُ أَرْبَعَ خِصَالٍ: هَمّاً لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَداً، وَ شُغُلًا لَا يَنْفَرِجُ مِنْهُ أَبَداً، وَ فَقْراً لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ أَبَداً، وَ أَمَلًا لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدا**»[٣].

الكمال الذاتي

٧٤ـ إن درجات الصلاة عند الله تعالى ترتفع تارة بأمر:

ـ متعلق بذات الصلاة، كإتقان المقدمات والأجزاء ثم الإقبال فيها.

ـ متعلق بذات المصلي، فقد تصدر صلاة واحدة بمستوى واحد

---

١) المعارج/ ٢٢ـ١٩.

٢) البقرة/ ٣٨.

٣) محاسبة النفس، ص١٢.

من مصليين، ولكن درجة القرب لأحدى الصلاتين قد تكون أضعاف الأخرى، وذلك تبعا لدرجة قرب المصلي.

وهذا المعنى لا يمكن معرفته إلا من خلال النصوص الواردة عن المعصومين عليهم السلام فمنها أن يكون الإنسان متزوجا حيث ورد عن الصادق عليه السلام: «**رَكْعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا مُتَزَوِّجٌ، أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً يُصَلِّيهَا أَعْزَبُ**»[1]، ومنها أن يكون المصلي عالما حيث ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «**يا علي.. رَكْعَتَانِ يُصَلِّيهِمَا الْعَالِمُ، أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً يُصَلِّيهَا الْعَابِدُ**»[2].

تنوع الصلوات

٧٥- إن الصلوات الواجبة والمستحبة، بمثابة أنواع الجواهر في خزائن رب العالمين، فكما أنها مختلفة لونا وحجما وبريقا، فكذلك الأمر في الصلوات؛ فمنها الركعتان كصلاة الصبح، والثلاث كالمغرب، والأربع كالعشاء، ومنها ذات الركوعات الخمس كصلاة الآيات، ومنها ذات القنوتات الخمس كصلاة العيد، ومنها ذات السور المتكررة كصلاة الوحشة، ومنها ما لا يحتاج إلى طهارة كصلاة الميت، ومنها ما لا يحتاج إلى سورة كصلاة الليل، ومنها ما يختص ببعض الأئمة كصلاة الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومنها ما يرتبط بغير المعصوم كصلاة جعفر الطيار عليه السلام.



الصلاة والسجايا الباطنية

٧٦- إن المصلي المثالي هو ذلك الذي يجمع بين الصلاة الخاشعة والملكات الحميدة، بل يمكن القول إنهما مترابطان إن لم يكونا متلازمين، فأساس الإقبال في الصلاة هو إقبال المولى على العبد، وهو لا يتم إلا إذا امتلك صاحبه قلبا سليما.

---

١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٣٨٤.

٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٢٥.

والشاهد على هذه الحقيقة، أن لقمان عندما كان وعظ ابنه، فإنه جعل إقامة الصلاة ضمن سلسلة من المناقب الأخلاقية، والتي قد تبدو للوهلة الأولى أنها غير دخيلة في الصلاة: كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر، والتواضع وعدم الخيلاء، وذلك في قوله **تعالى**: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾[1].

سر الإقبال

٧٧- إن خير عبارة تلخص لنا سر الإقبال على الصلاة، هو ما ذكره سيد الشهداء عليه السلام ليلة عاشوراء حين استمهل القوم قائلا: «**أَنِّي أُحِبُ الصَّلَاةَ**»[2]؛ فمن وصل إلى هذه الرتبة من المحبة القلبية لهذه الوقفة الإلهية، فإن جميع الحجب الباطنية ستنزاح عنه قهرا، وذلك لتحقق السنخية بين العبد وربه، وذلك من جهة تبادل المحبة فيما بينهما..

ومن البديهي أنه مع وجود هذا الرابط المقدس، فإن الإقبال لازم قهري للصلاة، إلى درجة لو رفع المولى تكليف الصلاة عن مثل هذا العبد، فإنه لا يسعه إلا أن يقوم بين يديه مصليا أيضا حال كونه متذللا خاشعا.

الصلاة في كل الأحوال

٧٨- إن من مزايا الصلاة والمختصة بها هي أنها لا تسقط بحال، فإن الحج إما أن يجب على المستطيع أو لا يجب، والصوم قد يجب على المتمكن من الصيام وإلا سقط عنه، وكذا الأمر في الزكاة عند اكتمال النصاب أو عدمه، ولكن الصلاة يؤتى بها في كل الأحوال إلى درجة ذُكرت:

---

١) لقمان/ ١٨ـ١٧.

٢) اللهوف على قتلى الطفوف، ص٨٩.

- صلاة الغريق: فقد ذكر الشيخ الطوسي: «**ويصلي السابح في الماء عند غرقه أو ضرورته إلى السباحة، مومئا إلى القبلة إن عرفها، وإلا ففي وجهه ويكون ركوعه أخفض من سجوده**»[1].

- صلاة العراة: حيث ورد في الخبر عن الصادق عليه السلام: «**سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْمٍ صَلَّوْا جَمَاعَةً وَ هُمْ عُرَاةٌ، قَالَ يَتَقَدَّمُهُمُ الْإِمَامُ بِرُكْبَتَيْهِ، وَ يُصَلِّي بِهِمْ جُلُوساً وَ هُوَ جَالِسٌ**»[2].

- صلاة الزحف والمطاردة: فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام إنه قال: «**فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ** عليه السلام **لَيْلَةَ صِفِّينَ وَ هِيَ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ، لَمْ يَكُنْ صَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ وَ الْعَصْرَ وَ الْمَغْرِبَ وَ الْعِشَاءَ عِنْدَ وَقْتِ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَّا بِالتَّهْلِيلِ وَ التَّسْبِيحِ وَ التَّحْمِيدِ وَ الدُّعَاءِ، فَكَانَتْ تِلْكَ صَلَاتَهُمْ، لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِإِعَادَةِ الصَّلَاة**»[3].

- صلاة المريض: حيث يصلى مستلقيا أو مضطجعا، على التفصيل الوارد في الفقه.

- صلاة نوح أو صلاة السفينة: وهو أن يتحرى القبلة، ثم يدور حيث دارت السفينة، حيث يعلق عليها الإمام الصادق عليه السلام قائلا: «**تِلْكَ صَلَاةُ نُوحٍ عليه السلام، أَوَ مَا تَرْضَى أَنْ تُصَلِّيَ صَلَاةَ نُوحٍ ؟!.**»[4].

- صلاة الأسير: فقد ورد عن سماعة قال: «**سَأَلْتُهُ عَنِ الْأَسِيرِ يَأْسِرُهُ الْمُشْرِكُونَ، فَتَحْضُرُهُ الصَّلَاةُ فَيَمْنَعُهُ الَّذِي أَسَرَهُ مِنْهَا، قَالَ: يُومِئُ إِيمَاءً**»[5].

أرجى آية

٧٩- إن القرآن الكريم - بعد ذكر الأوقات الثلاث لإقامة الصلاة -

---

١) تهذيب الأحكام، ص١٧٤.

٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص٤٥٠.

٣) بحارالأنوار، ج٨٦، ص١١٥..

٤) وسائل الشيعة، ج٥، ص٥٠٦.

٥) الكافي، ج٦، ص٥٦٩.

فإنه يعد وعدا بليغا في ضمن أرجى آية في كتاب الله تعالى، كما ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «**سَمِعتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: أَرجَى آيةٍ فِي كِتَابِ اللهِ: «وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذّاكِرِينَ**»[1]، والوجه في ذلك إن من أعظم منن الله تعالى على عبده أن يخلصه من السيئات إما:

- بمعناها الفعلي، بمعنى غفران الذنوب بعد إقامة الصلاة، فلا تبقى له سيئة.

- بمعناها الفاعلي، بمعنى التحول الباطني للعبد، بحيث لا يصدر منه إلا الحسن.

الصلاة والذرية

٨٠- إن مما يشغل بال العبد الصالح حقيقة ويثير طموحه، هو أن تكون له ذرية مقيمة للصلاة، وهو ما طلبه إبراهيم عليه السلام لذريته عندما قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[2] فكان إسكانهم بجوار البيت وفي واد غير ذي زرع تحقيقا لهذا الهدف السامي، إضافة إلى طلب مقام الإمامة لذريته أيضا عندما جعله الله تعالى إماما للناس.

وفي هذا السياق فقد دعت الشريعة إلى تمرين الأولاد على الصلاة قبل سن البلوغ، لئلا يثقل عليهم الأمر مفاجأة، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**عَلِّمُوا صِبْيَانَكُمُ الصَّلَاةَ، وَ خُذُوهُمْ بِهَا إِذَا بَلَغُوا ثَمَانَ سِنِينَ**»[3].

---

١) تفسير الصافي، ج٢، ص٤٧٦.

٢) إبراهيم/ ٣٧.

٣) الخصال، ج٢، ص٦٢٦.

الاهتمام المضاعف

٨١- إن المؤمن بحاجة إلى مجاهدة مستمرة مع هواجسه وأفكاره من أجل أن يُقبل على صلاة خاشعة، ولكن قد تمر عليه حالة تلزم فيها مجاهدة مضاعفة من أجل السيطرة على طائر خياله، وذلك فيما لو وقع تحت تأثير جاذبية الهوى أو متاع الدنيا، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾[1]؛ فإن مقتضى اللهو والتجارة هو سلب توجه العبد إلى ربه، وعليه فإن من خرج عن جاذبية الدنيا - وخاصة عند الصلاة - دخل في زمرة العباد الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى.

الاستعانة بالصبر والصلاة

٨٢- إن طبيعة بني آدم قائمة على الاستعانة بكل شيء يمكن التشبث به حسا - ومن هنا قيل بأن الغريق يتشبث بكل حشيش -والحال أنه لو تعقل الأمر، لعلم أن الذي بيده مقاليد السموات والأرض هو رب العالمين، فينغي حصر الاستعانة به وهو الذي يسبب الأسباب بعدها كما يريد، ومن هنا أمرتنا الآية الكريمة ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[2] بالصلاة والصبر الذي - وإن فسر بالصوم - إلا أنه يعمّ كل أسباب الصبر.

وعليه فإن المؤمن لا يرى في سير حياته طريقا مسدودا ما دام بهذا الاعتقاد الجازم، والأمر لا يكلفه سوى ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام قائلا: «**مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ غَمٌّ مِنْ غُمُومِ الدُّنْيَا أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ**

---

١) الجمعة/ ١١.

٢) البقرة/ ٤٥.

يَدْخُلَ المَسْجِدَ فَيَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ يَدْعُو اللهَ فِيهِمَا، أَ مَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ»[1].

الصلاة ضمن سياق جامع

٨٣- إن بعضهم قد يظن أن الصلاة مفصولة عن حركة الحياة الجامعة، فيتوقع من نفسه أن يُقبل على الله تعالى في خصوص صلاته، تاركا المراقبة والمحاسبة قبل الصلاة وبعدها، والحال أن الله تعالى قرن بين الصلاة والتقوى، حيث قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ ﴾[2] وهذا هو السبب في أن تارك التقوى لا يمكنه إقامة الصلاة والخشوع فيها، وكأنّ هناك يدا تدفعه للإقبال عليها.

الصلاة عدل الخيرات

٨٤- إن الصلاة وإن كانت من مصاديق الخيرات، إلا أن الله تعالى جعلها عدلا لها حيث يقول تعالى: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ﴾[3] مما يدل:

أولا: على أن الصلاة كانت تشريعا ثابتا في شرائع الأنبياء السلف عليهم السلام حتى أن الملائكة عندما نزلت مبشرة لزكريا عليه السلام كانت متزامنة مع صلاته في المحراب، فإنها من أفضل حالاته عليه السلام.

وثانيا: إنها في كفة مقابل جميع الخيرات على تنوّعها، بل يمكن القول إن فعل الخير المقبول عند الله تعالى، إنما يصدر من المصلي الذي أقام صلاته.

---

١) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٣٩.

٢) الأنعام/ ٧٢.

٣) الأنبياء/ ٧٣.

حقيقة الصلاة

٨٥- إن هذه الرواية المروية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: «**إِنَّ الْمُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَنْظُرْ مَا يُنَاجِيهِ**»[١] تدل على جوهر الصلاة وحقيقتها، فإن العرف يحكم بعدم تحقق معنى من معاني المؤانسة فيما لو جلس الشخص متكلما لوحده، من دون وجود طرف آخر يتعلق به الخطاب.. وعليه فلو أن المصلي لم يستشعر هذه الحقيقة أي وجود من يناجيه - كما تفيد هذه الرواية - لما تحقق معنى للصلاة المطلوبة.

الاصطبار على الصلاة

٨٦- إن الله تعالى طلب من المؤمنين الصبر: ﴿اصْبِرُوا﴾[٢]، والمصابرة في جهاد الأعداء: ﴿وَصَابِرُوا﴾[٣]، والاصطبار: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٤]، وإن لم يمكن كل ذلك لزمه «التصبر» بمعنى بذل الجهد والمعاناة في كسب هذه الملكة.

ومن المعلوم أن الدعوة بلفظ الاصطبار - والتي هي من صيغة الافتعال بمعنى اكتساب الصبر - فيها إشعار بأن الأمر يحتاج إلى تكرار في الصبر على الأمر بالصلاة، وذلك لأن موجبات الصرف عنها كثيرة، ومن هنا لزم على المؤمن أن يتحلى بهذا المبدأ في دعوة أهله إلى الصلاة وغيرها؛ لأنه من الممكن أن تنتقم الشياطين منه من خلال أهله، فكانت الصلاة حرزا ووقاية من ذلك.

ويستفاد من بعض الروايات[٥] أن النبي صلى الله عليه وآله كان يجعل الصلاة

---

١) مسند أحمد، ج٣٩، ص١٩.

٢) آل عمران/ ٢٠٠.

٣) آل عمران/ ٢٠٠.

٤) طه/ ١٣٢.

٥) «كان النبي إذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلوة ثم قرأ: ﴿وَأمُر أَهْلَكَ

تفريجا للضيق الذي كان يرد على أهله من جهة الرزق، فيأمرهم بها تاليا قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ﴾[1].

عماد الدين

٨٧- إن العبارة المشهورة في الروايات، هي ما يعبر عن الصلاة بأنها عمود الدين، ولكن ورد التعبير بأنها عماد الدين[2] أيضا، وفيه معنى يغاير ما في التعبير الأول؛ حيث فيه إشعار بأن الصلاة قوام الدين إضافة إلى عموديته، حيث يُعبر مثلا عن قائد الجيش بأنه عماده، فإن هذا التعبير أبلغ في بيان هذه الحقيقة وهي: إن الصلاة أساس تبتني عليها فروع الدين الأخرى، فمن لا يصلي فإن خيمة دينه لا عمود لها (بناء على التعبير بالعمود) أو إن خيمة دينه لا وجود لها أساسا (بناء على التعبير بالعماد) فكم الفرق بين التعبيرين؟!.

أساس الإقبال

٨٨- إن الرواية النبوية القائلة «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[3] تفيد قاعدة عامة وهامة، وهي: إن محور الإنسان في تفكيره - وبالتالي ما يشغله في الصلاة وغيره - هو ما صار قرة عين له، وبعبارة أخرى ما صار محبوبه الأعظم، فمن شغف بشيء أكثر من ذكره، فصار محور فكره وعليه مدار إقباله وإدباره.

وعليه فإن المتعلق بشهوات الدنيا - لا حبا عابرا في طول محبة الله تعالى كما كان عليه النبيصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالنسبة إلى الطيب والنساء - لا يمكنه

بِالصَّلَوة﴾»؛ الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، ج٤،ص٣١٣.

١) طه/ ١٣٢.

٢) بحارالأنوار، ج ٧٤، ص ٧٨.

٣) الخصال، ج١، ص١٦٥.

الإقبال في صلاته إلا بنحو المحاولة اليائسة، حيث إن ذكر المحبوب إلهيا كان أو شيطانيا، يرد على القلب من دون اختيار وخاصة وقت الصلاة، حيث تسعى الشياطين لشغل بال المصلي بغير الله تعالى، فالحل الجامع هنا: قطع العلائق القلبية بالدنيا لا تخفيفها، فإن وجود رافد صغير من روافد الدنيا، كاف لتلويث حوض الباطن، لئلا يعود بعده مرآة عاكسة لجمال عالم المعنى.

المعادلة العادلة

٨٩- إن المُعرض في صلاته عن ربه، يستشعر حالة من قسوة القلب بعد الفراغ من صلاته، فلا ينحصر الأمر في أنها لم تقرّبه إليه، بل يحس بنوع إعراض من مولاه لم يكن يستشعر بها قبل صلاته، فصارت صلاته كالقرآن الذي لا يزيد الظالمين إلا خسارا، ولعل السبب في ذلك ما يُستفاد من الحديث النبوي: «إِنَّ اللهَ مُقْبِلٌ عَلَى الْعَبْدِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ»[١]، فإن عظمة المقام الربوبي تستلزم مثل هذه المعادلة، على وزان قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٢].

وعليه نقول: فإنه كما أن إقبال العبد مستلزم لإقبال ربه عليه، فإن إدباره مستلزم لإدباره عنه أيضا، ومن المعلوم أن إدبار المولى عن عبده سبب لردّ صلاته، وبالتالي هو أيضا سبب لما يستشعر به من قساوة قلبه.

المباركة الدائمة

٩٠- إن المسيح عليه السلام يربط بين المباركة الإلهية عليه وبين وصيته

١) بحارالأنوار، ج٨١، ص٢٦١.
٢) البقرة/ ١٥٢.

بالصلاة، حيث يقول عنه تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ ﴾[1]، كما يُعلم هذا الربط الأكيد مما جرى لأمه مريم عليها السلام أيضا حيث تقارن الرزق الإلهي لها بكونها مصلية في محراب عبادتها.

ومن هنا فإن من يريد المباركة الأبدية في حياته وبعد مماته -كما جرى للمسيح وأمه- فإن عليه إتقان هذه الحركة الإلهية، ومن المعلوم أن هذه المباركة دواما وقوة، متناسبة مع مدى إتقان الصلاة الموجبة لمثل هذه المباركة.

استيعاب كل الحركات

٩١- إن الصلاة موزعة في أجزائها بين حركات متعددة من القيام والركوع والجلوس والسجود، و قد جُعل لكل حركة ذكرها الخاص، وهو ما تمت الإشارة إليه في قول النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: «**أَمَرَنِي جَبْرَئِيلُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ قَائِماً، وَ أَنْ أَحْمَدَهُ رَاكِعاً، وَ أَنْ أُسَبِّحَهُ سَاجِداً، وَ أَنْ أَدْعُوَهُ جَالِساً**»[2]، فكأنّ الله تعالى يريد من عبده أن يكون ذاكرا له في كل تقلباته، سواء في الصلاة أو خارجها، كما أنه يُستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ﴾[3] حيث إن حركات الإنسان في حياته اليومية، منحصرة بما ذكر في هذه الآية الكريمة.

قوام الصلاة بالدعاء

٩٢- إن أهمية التوجه في الصلاة تنبع أيضا من خلال ملاحظة تسمية الصلاة بهذا الاسم لغة، فإنها مأخوذة من الدعاء بحسب

---

١) مريم/ ٣١.

٢) بحار الانوار، ج٩٠، ص٣١٣.

٣) آل عمران/ ١٩١.

الاستعمال الأولي لها، فالصلاة الفاقدة للتوجه الدعائي ـ وهو العمدة في الصلاة ـ خالية من تحقق مبدا المعنى اللغوي فيها، والشاهد على ما قلناه آنفا هو:

ـ قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[1] حيث إنه بمعنى الدعاء والاستغفار لهم.

ـ قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾[2] فإنها بمعنى دعاء النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لهم.

ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[3] فإنها بمعنى طلب الترحم والمباركة.

ـ ورد في الخبر عن النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُم إِلى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ؛ فإِنْ كَانَ مُفطِراً فَلْيَأْكُلْ، وَ إِن كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِّ**»[4] أي يدعو لأرباب الطعام بالبركة.

القلوب في الصدور

٩٣ـ كثر الحديث عن الإقبال في الصلاة، من خلال الكتب التي ألفت حول أسرار الصلاة قديما وحديثا، ولكن كلمة الفصل في كل ذلك، هو العمل على عمارة ما به تتم الصلاة الخاشعة، ألا وهو القلب الذي إذا ما عمي لم يبصر شيئا في الصلاة ليُقبل عليه، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[5]؛ فالعبد الفاقد لهذا القلب الحي لا يمكن أن يكون خاشعا حتى لو كان بدنه خاشعاً، حيث

---

١) التوبة/ ١٠٣.

٢) التوبه/ ٩٩.

٣) أحزاب/ ٥٦.

٤) بحارالأنوار، ج٨٧، ص١٢٥.

٥) الحج/ ٤٦.

إن الخشوع نوع معنى لا يصدر إلا من القلب، وكم الفرق بين المادة والهيئة؟! وللشهيد الثاني قدس سره جملة مبينة لهذه الحقيقة حيث يقول في أسرار الصلاة[1]: «**ولذلك شبّه بعض العلماء القلب بالعرش، والصدر بالكرسي، وأراد به أنه مملكته والمجري الأول لتدبيره وتصرفه. فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى**».

العناصر المترابطة

٩٤ـ إن الشيطان يحوم على قلب ابن آدم في كل لحظة، ليجد مدخلا فيه ـ وخاصة عند الصلاة ـ وهو ما يفهم من صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[2]، و دفعه إنما يكون بالذكر ولكن بالمفهوم القرآني له، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[3]، وعليه فإن «الذكر» المبطل لكيد الشيطان إنما هو من الذين «اتقوا» ونتيجته «الإبصار»، وهذا هو السبب في أن البعض لا يرى أثرا في حياته للذكر ولو كان كثيرا، حيث إنه لم يعمل على إصلاح القابل أي «النفس» ليؤثر فيه الفاعل أي «الذكر» سواء في الصلاة أو غيرها. وقد نقل الشهيد الثاني قدس سره[4]: «**حتى أن بعض الأكابر، اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا فيهما أنفسهم بأمور الدنيا، فعجزوا عن ذلك**».

توصية جامعة

٩٥ـ إن من خير ما صنف في مجال الصلاة الخاشعة، هو ما كتبه

---

١) أسرار الصلاة(للشهيد الثاني)، ص٦٦.

٢) الناس/ ٥.

٣) الأعراف/ ٢٠١.

٤) أسرار الصلاة (للشهيد الثاني)، ص ٨٧.

الشهيد الثاني قدس سره حيث ذكر ما يُفهم منه أنه كان عاملا لما كتبه، ومن هنا ختمت حياته بالشهادة، فذكر ببيان جامع طريقة دفع الخواطر قائلا[1]:

«ولا يلهي عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة، فالدواء في إحضار القلب هو: دفع تلك الخواطر، ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه، وسبب توارد الخواطر إما أن يكون: أمراً خارجاً، أو أمرا في ذاته باطناً؛ أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر، فإن ذلك قد يخطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه، ثم ينجر منه الفكر إلى غيره ويتسلسل، ويكون الإبصار سبباً للأفكار، ثم تصير بعض تلك الأفكار سبباً لبعضها الآخر، ومن قويت رتبته وعلت همته، لم يلهه ما يجري على حواسه، ولكن الضعيف لا بد أن يتفرق فكره، فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره، أو يصلي في بيت مظلم، أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه، أو يقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة ما يشغل بصره، ويحترز من الصلاة على الشوارع، وفي المواضع المنقوشة المصنوعة، وعلى الفرش المزينة، ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم، سعته بقدر ما يمكن للصلاة فيه، ليكون ذلك أجمع للهم.

وينبغي أن لا يعدل إلى غمض العينين ما وجد السبيل إلى القيام بوظيفة النظر، وهي جعله قائماً إلى موضع السجود، وغيره من الأمور المعلومة شرعاً، فإن تعذر القيام بها مع فتحهما، فالغض أولى؛ لأن الفائت من وظيفة الصلاة وصفتها بتقسّم الخاطر، أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النظر».

خداع النفس

٩٦- إن البعض يظن أن التفكير في موجبات التوجه إلى الصلاة،

---

١) المصدر السابق، ص ٨١_٨٢.

والبحث في زوايا النفس أثناء الصلاة، لا ينافي الإقبال على الله تعالى، والحال أن الأمر ليس كذلك بالنظرة الدقيقة، من باب إن حسنات الأبرار سيئات المقربين؛ إذ المطلوب ممن يريد الإقبال على الله تعالى بالمعنى الأتم، أن يجتاز مراحل التفكير والتأمل في المقتضيات والموانع، وذلك قبل الوقوف بين يديه، ولكنه عند التكبير فإنه يستصغر كل شيء ـ حتى نفسه التي بين جنبيه ـ إذ العين التي فُتحت على معاني الجلال والجمال الإلهي، لا يمكن أن تنظر إلى ما دونه.

وبمثال بسيط يمكن استيعاب هذه الحقيقة وهو: إنه إذا سار أحدهم على حبل ممدود بين جبلين شاهقين، وطُلب منه السير عليه، وهو يعلم أن مجرد النظر إلى أسفل سيسقطه في الوادي السحيق، أو لا يكون حريصا أشد الحرص، على أن لا ينظر إلا إلى الأمام، لئلا يزيغ بصره ؟!.

الفعل القبيح

٩٧ـ إن السير في طريق التكامل، يحتاج إلى حركة معاكسة لمقتضى الطبع الأوليّ، فإن الإنسان بطبعه يخلد إلى الأرض، ويود طريق غير ذات الشوكة.

ومن هنا فإن ترك الأمور على حالها لا يوجب الخلاص، وإن تمنّى صاحبه خلاف ذلك، ومن مصاديق ما ذكر هي الصلاة، فمن لم يعمل على إتقان صلاته قلبا وقالبا، فإنه سيبقى على ما كان معتادا عليه في أوائل تكليفه، وهو ما حذّر منه الإمام الصادق عليه السلام في حديثه لحماد بن عيسى قائلا: **«مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ يَأْتِي عَلَيْهِ سِتُّونَ سَنَةً أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً، فَلَا يُقِيمُ صَلَاةً وَاحِدَةً بِحُدُودِهَا»**[1].

١) الكافي، ج٣، ص٣١١.

العجب الماحق

٩٨- إن المصلي قد يوفق لصلاة خاشعة ولو بدرجة من الدرجات، ويسلم حينها من الرياء المبطل للعمل، ولكنه يبتلى لاحقا بالعجب الذي هو للخواص من العباد كفخّ من فخاخ ابليس، ذلك أن عامة الخلق - لقلة أعمالهم وعدم إتقانها - قد لا يجدون في أنفسهم موجبا لانقداح هذه الحالة في النفس، وعلاج هذه الحالة هو التفكر في أنه أين له ضمانة القبول أولا، وضمانة الاستمرار على هذا التوفيق ثانيا، وتدارك النقص فيما مضى ثالثا ؟!. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله : «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِدَاوُدَ: يَا دَاوُدُ بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ وَ أَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ، قَالَ: كَيْفَ أُبَشِّرُ الْمُذْنِبِينَ وَ أُنْذِرُ الصِّدِّيقِينَ، قَالَ: يَا دَاوُدُ بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ أَنِّي أَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَ أَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ، وَ أَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ أَنْ لَا يُعْجَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَنْصِبُهُ لِلْحِسَابِ إِلَّا هَلَكَ**»[١].

وهنا ينبغي القول إن العجب بالعمل، أمر يغاير الابتهاج به، من جهة أن ما وُفق له من الخير إنما هو بتمكين من الله تعالى وتسديد منه، فعاد إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[٢].

---

١) وسائل الشيعة، ج١، ص٩٩.

٢) يونس/ ٥٨.



الآداب الباطنية للطهور

الطهور باب الدخول

١ـ إن الطهور أول خطوة من خطوات الدخول في حرم الصلاة الخاشعة، فإذا لم يتقن أحدنا «التطهر» المنتسب إلى المكلف، فقد أخل بشروط الدخول، أعني نتيجته المجعولة من الشارع ألا وهي «الطهارة»، والأمر كذلك عندما يخل أحدنا بالاغتسال مثلا، فإن نتيجته هو الإخلال بالغسل.. وعليه فإن المطلوب في المقام: هي هذه الحالة الباطنية من التطهر، الحاصلة من صب الماء على البدن في الطهور المائي، واستعمال التراب في الطهور الترابي.

ومن هنا نرى بأن الذي يداوم على الطهارة، يعيش ظلمة باطنية بمجرد أن ينتقض وضوؤه، ويكفي في المقام استشعاره بأنه ممنوع من الصلاة، ومن أن يضع يده على كتابة القرآن الكريم، ومن أن يلمس ألفاظ الجلالة، وإنه محظور عليه دخول المساجد، فكأنّ المتطهر أخذ إذن الدخول على مولاه، فهو متى ما شاء أمكنه الصلاة بين يديه.

وقد ورد في حديث قدسي: **«مَنْ أَحْدَثَ وَ لَمْ يَتَوَضَّأْ فَقَدْ جَفَانِي، وَ مَنْ أَحْدَثَ وَ تَوَضَّأَ وَ لَمْ يُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فَقَدْ جَفَانِي، وَ مَنْ أَحْدَثَ وَ تَوَضَّأَ وَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَ دَعَانِي وَ لَمْ أُجِبْهُ فِيمَا سَأَلَنِي مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَ دُنْيَاهُ فَقَدْ جَفَوْتُهُ، وَ لَسْتُ بِرَبٍّ جَافٍ»**[1].

---

١) وسائل الشيعة، ج١، ص٣٨٢.

وما أحسن توصية بعض الأعلام وهي: أن يسجد الإنسان بعد كل طهور ـ من باب أن أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد ـ ويطلب من الله تعالى معرفته ومحبته، من باب أن هذين الطلبين من أعلى الأمنيات وأجلّها.

حب الله للمتطهرين

٢ـ إن من أعظم المحفزات للمداومة على الطهارة ـ سواء من الحدث أو الخبث ـ هو الالتفات إلى قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[١] فكم من العظيم أن يحوز العبد على مقام المحبوبية عند ربه، بمجرد عمل بدني لا يكلفه كثير جهد في البين، وأي نسبة بين ما يوجب الطهارة، وبين أن يكون العبد قريبا من ربه محبوبا عنده؟!.

وهنا لا بد أن نقول: إن تمام الطهارة يكون بطهارة الباطن من المعاصي، ولكن بعض الروايات تشير أيضا إلى المعنى الذي ذكرناه آنفا وهو تحقيق الطهور الصلاتي، فقد روي عن النبيعليه السلام، أنه قال لأهل قبا: «**مَاذَا تَفعَلُونَ فِي طُهرِكُم، فَإِنَّ الله تَعَالى قَد أَحسَنَ عَلَيكُمُ الثَنَاءَ؟**» قَالُوا: نَغسِلُ أَثَر الغَائِطِ، فَقَالَ: «**أَنزَلَ اللهُ فِيكُم وَ اللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ**».[٢] كما ورد التأكيد على خصوص الطهارة من الحدث كالوضوء، من خلال ما روي عن النبيصلى الله عليه وآله : «**السِّوَاكُ شَطْرُ الْوُضُوءِ، وَ الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**»[٣].

صلاة العاشقين

٣ـ بإمكان العبد بعد الوضوء أن يصلي ركعتين مستحبتين، وهذه

---

١) التوبة/ ١٠٨.

٢) البرهان في تفسير القرآن، ج٢، ص٨٤٩.

٣) بحارالأنوار، ج٧٣، ص١٤٠.

الصلاة من الممكن تسميتها بصلاة «العاشقين»، حيث يمكنه أن يصليها أثناء المشي والركوب، وفي كل زمان ومكان، ومن دون الإتيان بالسورة، ومن دون أن يوسوس في تحقق الأجزاء والاركان؛ لأنه خارج دائرة الفريضة، فهي صلاة يقيمها العبد لإظهار شوقه إلى الله تعالى، كما أن البشر كذلك في تعاملهم مع من يحبون، فبعضهم وهو في قمة انشغاله بعمله، يتصل بزوجته ويعبّر عن شوقه لها، فتزداد بذلك تعلقا به، وفرحا بحبه لها..

وهنا نقول: كم من الجميل أن يتوضأ العبد في قمة انشغاله بالقيل والقال، ليذهب إلى المصلى في مكان عمله، ويصلي لله ركعتين شوقاً وحُباً له، ومن المعلوم أن هذه الحركات الجزئية تتراكم يوما فيوما، ليُمنح العبد بعدها منحة إلهية مميزة في عالم القرب، ألا وهو الثبات على تلك المنحة.

الوضوء المائي والطهوري

٤- إن الوضوء على قسمين: وضوء مائي، أي صب الماء على البدن بالغسلتين ثم المسحتين، ولعله يكون مقارنا لباطل أو لغوا بل حراما حين العمل، ووضوء طهوري يقارن تطهير الباطن، وذلك أن الملتزم بآداب الوضوء وسننها، قد يصلي قبل أن يصلي، بمعنى الإقبال على الله تعالى ولو بغير صلاة، فأول أدب من آداب الطهور هو الإتيان بمستحبات الوضوء اللفظية المقارنة لكل فعل من أفعال الوضوء، فإن أدعية الوضوء تهيئ الإنسان للدخول في جو الصلاة، وتنقله من عالمه إلى عالم آخر، حيث إن أدعية الوضوء من مصاديق المناجاة البليغة، فلو قرأها الإنسان أثناء الوضوء بتوجه، فقد يختلط ماء وضوئه بدموع عينيه.

فعندما ينظر إلى الماء، يبدأ بدعاء الوضوء: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ**

الْمَاءَ طَهُوراً، وَ لَمْ يَجْعَلْهُ نَجِساً»[1] فيبدأ عمله بشكر المنعم، الذي هيأ له أسباب الطهور والتطهر من الماء القراح، والذي خرج من الطبيعة بعد تفاعلات مذهلة من الأمطار، ثم سريانه في الأرض، ثم خروجه ينابيع جارية بقدرته.

وعندما يغسل وجهه، يقول: «**اللهُمَّ بَيِّضْ وَجْهِي يَوْمَ تَسْوَدُّ فِيهِ الْوُجُوهُ وَ لَا تُسَوِّدْ وَجْهِي يَوْمَ تَبْيَضُّ فِيهِ الْوُجُوهُ**»[2] وهنا ينتقل إلى عرصات يوم القيامة، حيث الوجوه المسودة إما بنار جهنم، وإما بغضب الله عز وجل قبل دخول النار.

وعند غسل اليد اليمنى، يقول: «**اللهُمَّ أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي، وَ الْخُلْدَ فِي الْجِنَانِ بِيَسَارِي، وَ حَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيرا**»[3] فيتذكر المتوضئ أن يوم القيامة هو يوم إعطاء شهادات الخلود: إما الخلود في الجنة، أو الخلود في النار، أو السنوات الطويلة في نار جهنم، فالذي يأخذ كتابه بيمينه يطير فرحاً ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[4].

وعند غسل اليد اليسرى، يتذكر قوله تعالى: ﴿وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[5] حيث يأخذ البعض شهادة الدخول في نارِ جهنم إلى الأبد إن كان كافرا، أو أحقابا إن كان مؤمنا، فيقول: «**اللهُمَّ لَا تُعْطِنِي كِتَابِي بِشِمَالِي، وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ مُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ**»[6]، فيتذكر بذلك أهوال القيامة ومنها مقطعات النيران، كالثوب الذي يخاط لبدن الإنسان على حسب قياسه ملاصقا

---

١) الكافي، ج٥، ص٢٠٦.

٢) الكافي، ج٥، ص٢٠٧.

٣) وسائل الشيعة، ج١، ص٤٠٢.

٤) الحاقة/ ٢٠_١٩.

٥) الحاقة/ ٢٥.

٦) وسائل الشيعة، ج١، ص٤٠٢.

لبدنه، فتتحقق المبالغة في تعذيبه، حيث إن هذا الثوب هي النار بعينها.

وعند مسح الرأس، يقول: «**اللهُمَّ غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَعَفْوِك**»[1] أي يا رب، أريد رحمة مستوعبة يملأ كل وجودي، لا رحمة عابرة يلامس شيئا من كياني، فكان التعبير بالغشيان كناية عن ذلك.

أما عند مسح الرجل، فيقول: «**اللهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمَيَّ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وَ اجْعَلْ سَعْيِي فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي**»[2] فإننا جميعا نمر على جهنم بل واردون عليها؛ لقوله تعالى: ﴿وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾[3] فالصراط يمر على جهنم وهو أدق من الشعرة وأحدّ من السيف، ويا له من موقف رهيب، وذلك عندما نتصور إنسانا يمشي على حبل وهو ينظر تحتهُ إلى نار جهنم، ويسمع صياح المعذبين، وينظر أمامه فيرى الحور العين، وهو في كل لحظة يخشى من السقوط في النار!

فإذن، هذا هو الوضوء الذي توضأه أمير المؤمنين عليه السلام بآدابه وأدعيته، وهو المذكّر بمختلف مراحل الحساب يوم القيامة، وهنا نقول: ألا يرجى بعدها أن يُقبل العبد على ربه بصلاة خاشعة بين يديه؟!. وخاصة عندما يلتفت إلى ما بشّر به علي عليه السلام قائلا لولده محمد: «**يَا مُحَمَّدُ، مَنْ تَوَضَّأَ بِمِثْلِ مَا تَوَضَّأْتُ، وَ قَالَ مِثْلَ مَا قُلْتُ، خَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكاً يُقَدِّسُهُ، وَ يُسَبِّحُهُ، وَ يُكَبِّرُهُ، وَ يُهَلِّلُهُ، وَ يَكْتُبُ لَهُ ثَوَابَ ذلِك**»[4].

دنس المعاصي

٥- إن الذي يتدنس بين الصلاتين بدنس المعاصي، عليه أن لا ييأس من رَوح ربه، فكما أنه يزيل الدنس الظاهري بالتطهير والوضوء، فإنه

---

١) الكافي، ج٥، ص٢٠٨.

٢) الكافي، ج٥، ص٢٠٨.

٣) مريم/ ٧١.

٤) الكافي، ج٥، ص٢٠٨.

يمكنه أيضا أن يزيل الدنس العارض على روحه بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى.

ولهذا نلاحظ من خلال أدعية الوضوء، أن هناك دعوة لطهارة الباطن، فالذي يتوضأ بهذه النية ويلتزم بأدعية الوضوء بشرائطها، فإنه يجمع بين الطهورين: طهارة البدن، وطهارة الباطن، بل قد يقال: إنه إذا كان اهتمام الشارع بهذا الطهور الظاهري بهذه الدرجة بما فيها من التفرعات الفقهية، فكيف باهتمامه بتنقية الباطن بماء التوبة بموازاة الغسلات المائية؟!.

وليُعلم هنا أن الوضوء واجب تعبدي، فعلى الإنسان أن ينوي في مثل هذا الواجب قصد القربة، وكما هو معلوم بأن في عالم التقرب هناك: متقرِب، ومتقرَب إليه، ووسيلة للتقرب.. فهل يستحضر الإنسان هذه المعاني قبل أن يتوضأ للصلاة، وخاصة أن النية أول فعل من أفعال المصلي؟!.. ومن المعلوم أن من أتقن آداب الدخول على مملكة السلطان في أول مراحله، كان ممن يرجى قبوله في باقي مراحله.

التدرج في اللقاء

٦- إن على المؤمن أن يعلم بأن الارتباط بالله تعالى من خلال الصلاة، لا بد له من مراحل متدرجة، فمن أراد اللقاء بملك من ملوك الدنيا، فإنه يتنقل في أروقته إلى أن يتم اللقاء، فمن يأتي إلى مصلاه وهو في أدنى درجات التهيؤ النفسي للصلاة، فمن الطبيعي أن لا يبحر في بحر الصلاة الخاشعة.

والملاحظ أن الأئمة عليهم السلام وعلى رأسهم النبي المصطفى صلى الله عليه وآله كانت تبدأ صلاتهم من الوضوء، كأول مرحلة من مراحل الورود على المليك الأعلى، ولهذا كانت تتغير ألوانهم قبله، كما ورد في الروايات المختلفة.

زكاة الوضوء

٧ـ لكل شيء زكاة، وزكاة الوضوء أن يقول المتوضئ بعدها كما في كتاب من لا يحضره الفقيه: «**اللهُمَ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ الْوُضُوءِ، وَتَمَامَ الصَّلَاة، وَتَمَامَ رِضْوَانِكَ وَ الجَنَّة**»[1]، فالمتوضئ عندما يتوضأ، فإن عينه على الغايات التي تدفعه لهذه الحركة المائية، فمنها ـ على ما يفيد هذا الدعاء ـ تمام صلاته، حيث إنه خائف من أن يصلي صلاة ناقصة مردودة إليه، ومنها عاقبة أمره في دار الخلد والبقاء، فهو خائف من الحرمان من الرضوان الإلهي، وذلك من خلال التقصير في صلاته.

وهنا نقول: إن من كان يحمل مثل هذه الهموم أثناء وضوئه، ألا يُقبل فيه بقلبه، مستنا بسنن أوليائه في المحطة الأولى للطهور البدني، والمستلزم للطهور القلبي؟!

التذكير بطهارة الباطن

٨ـ إن الإسلام أراد من الإنسان أن يدخل الصلاة وذلك من بوابة الوضوء، حيث إن عملية الوضوء تذكير بضرورة القيام بالطهارة الباطنية، فإن مثَل الصلاة كمثل الحج، فإن الحج عملية رمزية بكل معنى الكلمة، وإن كل حركة في الحج ترمز إلى معنى ومفهوم من المفاهيم، وكذلك الأمر في الوضوء، فكأنّ الله تعالى يريد أن يقول للعبد:

كما أنك تطهر ظاهرك وتغسله بالماء القراح الطاهر وغير المغصوب؛ فعليك أن تطهر الباطن أيضا، فإن جوهر الصلاة وإن كان عملية قلبية ـ وهي الملازمة للعروج والقربانية وغيرها من الآثار المترتبة على الصلاة الصحيحة ـ إلا أنه ومع ذلك، فإن طهارة البدن والثياب، جعلت شرطا في صحة الصلاة.

---

١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٥١.

وحينئذ نقول: ألا تعتبر الطهارة الباطنية بعد ذلك من الشروط أيضا، أفلا يدعونا الأمر بالطهارة الظاهرية في المكان والبدن والملبس، إلى تطهير القلب قبل لقاء الله عز وجل؟!.

أنواع الغسل

٩ـ لقد تعدد الأمر بالغسل في الشريعة إلى درجة لافتة فمنها: واجب قطعا كغسل الجنابة، و مستحب قطعا كغسل الجمعة، و ما يؤتى به برجاء المطلوبية، كالغسل عند الإقدام على كل ما يتقرب به إلى الله تعالى.

ومجمل القول هنا: إن الله تعالى يريد منا أن نتطهر ظاهرا بالماء، ليستوعب كل الحواس الظاهرية من الراس إلى القدم، أو لا يمكن القول بأنه يريد منا بموازاة ذلك، تطهير كل الأعضاء ـ بما فيها الحواس الخمس، إضافة إلى البطن والفرج ـ التي جرى عليها الماء أيضا بالطهارة الباطنية؟!.. أو لا يخرج الإنسان بعد هذه النية من محل الاستحمام، بهمة جديدة للعودة إلى الله تعالى بعدما طهر ظاهره؟!.

ومن أفضل الأغسال هو غسل التوبة وإن كان برجاء المطلوبية، وهو مما ورد في رواية الإمام الصادق عليه السلام حيث أمر من سمع الغناء قائلا: «**قُمْ، فَاغْتَسِلْ، وَصَلِّ مَا بَدَا لَكَ**»[1]، ثم يمكن أن يلحقه بصلاة خاشعة فيها استشعار للندامة، وخاصة في سجدة يذكر فيها التسبيح اليونسي للخلاص من غم البعد عن الحق، بعدما تصور نفسه في ظلمات عالم الطبيعة.

---

١) الكافي، ج١٢، ص٧٨٥.

الأغسال المستحبة

١٠- ينبغي بالعبد أن يطلع على بعض موارد الغسل التي ورد ذكرها في الرسالة العملية، فإن دخول محل الاستحمام في غير الجمعة والجنابة ومن دون هذه النوايا، لهي خسارة في حد نفسها، وخاصة أن الأمر لا يكلف سوى قصد قلبي مجرد وهي: الغسل لزيارة الحسين عليه السلام ولو من بعد، وصلاة الحاجة بل لطلب الحاجة مطلقاً، وصلاة الاستخارة بل للاستخارة مطلقاً ولو من غير صلاة، وللتظلم والاشتكاء إلى الله من ظلم ظالم، ولدفع النازلة، ولتحصيل النشاط للعبادة أو لخصوص صلاة الليل، فقد روي[1] أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يغتسل في الليالي الباردة لأجل تحصيل النشاط لصلاة الليل، ولصلاة الشكر، وللاستغفار لقوله عليه السلام: «**قُمْ، فَاغْتَسِلْ، وَصَلِّ مَا بَدَا لَكَ**»[2]، والأظهر أنه لسرعة قبول التوبة أو لكمالها، وللمرأة إذا تطيبت لغير زوجها، وغيرها من الموارد الأخرى.

الساعة الضائعة في الحمام

١١- إن من الساعات الضائعة للعبد، هي ساعة دخوله الحمام للتنظف والاستحمام، ولكن من الممكن أن يحوّل الأمر إلى عبادة من خلال ما ذكرناه آنفا من الأغسال، ومن خلال التفكر فيما سيؤول إليه وهو على المغتسل، لتشابه المكانين حيث التجرد من الثياب، وكذا التفكر في حاله فيما لو قُدر له الدخول في النار، لتشابه المكانين من حيث حرارة النار، رغم أنه لا مجال للقياس بينهما.

كما أنه من المناسب أن يلهج العبد بالدعاء المأثور أثناء الغسل حيث

---

١) بحار الأنوار، ج٧٨، ص ٢٣.

٢) الكافي، ج١٢، ص٧٨٥.

يقول: «**اللهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي وَاشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَأَجْرِ عَلَى لِسَانِي مِدْحَتَكَ وَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ، اللهُمَّ اجْعَلْهُ لِي طَهُوراً وَشِفَاءً وَنُوراً إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**».
وَ يَقُولُ بَعْدَ الْفَرَاغِ: «**اللهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي، وَزَكِّ عَمَلِي، وَتَقَبَّلْ سَعْيِي، وَاجْعَلْ مَا عِنْدَكَ خَيْراً لِي، اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ**»[١].

الإحساس بالمعية

١٢- إن الإنسان عندما يدخل بيت الخلاء، عليه أن لا ينسى أنه بين يدي الله تعالى كباقي موارد تقلباته اليومية. فهو الذي يعبّر عن ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[٢]، وهذه هي المعيّة التكوينية التي لا تفارق العبد، وهناك معية تشريفية بمقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٣] وهذه هي معية النصر والتأييد.

واللافت هنا أنه تكثر الأدعية الواردة بحسب الحالات المختلفة للتخلي، بما يفهم منه أن الله تعالى يريد من عبده أن يكون ذاكرا له حتى وهو في مثل هذا الحال.. ولقد أوصى النبيﷺ أبا ذر قائلا: «**يَا أَبَا ذَرٍّ اسْتَحْيِ مِنَ اللهِ، فإني وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَظَلُّ حِينَ أَذهَبُ إِلى الْغَائِطِ مُتَقَنِّعاً بِثَوْبِي، اسْتِحْيَاءً مِنَ الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ مَعِي**»[٤]، وقد روي أن موسىعليه السلام سأل ربه قائلا: «**يَا رَبِّ إِنِّي أَكُونُ فِي أَحْوَالٍ أجِلُّكَ أَنْ إذكُرَكَ فِيهَا، فَقَالَ: يَا مُوسَى اذكُرْنِي عَلَى كُلِ حَالٍ**»[٥].

وإليك بعض هذه الأذكار التي تحوّل الإنسان من حالة التخلي الجسمي، إلى حالة التخلي الروحي، وتحوّل ذلك المكان المستقذر، إلى

---

١) بحار الأنوار، ج٧٨، ص٤٠.
٢) الحديد/ ٤.
٣) النحل/ ١٢٨.
٤) وسائل الشيعة، ج١، ص٣٠٤.
٥) من لايحضره الفقيه، ج١، ص٢٩.

محل للمناجاة والدعاء، فمثلا يقول عند الدخول:

«اللهُمَ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النِّجْسِ، الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم»، وعند خروج الغائط: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطعَمَنيهِ طَيِّباً فِي عَافِيَةٍ، وَأَخْرَجَهُ خَبِيثاً فِي عَافِيَةٍ»، وعند النظر إلى الغائط: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي الحَلَالَ وَجَنِّبْنِي عَنِ الحَرَامِ»، وعند رؤية الماء: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ المَاءَ طَهُوراً وَلَمْ يَجْعَلْهُ نَجِساً»، وعند الاستنجاء: «اللَّهُمَّ حَصِّنْ فَرجِي وَأَعِفَّهُ، وَاسْتُرْ عَوْرَتِي وَحَرِّمْنِي عَلَى النَّارِ، وَوَفِّقْنِي لِمَا يُقَرِّبُنِي مِنْكَ، يَا ذَا الجَلَالِ وَ الإِكْرَام»، وعند الفراغ من الاستنجاء: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِنَ الْبَلَاءِ، وَأَمَاطَ عَنِّي الْأَذَى»، وعند القيام عن محل الاستنجاء، يمسح يده اليمنى على بطنه ويقول: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَاطَ عَنِّي الْأَذَى، وَ هَنَّأَنِي طَعَامِي وَ شَرَابِي وَ عَافَانِي مِنَ الْبَلْوَى»، وعند الخروج أو بعده: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَرَّفَنِي لَذَّتَهُ، وَ أَبْقَى فِي جَسَدِي قُوَّتَهُ، وَ أَخْرَجَ عَنِّي أَذَاهُ، يَا لَهَا نِعْمَةً! يَا لَهَا نِعْمَةً! يَا لَهَا نِعْمَةً!، لَا يَقْدِرُ الْقَادِرُونَ قَدْرَهَا».[1]

تذكر عاقبة الطعام والشراب

١٣- إنه لمن المناسب أن يتذكر الإنسان - وهو في بيت الخلاء - مآل الطعام الذي توجه إليه وأكله بشهوة، ولعله لم يبال بحليته وطهارته، والآن يرى ما يرى من الخبث، ويشم ما يشم من الريح المنتن المصاحب له بعد أن خرج من جوفه، والحال أنه قد أدخله طيبا!.

فهنا يجدر به أن يتذكر مقالة أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «مَنْ كَانَ هَمُّهُ مَا يَدخُلُ فِي بَطنِهِ، فَقِيمَتُهُ مَا يَخرُجُ مِن بَطنِهِ»[2].

والملاحظ في المقام أن نواقض الوضوء كلها، تعود إلى لوازم الدنيا من

١) المصباح المتهجد، ج١، ص٧.

٢) مجموعة ورام، ج١، ص١٥٥.

الأكل والشرب، فبهما تتحقق ناقضية خروج البول والغائط والريح، ومن النوم الذي هو سلطان على البدن، وخاصة عندما يثقل بالطعام والشراب.

موارد النهي عن التخلي

١٤- إن الموارد التي نُهي فيها عن التخلي، لتدل دلالة أكيدة على لزوم مراعاة الحق العام، وعدم القيام بما يوجب الإضرار بالغير ولو كان غير عاقل، فقد ورد الأمر بتوقي: موارد المياه، والطرق النافذة، ومواطن النزّال، وثقوب الحيوانات. فإذا كان أدب العبودية يقتضي مثل هذه القيود - حال التخلي - فكيف باقتضائه في باقي ساحات الحياة الجادة؟!.

نعمة التخلي

١٥- إن المتخلي يتذكر النعمة الإلهية بتمكينه أن يخلص ما في جوفه من السموم القاتلة بمحض إرادته وبيسر وتمكين؛ إذ لو بقيت هذه الخبائث في بطنه أياما لقتلته، وما ذلك إلا لتسليط الله تعالى له على أعضائه المستجيبة بما مكّنه من جلب المنافع ودفع الأضرار، ولهذا يصف الإمام الصادقعليه السلام مكان التخلي قائلا: «**إنما سُمِّيَ الْمُسْتَرَاحُ مُسْتَرَاحاً لِاسْتِرَاحَةِ الْأَنْفُسِ مِنْ أَثْقَالِ النَّجَاسَاتِ، وَ اسْتِفْرَاغِ الْكَثَافَاتِ وَ الْقَذَرِ فِيهَا**»[1].

وحينئذ لنا أن نتساءل: لماذا لا يطلب العبد من ربه أن يسلطه أيضا على ما يمكن به تخليص القاذورات الباطنية، والتي لو بقيت معه إلى ساعة الموت لأورثته الشقاوة الطويلة؟!. ولا ريب أن للصلاة دورا أكيدا في إعانته على هذا التخلي الباطني.

---

١) مصباح الشريعة، ص١٢٦.

نعمة ستر العورة

١٦ـ لا بد للمتخلي من ستر عورته عند التخلي، وهنا من المناسب أن يتذكر المتخلي نعمة أخرى من نعم الله تعالى عليه والتي لا نلتفت إليها كباقي النعم، وذلك من جهة التكرار والتعود عليها تارة، ومن جهة نسيان المنعم بها تارة أخرى، وهو ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام في حديثه مع المفضل: «**فَكَذَا جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَنْفَذَ الْمُهَيَّأَ لِلْخَلَاءِ مِنَ الإنسان فِي أَسْتَرِ مَوْضِعٍ مِنْهُ، فَلَمْ يَجْعَلْهُ بَارِزاً مِنْ خَلْفِهِ، وَلَا نَاشِراً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، بَلْ هُوَ مُغَيَّبٌ فِي مَوْضِعٍ غَامِضٍ مِنَ الْبَدَنِ، مَسْتُورٌ مَحْجُوبٌ يَلْتَقِي عَلَيْهِ الْفَخِذَانِ، وَ تَحْجُبُهُ الْأَلْيَتَانِ بِمَا عَلَيْهِمَا مِنَ اللَّحْم فَيُوَارِيَانِهِ، فَإِذا احْتَاجَ الإنسان إِلى الخَلَاءِ وَ جَلَسَ تِلْكَ الْجِلْسَةَ، أَلْفَى ذَلِكَ الْمَنْفَذَ مِنْهُ مُنْصَباً مُهَيَّأً لِانْحِدَارِ الثُّفْلِ، فَتَبَارَكَ اللهُ مَنْ تَظَاهَرَتْ آلَاؤُهُ وَ لَا تُحْصَى نَعْمَاؤُهُ**»[1].

وحينئذ لنا أن نعقب بعد هذا الحديث قائلين: كم يبلغ السخف ببني آدم أن يكشف ما ستره الله تعالى من عورته، وذلك باختياره بل متبجحا بذلك؟!

الوسوسة في الطاعة

١٧ـ لا بد من الالتفات ـ حين الوضوء والغسل ـ من عدم المبالغة فيما يحقق عنوان الوسوسة، فإن من تعدى في طهوره كان كناقضه كما في الرواية، وهذا رجز من عمل الشيطان لا بد من اجتنابه، وإن كان في قالب الطاعة لله تعالى، فبالإضافة إلى هدر الماء والوقت، فإن العبد قد يكرّه العبادة إلى نفسه، وهو مقدمة لترك العبادة من رأسها ـ كما وقع للكثيرين ـ بل قد يتعدى الأمر بعدها إلى الشك في العقيدة، فإن أساس المرض واحد.

---

١) بحار الأنوار، ج٣، ص٧٦.

وقد ورد الأمر بعدم تعويد الخبيث، كما ورد الذم من المعصوم الذي يجعل الوسواس مطيعا للشيطان، فقد ذكر الراوي لأبي عبد الله الصادق عليه السلام رَجُلًا مُبْتَلىً بِالْوُضُوءِ وَ الصَّلَاةِ، وَ قُلْتُ: هُوَ رَجُلٌ عَاقِلٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «**وَ أَيُّ عَقْلٍ لَهُ وَ هُوَ يُطِيعُ الشَّيْطَانَ؟!**» فَقُلْتُ لَهُ: وَ كَيْفَ يُطِيعُ الشَّيْطَانَ؟ فَقَالَ عليه السلام: «**سَلْهُ هذَا الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ فإنهُ يَقُولُ لَكَ: مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»[1]..، ومن بديع ما ورد في هذا المجال ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إِنَّ للهِ مَلَكاً يَكْتُبُ سَرَفَ الْوَضُوءِ، كَمَا يَكْتُبُ عُدْوَانَه**»[2].

الوسوسة في المحسوسات

١٨- إن من أدل الدلائل على أن الوسوسة في العبادات ومقدماتها مطابقة للمزاج المنحرف، سواء من جهة الشيطان أو النفس المستجيبة له، هو إن الموسوس لا يوسوس في غير المحسوسات؛ إذ إنها بعيدة عن طبعه المادي، فعينه على الماء والنجاسات القريبة إلى حسه، بينما لا يوسوس في أن الله تعالى راض عنه أو لا، أو إن للشيطان مدخلا في حياته أم لا، بل حتى في تزكية ماله ودفع الزيادة من ماله إبراء للذمة مثلا؟!. ولهذا نراه - مع وسوسته في المحسوسات - لا يبالي فيما فيه غضب ربه، كالغيبة والنميمة وغيرها من الآفات القولية والفعلية.

الطهارة شرط واقعي

١٩- إن الصلاة تبطل بوضوء باطل، ولو لم يُعلم صاحبها ببطلانه، فلو توضأ الإنسان بماء زمزم وطاف حول البيت، وصلى خلف المقام:

---

١) الكافي، ج١، ص٢٩.

٢) الكافي، ج٥، ص٧٣.



فعليه أن يعيد صلاته وطوافه وعمرته إذا علم بطلان وضوئه، وهذا بخلاف النجاسات، فمن صلى في ثوب نجس جاهلا فإن صلاته صحيحة، وإن طهارة الثوب والبدن شرط علمي، بينما طهور الصلاة شرط واقعي، فمثَل من يدخل عالم الصلاة بوضوء باطل كمثَل من يدخل البلاد متسللاً؛ فإذا كان متعمدا فإنه يعاقب، وإن كان ساهيا فإنه يعاتب!.

فيُعلم مما ذكر أن مدخل الصلاة هو هذا الوضوء الذي لا يعذر فيه حتى للجاهل سواء كان قاصرا أو مقصرا، وهذا بدوره يدل على أهمية موقع الوضوء في خارطة الصلاة.

أفضلها أحمزها

٢٠- إن القاعدة العامة في مجمل العبادات، هي «**إِنَّ أَفْضَلَ الأَعمَالِ أَحَمَزُها**»[١] أي أشقها على النفس كما روي عن النبيﷺ.. ومن هنا نقول: إن الاغتسال والوضوء إذا كانا بشيء من المشقة، فإن الأجر فيه متضاعف تفضلا من الله تعالى، فإن أفضل الأعمال ما أكره العبد نفسه عليها للإتيان بها.

ومن الممكن أن يكون مثل هذا الوضوء، دخيلا أيضا في صلاة خاشعة، وذلك لنزول البركات الإلهية الدفعية على العبد، من جهة مجاهدة نفسه ولو في مورد واحد، ومن مصاديق ذلك هو الوضوء في شدة البرد، فقد ورد في وصية النبيﷺ لأمير المؤمنينعليه السلام: «**يَا عَلِيُّ!.. ثَلَاثُ دَرَجَاتٌ إلى أَنْ قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَ انْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَ المَشْيِ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ إلى الجَمَاعَات**»[٢].

---

١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٣٧.

٢) وسائل الشيعه، ج١، ص٤٨٧.

انتقال البركة

٢١- إن ماء الوضوء مما يمكن أن يقال عنه: إنه تشمله البركة الإلهية، وذلك لأنه منتسب إلى الله تعالى بنحو من أنحاء الانتساب، ومن هذا المنطلق كان الصحابة يتسابقون على ماء وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله لاستيعابهم هذه الحقيقة: أي إن بركة ماء الوضوء مستمدة من بركة صاحبه، فقد روي أنه **كَانَ رَسُولُ اللهِ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَم، وَقَدْ خَرَجَ بلال الحبشي مِنْ عِنْدِهِ وَ مَعَهُ فَضْلُ وَضُوءِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئاً تَمَسَّحَ بِهِ وَجْهَهُ، وَ مَنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهُ شَيْئاً أَخَذَ مِنْ يَدَيْ صَاحِبِهِ فَمَسَحَ بِهِ وَجْهَهُ**[١].

ومن الممكن القول بأن هذه البركة متعدية إلى ماء وضوء كل مصل، وذلك من أجل الانتساب أيضا إلى صاحب الشريعة، إضافة إلى ما يوجبه من النشاط المطلوب تحققه قبل كل صلاة، وقد ذهب بعضهم إلى كراهة التمندل بعد الوضوء، وكأنّ بقاء ماء الوضوء على الأعضاء من موجبات البركة والأجر، فقد روي عن الصادق عليه السلام : **«مَنْ تَوَضَّأَ وَ تَمَنْدَلَ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَ مَنْ تَوَضَّأَ وَ لَمْ يَتَمَنْدَلْ حَتَّى تَجِفَّ وَضُوؤُه، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»**[٢].

ثمرة التشريعات

٢٢- إن بعض الآيات صريحة في بيان الهدف الغائي من تشريع العبادات، فذكرت «التقوى» في الصيام وذلك في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣]،

---

١) بحارالأنوار، ج١٧، ص٣٣ .

٢) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، ص١٧ .

٣) البقرة/ ١٨٣ .

و«تقوى القلوب» في السعي بين الصفا والمروة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1]، و نيل «صفة التقوى» في أضاحي الحج كما في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾[2].

ومن المعلوم في جميع هذه الموارد: إن نظر الشارع متوجه إلى عمارة القلب بالتقوى، وذلك من خلال تلك التشريعات الجزئية وإن لم يصرح بها في كل مورد.. ومن هنا يمكن أن نقول: بأن الله تعالى له نظر إلى طهارة الباطن بشكل أكيد، حينما يؤكد على التشريعات المتعلقة بالوضوء والغسل.

ومما يؤكد هذه الحقيقة ما روي عن الرضا عليه السلام: «**إِنَّمَا أُمِرَ بِالْوُضُوءِ وَبُدِئَ بِهِ، لِأَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ طَاهِراً، إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ عِنْدَ مُنَاجَاتِهِ إِيَّاهُ، مُطِيعاً لَهُ فِيمَا أَمَرَهُ، نَقِيّاً مِنَ الْأَدْنَاسِ، وَالنَّجَاسَةِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ ذَهَابِ الْكَسَلِ وَطَرْدِ النُّعَاسِ، وَتَزْكِيَةِ الْفُؤَادِ لِلْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ**»[3].

المعاني الدقيقة

٢٣ـ للشهيد الثاني قدس سره بيان طريف في بيان أسرار الوضوء، والمعاني التي هي من المناسب أن ينتقل إليها المتوضئ حين وضوئه فقال[4]:

«**فأمر في الوضوء بغسل الوجه: لأن التوجه والإقبال بوجه القلب على الله به، وفيه أكثر الحواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا، فأمر بغسله ليتوجه به وهو خال من تلك الأدناس،**

---

١) الحج/ ٣٢.

٢) الحج/ ٣٧.

٣) وسائل الشيعة، ج١، ص٣٦٧.

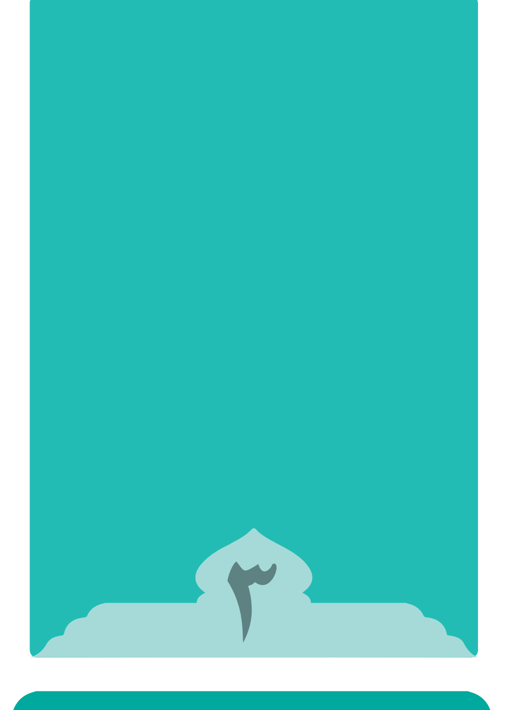
٤) أسرار الصلاة(للشهيد الثاني)، ص ٩٢ـ٩٣.

ويترقى بذلك إلى تطهير ما هو الركن الأعظم في القياس، ثم أمر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر أحوال الدنيا الدنية والمشتهيات الطبيعية، ثم أمر بمسح الرأس؛ لأن فيه القوة المفكرة التي يحصل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعية، وتنبعث الحواس حينئذ إلى الإقبال على الأمور الدنيوية، المانع من الإقبال على الآخرة السنية، ثم بمسح الرجلين؛ لأن بهما يتوصل إلى مطالبه، ويتوصل إلى تحصيل مآربه على نحو ما ذكر في باقي الأعضاء، وحينئذ فيسوغ له الدخول في العبادة والإقبال عليها فائزاً بالسعادة.

وأمر في الغسل بغسل جميع البشرة؛ لأن أدنى حالات الإنسان وأشدها تعلقا وتملكا بالملكات الشهوية حالة الجِماع وموجبات الغسل ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أَنَ تَحْتَ كُلِ شَعْرَةٍ جَنَابَةً»[1].

---

1) بحارالأنوار، ج٧٨، ص٥١.



الآداب الباطنية للساتر

إن هنالك أمورا متعلقة بلباس المصلي، نحاول أن ننتقل من خلال الأدب الظاهري له إلى الأدب الباطني فمنها:

الإباحة

١-إن ثوب المصلي يجب أن يكون مُباحاً أي غير مغصوب، فلا يكون فيه حق لأحد المخلوقين بسرقة أو غيرها، وأن لا يكون فيه حق للخالق أيضا، كما لو كان متعلقا لحق شرعي كالخمس مثلا. والأدب الباطني لهذا الشرط هو إن المولى يطلب من العبد أن يتخلص من التبعات المالية فيما بينه وبين غيره؛ لأن التبعة فيها من جهة ظلم ارتكبه العبد في علاقته مع ربه أو مع عباده، فكيف يلقى الله تعالى بثوب مبغوض ومكروه عنده، ولو باعتبار خيط واحد فيه؟!.

ترك الحرير والذهب

٢- إن على المصلي من الرجال أن لا يلبس الذهب والحرير، فهما معدودان من ثياب الترف واللين، وهما مما اختصت بلبسه النساء، أما الرجل الذي هو مظهر الجدية والكدح في الحياة، عليه أن يتحاشى الذهب والحرير في الصلاة وخارجها.

والأدب الباطني هنا ـ استلهاما لا حكمة أو علة ـ هو التعود على الخشونة في العيش وترك التجمل، وكم من المؤسف هنا أن يلبس الرجل ما يحرم لبسه فترة من الزمن، فيصر على هذه الصغيرة، ليتحول أخيرا إلى الكبيرة، حيث روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ**»[1].

وقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «**أَلَا وَ إِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَاتِعَ الخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَ النَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَ أَبْطَأُ خُمُودا**»[2].

الطهارة

٣ـ قد أمر المولى نبيه صلى الله عليه وآله أن يطهر ثيابه ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[3]، فإن كان هذا الأمر تعبيرا كنائيا، أفاد بذلك لزوم إصلاح العمل تحصيلا لطهارة الروح، فهو بالنسبة إلى الروح بمنزلة الثياب من البدن، وإن كان تعبيرا حقيقيا فإنه يدل على تشريع الطهارة للصلاة، بقرينة طلب التكبير قبلها.

فرب العالمين يطلب من العبد أن لا يدخل عليه وعليه ثياب نجسة، وحينئذ نقول: أو لا نستفيد من ذلك اهتمام الشارع ـ بطريق أولى ـ بطهارة الباطن؟!، حيث إن الصلاة ببقعة من الدم غير معفو عنها لا يقبلها رب الأرباب، فكيف بالإنسان إذا كان ملطخا في باطنه بما هو أسوأ من النجاسات الأنفسية، و التي لخصها بعضهم بالحاءات السبع في الرذائل والمتمثلة بـ«الحقد، الحَسَد، الحرص، الحدّة، الحماقة، الحيلة، الحقارة» مقابل الحاءات السبع في الفضائل والمتمثلة بـ«الحكمة، الحزم،

---

١) مستدرك الوسائل، ج١١، ص٣٦٧.

٢) نهج البلاغة (صبحي صالح)، ص٤١٨.

٣) ا. المدثر/ ٤.

الحلم، الحنان، الحصانة، الحياء، الحبّ».

فعليه يمكن الانتقال من طهارة الثوب والبدن في الصلاة، إلى طهارة القلب التي بها تتحقق المعراجية في الصلاة، ولنعم ما قاله الشهيدقُدِّسَ سِرُّه في هذا المجال[1]: «**فإنك إذا أمرت بتطهير ظاهر الجلد وهو القشر، وتطهير الثياب وهي أبعد عن ذاتك، فلا تغفل عن تطهير لبك، الذي هو ذاتك وهو قلبك**». فاجتهد في تطهيره بالتوبة والندم على ما فرط، وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل، وطهر بها باطنك فإنه موقع نظر المعبود.

ستر العورة

٤ـ اشترط المولى في اللباس أن يكون ساترا للعورة، أو لا يتعلق غرض الشارع بستر العورات الباطنية أيضا حين مواجهته ؟!.. فللإنسان عورات يستحي من إظهارها في باطنه، وهي الحالات النفسية المعيبة التي سترها رب العالمين بلطفه، ولكن بني آدم ـ بسوء تصرفه وحركاته ـ يكشف عن عوراته الباطنية من خلال عمل جوارحه، فشأنه حينئذ شأن من لا ساتر له.

ومن المعلوم أن هناك فرقا جوهريا بين العورة الظاهرية والعورة الباطنية؛ فالعورة الظاهرية لا تُعدم وإنما تستر، أما العورة الباطنية فبالإمكان أن تُعدم وتمحى، حيث إنه من الممكن أن يصل الإنسان إلى مستوى لا تكون له عورة في الباطن، فلو كُشف عنه الغطاء لما كُشف عن شيء يشينه.

وعليه فإن الدرجة العالية لا تتمثل في ستر العورات الباطنية و إنما في محوها، بحيث لو كشف الغير عن الباطن ما رأى إلا جميلا، وهذا الانكشاف سيتحقق يوم القيامة، شاء العبد أم أبى!.

---

١) أسرار الصلاة(للشهيد الثاني)، ص٩٦.

ستر المرأة

٥ـ إن على المرأة أن تلبس كامل حجابها حال صلاتها، ولو كانت في غرفة مغلقة لا يراها أحد من المخلوقين، فإن الله تعالى يحب أن تكون المرأة بهذه الهيئة بين يديه، والحال أنه مالكها بل فاطرها، فلا حاجة لستر بينه وبينها.. وعندئذ نقول: كيف تطاوعها نفسها أن تخرج بما لا يرضي ربها في معترك الرجال، حيث **عيون الفحول طوامح**، كما عبر عن ذلك أمير المؤمنين[1] عليه السلام ؟!.

استحباب الطيب

٦ـهناك تأكيد في روايات النبي والأئمة عليهم السلام على مسألة الطيب إلى درجة لافتة؛ إذ يحتمل وجود ارتباط خفي بين التطيب وبين عالم الأرواح، لما نراه من راحة النفس عند التطيب قد تتعدى حتى للملائكة المحيطة بالمصلي، وحينئذ نقول: كم من الفوز أن يتضاعف أجر الصلاة سبعين ضعفا، بمجرد وضع مقدار من الطيب، ليس له كثير قيمة على بدنه!.

و قد ورد عن الصادق عليه السلام : «**صَلَاةُ مُتَطَيِّبٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ طِيب**»[2]، فإنها وإن كانت حركة مادية لا تكلف الإنسان الكثير، إلا أنه يُعطى عليها الأجر العظيم، كعادة رب العالمين في إعطاء الكثير بالقليل، وعليها فإن الإنسان سيتحسر كثيرا يوم القيامة على فرص الأجر الكثير الذي فاته بغفلته، ومن هنا سمي يوم القيامة بيوم الحسرة!

استحباب السواك

٧ـ إن السواك مما أكّد عليه الشارع في روايات كثيرة، أكثر من التأكيد

---

١) «إن أبصار هذه الفحول طوامح»؛ نهج البلاغة (صبحي صالح)، ص٥٥٠.

٢) الكافي، ج١٣، ص١٩٢.

على التطيب كقول النبيصلى الله عليه وآله : «**لَوْ لَا أَنْ أَشُقَ عَلى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاة**»[1]، وقال أيضاصلى الله عليه وآله : «**طَيِّبُوا أَفوَاهَكُم بِالسِّواكِ**»[2]، بل ورد الأمر بالسواك في أوقات متعددة من اليوم والليلة: كالاستياك قبل النوم، وعند القيام منه، وعند كل وضوء، وعند كل صلاة.

ومن مجموع ذلك يعلم اهتمام الشارع - إضافة إلى التنزه وعدم الإقبال على المولى برائحة كريهة - بلزوم حفظ الصحة الظاهرية، فمن المعلوم طبيا أن منفذ البدن هو الفم، ومنه يدخل كل خبيث إلى الجوف، فلزم إبقاء هذا المنفذ نقيا من كل درن، وهو ما يؤمّنه السواك.

التزين في لباس اللقاء

٨- إن البعض قد يتزين بكامل زينته في اللباس فيما لو أراد لقاء وجيه من وجهاء الدنيا، بينما في لقائه مع ربه قد يصلي في ثياب نومه، وهذا ليس من أدب العبودية في شيء، فالعبد المراقب لربه يتزين ولو كان في جوف بيته، وكأنه في لقاء ملك من الملوك، بل أرقى من ذلك حيث يواجه رب الملوك!.. وهذا بدوره قد يكون له أثره في إقبال القلب على الله تعالى.

والروايات وإن كانت دالة على مطلق التجمل، إلا أن من مصاديقها هو التجمل حين الصلاة أيضا، فقد روي عن الصادقعليه السلام أنه قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ يُحِبُّ الجَمَالَ وَ التَّجَمُّلَ، وَ يُبْغِضُ الْبُؤْسَ وَ التَّبَاؤسَ**»[3]، وعن عليعليه السلام أنه قال: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، وَ يُحِبُ أَنْ يَرى أَثَرَ نِعَمِهِ عَلَى عَبْدِهِ**»[4].

---

١) الكافي، ج٥، ص٧٤.

٢) نهج الفصاحة، ص٥٦٠.

٣) وسائل الشيعة، ج٥، ص٥.

٤) وسائل الشيعة، ج٥، ص٥.

أهمية مراعاة حق الغير

٩- إن الإباحة دخيلة في صحة الصلاة وفي مكان ولباس المصلي، إلى درجة أدخلت الفقهاء في فروض لا تخطر بالبال وذلك لعظم حق المخلوقين عند رب العالمين، فطلب منا أن نستبرئ ذمم البعض في دار الدنيا قبل الانتقال إلى دار المحكمة الإلهية، حيث توضع الموازين القسط، ومن هذه الفروع اللافتة ما قيل: من أنه ربما يقال ببطلان الصلاة على دابة خِيط جرحها بخيط مغصوب!.

خير اللباس

١٠- إن خير اللباس - كما ورد في القرآن الكريم[١] - هو لباس التقوى،فكما إن الثوب الظاهري يغطي ظاهر العورة، فإن ثوب التقوى يغطى العورة الباطنية بل يزيلها، ولكن ينبغي للمصلي أن لا يغفل عن أحكام اللباس الظاهري الذي به يدخل الحرم الإلهي في الصلاة، كما يدخل بثوبي الإحرام الحرم المكي في الحج، ومراجعة اجمالية لكتب الفقه المتكفلة لهذا الجانب، كافية لمعرفة الآداب والسنن في لباس المصلي - فعلا لمستحب أو تركا لمكروه - حيث بلغت بمجموعها ثمانية وأربعين أدبا!.

اللباس المشغل

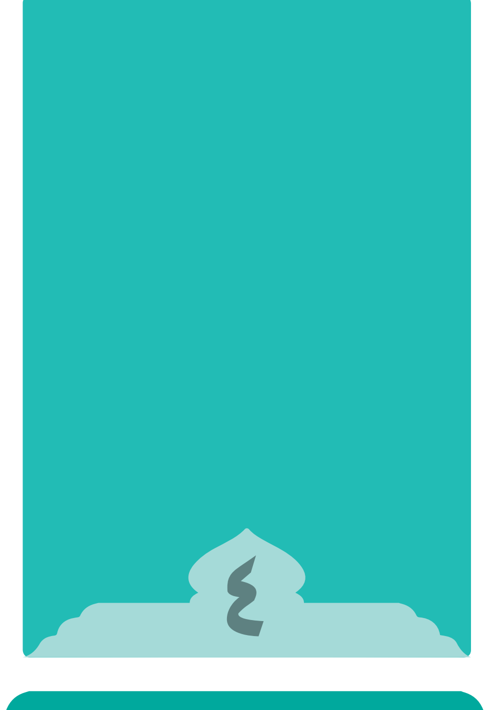
١١- وردت قاعدة عامة في ذلك اللباس الذي يرضى به الشارع، حيث إن اللباس عنوان للابسه، فقد يورث المهابة أو المهانة، وعليه فلا بد للمصلي أن لا يلبس ما فيه وهن لشخصه أو لشخصيته، ويبين ذلك الإمام الصادق عليه السلام حيث روي عنه: «**وَ خَيْرُ لِبَاسِكَ مَا لَا يَشْغَلُكَ عَنِ اللهِ**

---

١) ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾؛ أعراف/ ٢٦.

عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ يُقَرِّبُكَ مِنْ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، وَ لَا يَحْمِلْكَ عَلَى الْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَالتَّزْيِينِ وَالتَّفَاخُرِ وَالْخُيَلَاءِ، فإنهَا مِنْ آفَاتِ الدِّينِ، وَمُورِثَةُ الْقَسْوَةِ فِي الْقَلْبِ»[1]، وبطريق أولى فإن هذا الأمر يلزم مراعاته في الصلاة؛ لأنه أهم لقاء في عالم الوجود لو عقله الإنسان!.

١) مصباح الشريعة، ص٣٠.



الأسرار الباطنية للقبلة

خصوصية جهة الكعبة

١ـ من المناسب أن يبحث المصلي عن أسرار توجهه إلى القبلة (بشكل عام) كوقت النوم، ومكان الجلوس، وحين الاحتضار، وعن سر التوجه إلى القبلة (بشكل خاص) كوقت الصلاة، فللقبلة أسرارها كما أن للكعبة أحكامها، حيث إن لله تعالى نظرة خاصة للطائف حول البيت، وللمتوجه إليه في صلاته، والحال إننا نعلم جميعا بأنه ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[1]، ومع ذلك فإن الله تعالى يأمر عبده عند الصلاة، أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام.

درس توحد الهم

٢ـ توحد الهمّ في حركة الحياة، فعندما يصلي الإنسان فإنه يتخذ لنفسه اتجاها ثابتا، صباحا ومساء، فرضا ومستحبا، أي أن له جهة ثابتة في هذه الحياة الدنيا، عند الانشغال بالعبادة.

وهنا نقول: كما أن المصلي يتوجه بوجهه الظاهري إلى جهة ثابتة في عالم المادة متمثلة «بالبيت العتيق» فإن عليه التوجه بقلبه أيضا إلى جهة ثابتة متمثلة «بصاحب البيت» فالإنسان المبعثر في التفكير، أي

---

١) البقرة، ص١١٥.

الذي يُقبل يوما على الدنيا ويوما على الآخرة، كيف يمكنه أن يتوجه إلى الله عز وجل، وهو بهذا التوزع في الهمّ والتوجه؟!.

ولهذا فعلى العبد المراقب لنفسه، أن ينصب قبلة لنفسه في باطنه يدور حوله كما هو حال الملائكة أيضا، فكما أن الله تعالى نصب قبلة لبني آدم في الخارج، فإنه نصب قبلة للملائكة في عرشه، موازية للكعبة المشرفة في الأرض.. ومن المعلوم أن هذا المعنى يستلزم أن يجعل الإنسان في قلبه محورا يدور دائما حوله في كل تقلبات حياته، وهو ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بهذا الحديث البديع في باب السير إلى الله تعالى: «**الْقَلْبُ حَرَمُ اللهِ، فَلَا تُسْكِنْ حَرَمَ اللهِ غَيْرَ اللهِ**»[1].

التوجه بالقلب أيضا

٣ـ على المصلي أن يتوجه إلى الله تعالى بفكره وقلبه، ولكن بما أنه لا تدركه الأبصار، و الإنسان قد خلق من المادة التي تستهويه، فإن الله تعالى قد جعل لعامة المصلين رمزا متمثلا بالكعبة يتوجهون إليها في صلاتهم، ولكن الخواص من المصلين يرتقون عن هذه القبلة الظاهرية، ليعيشوا التوجه والالتفات إلى صاحب الكعبة التي لا تدركه الأوهام، لا إلى بيته الحجري المتمثل بالكعبة.

وحينئذ نقول: إنه لمن المؤسف حقا أن نرى وجوه المتوجهين للكعبة الظاهرية في موسم الحج أو العمرة تتلفت يمينا وشمالا، مع قلب يعيش حالة الإدبار عن رب البيت، والشاهد على ذلك ما نراه من الغفلة والرتابة في أداء تلك النسك!.. فإن الإنسان عندما يتوجه ـ بجسده ـ إلى الكعبة في صلاته، عليه أن يستدبر كل شيء ما سوى الكعبة ظاهرا، و بموازاة ذلك عليه أن ينصرف ـ بقلبه ـ عما سوى الله تعالى بل يستدبره.

---

١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٥.

إن هـذه المعـاني كلها يمكننا أن نستفيد منها من قـول الإمـام الصادق عليه السلام كما روي عنه في تفسير سر القبلة والأدب الباطني عند التوجه إليها: «**إذا اسْتَقْبَلْتَ الْقِبْلَةَ، فَآيِسْ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَالخَلْقِ وَمَا هُمْ فِيهِ، وَفَرِّغْ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ يَشْغَلُكَ عَنِ اللهِ تعالى، وَعَايِنْ بِسِرِّكَ عَظَمَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاذكُرْ وُقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ الله تعالى:** ﴿هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إلى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِ﴾[1]، **وَقِفْ عِلَى قَدَمِ الخَوفِ وَالرَجاء**».

شكورية الله تعالى

٤ـ إن الله تعالى شكور يبارك في العمل الذي هو خالص لوجهه، وهو ما ينبغي تذكره عند التوجه إلى القبلة، أي الكعبة التي بناها الخليل إبراهيم عليه السلام ، وأعانه عليه ابنه إسماعيل عليه السلام ، وكان دعاؤهما عند بناء ذلك البيت: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2] فاستجاب الله تعالى لهما، فقبل منهما بأحسن قبول، وأي قبول أعظم من أن يكون ذلك البناء المتواضع الذي بُني قبل آلاف السنين وفي واد غير ذي زرع، مثابة للناس وأمنا؟!.. والأهم من ذلك أن الله تعالى ادخره قبلة خاصة للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وأمته إلى يوم القيامة.

وليُعلم ـ في هذا السياق ـ أنَّه قد جاء الوعد الإلهي بالمباركة في حديث بديع، يدل على أنَّ الله تعالى إذا أراد أن يبارك في شيء، فلا حد لمباركته، وهو ما روي عن الرضا عليه السلام أنه قال: «**أوحَى اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلى نَبيٍّ مِنَ الْأَنْبياءِ: إذا أُطِعْتُ رَضِيتُ، وَإذا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَايَةٌ، وَإذا**

---

١) مصباح الشريعة، ص٨٧.

٢) بقرة/ ١٢٧.

عُصِيتُ غَضِبْتُ، وَإذا غَضِبْتُ لَعَنْتُ؛ وَ لَعْنَتِي تَبْلُغُ السَّابِعَ مِنَ الْوَرَاءِ»[١].

فكم على الأرض من قصور وآثار، وحضارات ظهرت وسادت ثم بادت، ولكن بقي هذا البناء المتواضع، وبقي ماء زمزم والذي هو شفاء لما شرب له ينبوعا خالدا، تخليدا لذكرى عطش أمة الله هاجر وولدها إسماعيل، وذلك عندما أوكل إبراهيمعليه السلام أمرهما إلى الله تعالى. أو ليس في ذلك كله دروس الخلود للعمل المنتسب إلى الله عز وجل؟!

تكريم النبيصلى الله عليه وآله

٥- إن الله تعالى كرّم نبيه المصطفىصلى الله عليه وآله من خلال ارتضائه له قبلة يرضاها، فإن الله تعالى مع تخليده لباني البيت وهو إبراهيمعليه السلام، إلا أنه أيضا خلّد ذكر من جعلت الكعبة قبله له، ألا وهو الحبيب المصطفىصلى الله عليه وآله الذي كان يقلب وجهه في السماء طلبا لقبلة يرضاها، فاستجاب له الحق المتعال، فخصه بهذه القبلة التي اختصه بها من بين الأمم ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[٢].

المسخ الباطني

٦- لا بد من الخوف من المسخ الباطني عند انصراف القلب عن الله تعالى، فإن المصلي منهي عن صرف الوجه عن القبلة الظاهرية، فلو كان عن تعمد بطلت صلاته، ومن الممكن أن ينطبق عليه الحديث النبوي القائل: «أَمَا يَخَافُ الَّذِي يُحَوِّلُ وَجْهَهُ فِي الصَّلَاةِ، أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ وَجْهَهُ وَجْهَ حِمَارٍ»[٣]. فإذا كان الصرف الظاهري للوجه يوجب الخوف من

---

١) الكافي، ج٣، ص٦٨١.

٢) البقرة/ ١٤٤.

٣) بحارالأنوار، ج٨١، ص٢١١.

هذا النحو من المسخ، فكيف بصرف القلب الباطني ـ الذي هو أولى بالمراعاة ـ حين الوقوف بين يديه تعالى؟!.

وليُعلم هنا أن الصلاة معراج ولقاء مع رب العالمين، والتجليات في الصلوات المفروضة لا تتكرر في عبادة أخرى من فروع الدين؛ لأن الله تعالى يُقبل في الصلاة على عبده بما لا يقبل في غيرها، ومن هنا قال النبي الأكرمﷺ: «**وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللهَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَى وَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِت**»[1] فقد يكون الإنسان أمام الكعبة، وفي موسم الحج، وخلفَ المقام وفي حال الإحرام، ولكن يتحول بيت الله تعالى عنده إلى ما هو في حكم بيته، بما فيه من الزوجة والأولاد، منشغلا بهم في قلبه وفكره، فما الفائدة من هذا الوقوف؟!.

وأخيرا نقول: إن الذي يصلي في أقصى بلاد العالم، وقلبه متوجه إلى الله تعالى، لهو أقرب إلى الله تعالى ممن يصلي أمام الكعبة وهو يسيح في عالمه المشغل لقلبه.

الوجه الباطني

٧ـ إن من الضروري امتلاك وجه باطني ناظر إلى المولى، فإن المصلي عندما يصلي، يقول كما علمه القرآن الكريم: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، وهذا الوجه الوارد في الآية لا يُراد به الوجه الظاهري قطعا حيث يقول تعالى: ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

وحينئذ نتساءل قائلين: إذا لم يكن للعبد وجه فيه تلك الحواس

---

١) المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٥٨٢.

٢) أنعام/ ٧٩.

٣) البقرة/ ١١٥.

الباطنية والتي بها يرى جمال الخالق، فكيف يوجّه وجهه إلى ذلك الجمال؟!.

كعبة القلب

٨ـ إن المصلي يتوجه ببدنه إلى القبلة، ولكن هناك كعبة أخرى في عالم الوجود يمثل نقطة التفاتة الغيب إليها، والتي هي مركز التجليات الإلهية والمتمثلة بقلب المؤمن، حيث عُبر عنه كما في هذه الرواية القدسية: «**لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَلَكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ**»[1].

وعليه فمن الممكن أن ينظر المصلي إلى قلبه، فيشغله ما يراه في قلبه عن كل شيء ـ حتى الصورة الظاهرية للكعبة ـ لأنه يرى في قلبه «صاحب البيت» حيث إن قلب المؤمن هو بيته بالنسبة إليه، فلا حاجة للنظر إلى «حجارة البيت».. ومن هنا لا يتحير أصحاب هذه المرتبة فيما ينبغي شغل البال فيه أثناء الصلاة؛ لأن قلوبهم مرآة عاكسة لجلال ذلك العالم وجماله.

١) عوالي اللئالي، ٤، ص٧.



الآداب الباطنية للوقت

الحب الصادق

١ـ إن من الممكن لأحدنا أن لا يحمل في قلبه لربه معشار الحب الذي يحمله لأولاده وزوجته!.. فمن يدعي الحب لله عز وجل فلينظر إلى قلبه عند تعارض المصالح، حيث إنه باختبار بسيط يمكن لأحدنا أن يكتشف هذه الحقيقة المرّة في نفسه، وهي أنه يحب الزوجة والأولاد في مقام العمل أكثر مما يحب رب العالمين، وذلك عندما تطلب الزوجة منه شيئا ليس لله فيه رضا إما مكروها أو حراما، فيخالفُ الزوج رضا رب العالمين جلباً لرضاها؛ فمعنى ذلك أن الزوجة أحبّ إليه من ربه في مقام الطاعة!.

ومن الكواشف هنا هي الصلاة في أول وقتها، فمن يرى أن الأنس بالزوجة والأولاد، أقرب إلى قلبه من الصلاة ساعة دخول الوقت، فليعلم أن هناك خللا في سلم المحبوبات عنده، وإن ادعى بلسانه خلاف ذلك، وقد حذر القرآن الكريم من الالتهاء بالأموال والأولاد عن ذكره، وذلك بقوله: ﴿لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[1].

وللشهيد الثانيقدس سره بيان جميل[2]، ومثال بديع حيث يقول:

---

١) المنافقون/ ٩.

٢) أسرار الصلاة(للشهيد الثاني)، ص ١٠١.

«والزم الخشوع والخضوع، والذل والانكسار، فإنه عند الموصوف بذلك، ومثّل في نفسك لو أن ملكا من ملوك الأرض، وعدك بأن يكتبك في وقت معين من خواصه، والقائمين بين يديه ببعض خدمته، ويخاطبك وتخاطبه على طريق الانبساط والأنس في مخاطباتك، وتطلب إليه ما تحتاج إليه من مهماتك، ويجعلك عنده من مقرب العبادة، ويخلع عليك خلعه سنية بين الأشهاد، ويجعل ذلك إلى مدة طويلة وغاية بعيدة، مع أنه لا يؤثر ذلك في حظك عند الله تعالى بل يزيده، أما كنت تنتظر ذلك الوقت قبل إبانه، وتهتم له قبل أوانه، وتفرح بقربه فضلا عن دخوله، ويزيد بهجتك وسرورك عند وصوله؟!».

صفات المفلحين

٢ـ إن من أهم الآيات المتعلقة بالصلاة الخاشعة، هو مفتتح سورة «المؤمنون»: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١]، حيث بعد ذلك يذكر مواصفات المؤمنين، وهي: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٣]، وأخيراً يقول: ﴿**وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾[٤].

إذن هنالكَ خشوعٌ قلبي، وهنالك حفظٌ للصلاة بمعنى المحافظة عليها بمراعاة أول أوقاتها؛ لأنها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، فأصل الصلاة مطلوب ولكنها في كفة، والإتيان بها في وقتها ـ محافظة عليها ـ مطلوب آخر في كفة أخرى.

---

١) المؤمنون/ ١.

٢) المؤمنون/ ٥ـ٢.

٣) المؤمنون/ ٨.

٤) المؤمنون/ ٩.

المجموع المتكامل

٣ـ إن الصلاة قضية مركبة من عناصر مترابطة؛ فالذي يصلي صلاة خاشعة في الليل، ولكن لا يراعى بصره في النهار، فهذا يعد ممن تجاوز الحد ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾[١]، والتاجر الذي يقيم الليل إلا أنه غير أمين في تجارته، فهذا لا ينطبق عليه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٢]، والذي يقيم الليل، ويؤدي الأمانات، ويحفظ الفرج، ولكن إذا دخل المجالس تكلم في كل ما هبَّ ودب، فهذا لا يعد أيضا فالحا؛ لأنه خرج من دائرة الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[٣].

وبالتالي فإن المطلوب هي هذه المجموعة المتكاملة المترابطة، والذي يريد أن يكون من الفالحين، لا بد أن تكون صلاته خاشعة، وعن اللغو معرضا، وللزكاة فاعلاً، ولفرجه حافظا، وللأمانة مؤدياً.. فهذا كله مجموعٌ متكامل، ويضاف إليها الحفظ على الصلوات في أول أوقاتها كعنصر من عناصر الفلاح والفوز، وهو معنى حفظ الصلوات في مفتتح سورة المؤمنون.

الساهون في صلاتهم

٤ـ إن من الممكن أن يقال: بأن قوله تعالى:﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٤] منطبق على المصلي الذي لا يُقبل في صلاته، وقد قيل[٥] في

١) المعارج/ ٣١.
٢) المؤمنون/ ٨.
٣) المؤمنون/ ٣.
٤) ماعون/ ٥.
٥) الميزان، ج٢٠، ص٣٦٨.

تفسيره: «أي غافلون لا يهتمون بها، ولا يبالون أن تفوتهم بالكلية، أو في بعض الأوقات، أو تتأخر عن وقت فضيلتها وهكذا»، ومن الممكن أيضا أن يقال: إن من مصاديق السهو عن الصلاة، هو تأخيرها عن وقتها لغير عذر، وهو ما روي في حديث مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**تَأْخِيرُ الصَّلَاةِ عَن أَوَّلِ وَقتِهَا لِغَيرِ عُذرٍ**»[1].

و من صور عدم الاعتناء بالصلاة، هي حالة الإنسان عند الأذان والإقامة. ففي الأذان والإقامة هناك اثنتا عشرة دعوة للتعجيل في الإقبال على الله تعالى وهو الغني عن عباده، حيث يقول المؤذن: «حيّ» أي عجل إليّ أو عليّ!.. فلو أنَ إنساناً قال لخادمه: يا فلان اسقني ماء!.. وكرر عليه القول اثنتي عشرة مرة، وهو لا يبالي بحاجة مخدومه، فإن أقل ما يقوم به هذا المخدوم هو أن يسرّح خادمه من خدمته، حيث إنه لم يلب نداءه كما لم يعتذر منه رغم الدعوات المتكررة. فالعبد المطيع إما أن يلبي النداء وإما أن يعتذر.

وعليه فإن الذي يسمع الأذان في أول الوقت، وهو غير معذور في انشغاله بغير الصلاة، كما لو كانت عينهُ مشغولة بالأباطيل، أو سمعه مشغولا بلغو القول أو الحرام، فيا ترى ما هي درجته في عالم العبودية لله تعالى؟!.

وليُعلم هنا أن بني آدم موجود غير منصف، فربُّ العالمين يناديه مرات عديدة و في اليوم الواحد«عجّل، عجّل» وهو لا يبالي، ولكن إذا سقط في فراش المرض، يقول: رب عجّل في شفائي!.

أو لا يصح أن يقال في حقه: هذه بتلك، حيث تريد من رب العالمين أن يعجل في قضاء حاجتك، بينما أنت تسمع نداءه كل يوم وأنت لا تبالي، فأينَ الإنصاف؟.

---

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص١٢٤.

تبعية كل شيء للصلاة

٥- إن أمير المؤمنين عليه السلام هو الصراط المستقيم بنفسه والمبين له بقوله وفعله، ومصداقا لذلك فإنه عندما بعثَ محمد بن أبي بكر لولاية مصر، زوّدهُ ببيان فيه قواعد إدارة المملكة، وفيه: «**وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ، فَمَنْ ضَيَّعَ الصَّلَاةَ فإنهُ لِغَيْرِهَا أَضْيَعُ**»[1]، أي إذا أردت أن تكون كاسبا مرزوقا فعليكَ بالصلاة في أول الوقت، وإذا أردت أن تكون سياسيا موفقا فعليك بصلاة أول الوقت، وإذا أحببت أن تسرح في بحر الملكوت والقرب الإلهي أيضا فعليك أيضا بصلاة أول الوقت.

ومن هذا البيان يُعلم أن الذي يريد أن يصلح أموره كلها، من دون امتلاك هذه الوقفة الخاشعة بين يدي ربه لهو إنسان متوهم؛ لأن غير الموفق عند لقاء مولاه، كيف يكون موفقا خارج لقائه؟.

أهمية صلاة الفجر

٦- إننا عندما نؤكد على الصلاة في أول الوقت، فإننا نريد بذلك جميع الصلوات بما فيها صلاة الفجر، فالذي تمر عليه الليالي والأيام ولا يستيقظ فيها لصلاة الفجر، فإنه لا يقطف ثمرة الصلاة المؤثرة في تغيير كيانه، فإن مثَل الصلاة في تحقيق خواصها، كمثل الدواء الذي لا بد أن يؤخذ بانتظام، فمن أخل بأوقاته لم يعط الدواء أثره.

وعلينا أن نعلم - في هذا المجال - أن بين صلاة العشاء وبين صلاة الظهر فترة طويلة من الانقطاع عن الصلاة الواجبة، فإذا لم يصلّ الإنسان صلاة الفجر القاطعة لهذا الفصل، فإن هذه الفترة ستكون مميتة للقلب، وعندئذ فهل سيكون من الفالحين؟!.

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص١٦١.

الجبر بالقضاء

٧ـ إننا نعلم أنه قد رُفعَ القلم عن النائم حتى يستيقظ، ولكن لو أن شابا عاشقا كان ينتظر ساعة الوصل بمن يعشقها، وفاتته وسيلة اللقاء بنومة نامها، فهل يريح ضميره بحديث رفع القلم؟!. أو أنه يعيش ألم الليالي والأيام لفوات فرصة الوصال، و هذا هو حال بعض الصالحين عندما يستيقظ بعد طلوع الفجر، فيحزن لما فاته من البركات عند السحر والفجر وبين الطلوعين!.. فيصلي بين يدي الله تعالى بعدها مباشرةً، ليكون صادقا في الاعتذار بين يديه، إذ لعله كان مقصرا في بعض مقدمات الاستيقاظ.

وقد يتفق أن يصلي من فاته الأداء صلاة قضائية بخجل وندم، فتوجب له أجرا مضاعفا في قضائه، وفي المقابل فهناك من في ذمته صلوات كثيرة، ولكنه لم يقضها أيام شبابه، ثم يتوقع النشاط في قضائها عند كبر سنّه، وضعف قوته.

التجليات الخاصة

٨ـ لا شك بأن لله تعالى تجليات في أزمنة البركة، كما أن الأمر كذلك في أماكن البركة، رغم أن نسبة الأزمنة والأمكنة إلى الله تعالى في عالم التكوين هي نسبة واحدة، ومن هنا فإن الله عز وجل ـ لملاكات لا يعلمها إلا هو ـ جعل لبعض الأمكنة والأزمنة فضلا يميزها على غيرها، ومثاله في الأماكن هي المساجد الأربع الذي يتخير فيها المصلي بين القصر والتمام، ومثاله في الأزمنة محطات التميز في الأشهر العبادية الثلاثة، ويدخل في هذا السياق أوقات الصلوات حيث تفتح فيها أبواب السماء، ويكون جهد العبد في التقرب إلى ربه فيها أقرب للاستجابة، وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إِنَّ فَضْلَ الْوَقْتِ الأول عَلَى الْآخِرِ، كَفَضْلِ الآخرة عَلَى الدُّنْيَا**»[1].

---

١) الكافي، ج٦، ص٣٥.

الرضوان والغفران

٩- هنالك عناية إلهية - في الحد الأدنى - من أول الوقت إلى آخره، ولكن كلما ابتعد الإنسان عن أول الوقت، كلما ابتعد عن تلك العناية الإلهية الخاصة، ولهذا قيل بأن الصلاة في أول الوقت فيها رضوان الله عز وجل، وفي آخر الوقت غفران الله عز وجل، وقد روي عن الصادق عليه السلام: «**أَولُهُ رِضْوَانُ اللهِ، وَآخِرُهُ عَفْوُ اللهِ، وَالْعَفْوُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ ذَنْبٍ**»[١].

فلا بد من أن يكون المؤمن حريصا على أن يتمتع بكل مزايا الصلاة في أول وقتها.. وعليه، فلو أخّر صلاته - ولو لعذر وجيه - فعليه أن يعيش حالة الندامة والحسرة، و إلا ما كان مستوعبا لحقيقة الصلاة.

الشوق قبل الوقت

١٠- إن الإنسان المؤمن يعيش حالة الشوق إلى الصلاة الواجبة قبل دخول الوقت، إلا أنه ممنوع منها لعدم دخول الوقت المشروط به، فلو أن الإنسان صلى صلاته الواجبة في قمة الخشوع وفي جوف الكعبة ومتطهرا بأسبغ وضوء، ولكن كل ذلك كان قبل دخول وقتها؛ فإن هذه الصلاة لن تكون مقبولة عند مولاه، و لكن عندما يدخل الوقت، فإنه يجد الفرصة المناسبة ليعبر عن شوقه وحنينه وتخشعه بين يدي ربه.

ولهذا فإن حالة المصلي في أول الوقت كحالة عامة الصائمين في شهر رمضان، فإن الصائم الجائع العطشان ينتظر أول الأذان لكي يصل إلى بغيته من الطعام والشراب، وكذلك الذي يعيش الجوع الباطني، فإنه يعيش حالة الصائم الجائع، فينتظر دخول الوقت بلهفة وشوق ليتحدث إلى ربه، فيُقبل على الصلاة في أول الوقت، بنهم الصائم الجائع الذي ينتظر وقت الإفطار.

---

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص١٢٣.

وقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «**الصَّلَوَاتُ المَفْرُوضَاتُ فِي أولِ وَقْتِهَا إذا أُقِيمَ حُدُودُهَا، أَطْيَبُ رِيحاً مِنْ قَضِيبِ الْآسِ، حِينَ يُؤْخَذُ مِنْ شَجَرِهِ فِي طِيبِهِ وَرِيحِهِ وَطَرَاوتِهِ، فَعَلَيْكُمْ بِالْوَقْتِ الأول**»[١].

توزيع الصلاة

١١ـ كان من الممكن أن يكلف الله تعالى المؤمنين بهذه الركيعات دفعة واحدة، ولكن شاءت الحكمة الإلهية أن يوزع الصلاة على محطات مختلفة في اليوم؛ فمحطة الصباح مغايرة تماما لمحطة الظهيرة، ومحطة الظهيرة محطة مغايرة لمحطة العشاء من حيث لون النشاط وطبيعة الحركات فيها: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[٢].

وكأن الله تعالى يريد أن يذكّر الإنسان بأنه لا بد وأن يوزع ذكر الله تعالى على مجمل نشاطه اليومي، ليستنير وقته كله بذكره، وهو معنى الدوام في الذكر في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[٣]، إضافة إلى حفظها كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٤].

محطات الذكر المختلفة

١٢ـ إن بعضهم يجعل لنفسه محطات معينة للذكر، فيجعل في عمره محطة واحدة للذكر الخاص ألا وهو الحج، ويجعل لنفسه شهرا للذكر

---

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص١١٩.

٢) الإسراء/ ٧٨.

٣) المعارج/ ٢٣.

٤) المعارج/ ٣٤.

ألا وهو شهر رمضان، ويجعل لنفسه في اليوم والليلة محطات للذكر متمثلة بالصلاة اليومية، وهذا منطق لا ينسجم مع طبيعة العبودية التامة؛ فالمخلصون من عباده لا يكتفون بالذكر في المحطات المذكورة، بل يملؤون الفراغ بينها وبين باقي أو قات نشاطهم بالذكر والإنابة إلى الله عز وجل، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذا نَسيت﴾[1].

وعليه فإن على الإنسان أن يجعل لنفسه محطات كبرى للذكر، ولكن مع ذلك يجعل محطات متوسطة لذكر الله سبحانه وتعالى بين محطة وأخرى، ليبدو الوقت كله مستغرقا بذكره، إذ قد أمرنا بالذكر الكثير الذي لا يتم إلا بما ذكرنا آنفا.

اكتشاف النفس

١٣ـ إن الإنسان إذا أراد أن يكتشف نفسه وما عليها من القرب من مولاه، فعليه أن ينظر إلى نفسه عند دخول الوقت؛ فإذا كان متثاقلا أو متفاجئا لدخول الوقت ـ وكأنه يتمنى تأخير الأذان ليكمل ما كان مشغولا به ـ فإن هذه من علامات البعد عن الله عز وجل.

فهب أن عزيزاً عليك فارقك مدة من الزمن، ثم أراد أن يختبر بقاء حبّك له في سنوات الفراق هذه، فإنه ينظر إليك في ساعة لقائه، فيرى ملامح وجهك شاهد صدق على حالك، وهكذا فإن المحب الصادق يُعلم حاله عند دخول الوقت، وذلك من جهة الشوق للحديث مع من كان قلبه مشغولا به، قبل دخول الوقت أيضا.

الحالة العفوية

١٤ـ إن حال الإنسان قد يتغير من جهة علاقته مع ربه بعد التلقين

١) الكهف/ ٢٤.

وسماع الموعظة وقراءة الكتب، ولكن الحالة العفوية الأولى هي المقياس في ذلك، فعندما يدخل الوقت يعيش البعض حالة من الكسل والتثاقل، ولكن وبعد الموعظة والمجاهدة والحديث مع النفس يتحول إلى شوق وإقبال، وهذا بدوره أمر محمود يبشر بالخير، ولكنه يكشف أيضا عن خلل في النفس، وهو أن صاحبها ليست له حركة تلقائية في سعيه إلى الله سبحانه وتعالى، ومن المعلوم أن أية حركة في الوجود ليست وراءها قوة ممدة، فإن مآلها إلى السكون والتوقف أخيرا.

المحطات المميزة

١٥-إن على طالب الكمال أن يغتنم محطات العناية الخاصة في اليوم والليلة، فمنها محطة ما بين الطلوعين، فهي من المحطات التي يغفل عنها الكثيرون، حيث إن من أسباب حرمان الرزق ـ سواء في عالم المادة أو المعنى- هو النوم بين الطلوعين، فإنها ساعة تُقسم فيها الأرزاق، ومنها المحطة السابقة لأذان الفجر من ساعة السحر، فهذه محطة ثابتة في حياة الأولياء، حيث يتجلى الله تعالى لأوليائه فيها.

ولا نعلم أحدا يتمنى المقام المحمود، من دون أن تكون له وقفة مع ربه في هذه الساعة المباركة.. وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إذا دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِصُعُودِ الْأَعْمَالِ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ عَمَلٌ أولُ مِنْ عَمَلِي، وَ لَا يُكْتَبَ فِي الصَّحِيفَةِ أَحَدٌ أولُ مِنِّي**»[١].

الصلاة الوسطى

١٦- إن من المحطات الصلاتية المهمة هي الصلاة الوسطى، والتي اختلف المفسرون في تفسيرها، ولعل أَوْجَه الأقوال فيها أنها هي صلاة

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص١١٩.

الظهر؛ فهذا الوقت قمة تشاغل الإنسان بحركة الحياة، وعلى الإنسان الملتفت أن يقطع نشاطه في تلك الساعة، ليقف مناجيا بين يدي الله تعالى، وما أجملها من حركة حيث يقطع الإنسان القيل والقال مع البشر، والتفاعل مع ذرات هذا الوجود من الطين والتراب، ثم يتوجه إلى رب الأرباب، وقد روي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «**أَوَّلُ الْوَقْتِ زَوَالُ الشَّمْسِ، وَهُوَ وَقْتُ اللهِ الأَوَّلُ وَهُوَ أَفْضَلُهُمَا**»[1]، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إذا زَالَتِ الشَّمْسُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأَبْوَابُ الْجِنَانِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، فَطُوبَى لِمَنْ رُفِعَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عَمَلٌ صَالِحٌ**»[2].

نظم الوقت

١٧- يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾[3]، فالإسلام يريد منا نظم الأمر، والانضباط في السلوك، واستغلال أوقات العمر، فالحج أيام معدودات معلومات، والصيام من الفجر إلى الغروب، والخمس على رأس الحول، وكذلك الصلوات اليومية، فإن لها ساعات لدخول أصل الوقت، وساعات للفضيلة، وساعات لانتهائها.

ومن المعلوم أن من موجبات الحسرة يوم القيامة، هو عدم البرمجة في حياتنا، فلا النوم يكون في وقته، ولا اليقظة في وقتها.

التخفف قبل الصلاة

١٨- إن الذي يحمل همّ الصلاة الخاشعة قبل دخول الوقت، فإنه

---

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص١٢٠.

٢) الأمالي (للصدوق)، ص٥٧٥.

٣) النساء/ ١٠٣.

يمهد لنفسه بذلك التوفيق في صلاته، وذلك من خلال التخفف من أمور الدنيا المشغلة للقلب أولا، والإكثار من الاستعاذة من الشياطين التي تحوم حول قلبه لإيقاعه في شباكه، قبل مثوله بين يدي الله تعالى ثانيا.

ومما يؤكد هذه الحقيقة، إن الله تعالى أمرنا بالاستعاذة من الشياطين قبل قراءة القرآن، مما يفهم منه أن الشيطان يشتد طمعه بالعبد إذا نوى التقرب إلى ربه كقراءة القرآن مثلا، ومن ساعات الطمع أيضا هي الإتيان بالصلاة؛ فإنها عمود دينه، وقد روي عن النبيﷺ أنه قال: «**حَتَّى يَخطِرَ بَينَ المَرءِ وَنَفسِهِ يَقُولُ: اُذكُر كَذا، اُذكُر كَذا حَتَّى يَظَلَّ الرَجُلُ لَا يَدرِي كَم صَلَّى**»[1].

الختم على القلب

١٩- إن من العقوبات القاسية المتوجهة للغافلين عن ذكر الله تعالى هو الختم على القلب، أو على الأقل اسوداده.. ومن هنا لا بد من الخروج من هذه المهلكة القاتلة، والقدر المتيقن للنجاة منها هو أن يكون الإنسان من الذاكرين لله كثيرا.

ومن المعلوم أن هذه الرتبة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، فإن تجاذبات الهوى، وحومان الشياطين حول النفس، ومنعها من التوجه إلى عالم الغيب، مانعة للوصول إلى هذه الدرجة العليا من الكمال، ولكن هناك ما يشير إلى أن الصلاة في أول الوقت، مما يوجب الخروج من زمرة الغافلين، رغم أنه ليس من الذكر الكثير بعنوانه الأولي، فشابهت تسبيحات الزهراءعليها السلام من هذه الجهة، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**أَيُّمَا مُؤْمِنٍ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ المَفْرُوضَةِ، فَصَلَّاهَا لِوَقْتِهَا، فَلَيْسَ هذَا مِنَ الْغَافِلِينَ**»[2].

---

١) شرح فروع الكافي (للمازندراني)، ج٣، ص٢٥٨ و مسند أحمد، ج ١٦، ص ٤٤٨.

٢) الكافي، ج٦، ص٢٤.

أدوات تعيين الوقت

٢٠ـ إن من علامات المؤمن أن يكون له ما يعينه على معرفة أول الوقت، وقد تعددت هذه الأيام الوسائل التي بها يمكن أن يستدل العبد على أوقات الصلوات، فأي عذر له في ترك الصلاة أول الوقت، وخاصة مع وجود الأماكن التي تريحه في عبادة ربه حتى حين العمل؟!.. فلا عذر لمن يتساهل في الصلاة أول وقتها.

وعليه فإن الاهتمام بأول الوقت، مكسب مستقل قبال أصل الصلاة الخاشعة، فهذه أدنى صورة من صور العبودية لله تعالى، بالإضافة إلى الجائزة المذكورة في الرواية، والمتمثلة بتسهيل الموت وإذهاب الهم والغم، ـ وهما أمنية كل من يعتقد باليوم الآخر ـ فقد روي عن النبيﷺ أنه قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ اهْتَمَ بِمَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ وَمَوَاضِعِ الشَّمْسِ، إِلَّا ضَمِنْتُ لَهُ الرَّوْحَ عِنْدَ المَوْتِ، وَانْقِطَاعَ الهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، كُنَّا مَرَّةً رُعَاةَ الْإِبِلِ، فَصِرْنَا الْيَوْمَ رُعَاةَ الشَّمْسِ»[1].

عدم اليأس

٢١ـ لا ينبغي اليأس في طريق العبودية لله تعالى، فبعضهم يحاول جاهدا في السيطرة على طائر خياله من دون جدوى؛ لأن الوساوس الشيطانية غالبة عليه، وذلك أن هذه المجاهدة من أعمال الجوانح والتي يصعب التحكم فيها، ولكن ما المانع من التحكم بالجوارح، فيبني العبد على صلاة أول الوقت مهما كلفه، راجيا بذلك أن ينجبر النقص في إقباله، إلى أن تتأتى فرصة موافقة الباطن للظاهر، وأداء أول الوقت مع خشوع القلب، فعن الصادقعليه السلام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ

---

١) الأمالي (للمفيد)، ص١٣٦.

صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1] أَهِيَ وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ؟!..قَالَ: «**لاَ كُلُّ أَحَدٍ يُصِيبُهُ هَذَا، وَلَكِنْ أَنْ يَغْفُلَهَا وَيَدَعَ أَنْ يُصَلِّيَ فِي أولِ وَقْتِهَا**»[2].

الخوف من العواقب

٢٢- إن الخوف من الميتة غير الحميدة، همّ لا يفارق جميع المكلفين إلا من عصمه الله تعالى، وسير الماضين مليئة بصور الانتكاسة قبل الموت بل في ساعة الاحتضار، ولا ريب أن الحساب والكتاب يدوران مدار اللحظات الأخيرة من العمر، فكم من المرعب حقا أن يعيش الإنسان الشقاء الأبدي أو الطويل، وذلك لسوء التوفيق في سويعات قصيرة قبل مماته؟!..

وهنا تأتي قيمة الصلوات في أول أوقاتها، حيث إن المحافظة عليها يُدخل العبد في دائرة الرعاية الخاصة لملك الموت، الموكّل بنا جميعا، فقد روي عن النبيﷺ أنه قال: «**إنما يَتَصَفَّحُهُمْ فِي مَوَاقِيت الصَّلَاةِ، فإن كَانَ مِمَّنْ يُوَاظِبُ عَلَيْهَا عِنْدَ مَوَاقِيتِهَا، لَقَّنَهُ شَهَادَةَ أَنْ لَاإِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَ نَحّى عَنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ إِبْلِيس**»[3].

الإقامة المستمرة

٢٣- إن إقامة الصلوات في أول أوقاتها و الاستمرار في كل حالاتها، قد تكلف الإنسان شيئا من المجاهدة، كمن يصلي مُرغما نفسه في حال مرض، أو مستيقظا من لذيذ رقاده للتهجد في جوف الليل: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[4] أو يصلي الظهرين في زحمة الحياة اليومية،

---

١) الماعون/ ٥.

٢) وسائل الشيعة، ج٤،ص١١٤.

٣) الكافي، ج٥، ص٣٦٠.

٤) السجدة/ ١٦.

بناء على تطبيقها على الصلاة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾[1] كما ورد في الرواية [2]أيضا.

ومن المعلوم أنه كلما زادت المجاهدة، كلما اشتدت حركة القرب من الله تعالى، فقد روي عن أمير المؤمنينعليه السلام أنه قال: «**أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْه**»[3].

ضيوف أهل الجنة

٢٤ـ إن مراعاة الوقت بمكان من الأهمية، بحيث لو صلى العبد خارجها متعمدا، أورثه الحسرة الأبدية حتى مع دخوله الجنة، حيث يعبر عنه الإمام الصادقعليه السلام بأنه موتور بأهله وماله، وذلك عندما دخل عليه الراوي وقال له: مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ يُؤَخِّرُ صَلَاةَ الْعَصْرِ مُتَعَمِّداً، قَالَ: **يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** موترا [**مَوْتُوراً**] **أَهْلَهُ وَ مَالَهُ**. قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟.. قَالَ: **وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ** قُلْتُ: وَمَا مَنْزِلُهُ فِي الْجَنَّةِ؟.. قَالَ: **مَوْتُوراً أَهْلَهُ وَ مَالَهُ، يَتَضَيَّفُ أَهْلَهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا مَنْزِلٌ**.[4]

الكتاب الموقوت

٢٥ـ إن الصلاة هو الكتاب الموقوت حيث قال تعالى:﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾[5]و هي التي لا تسقط بحال، ولا بد من إتيانها في أوقاتها الموقوتة أي بين الوقتين، حتى لو كان العبد في حال مرض أو حرب ـ كما هو المستفاد من سياق هذه الآية ـ، وعليه فمقتضى

١) البقره/ ٢٣٨.

٢) انظر الرواية في تفسير الصافي (للفيض الكاشاني)، ج١، ص٢٦٨.

٣) نهج البلاغه (صبحى صالح)، ص٥١١.

٤) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، ص٢٣١.

٥) النساء/ ١٠٣.

العبودية لله تعالى، هو أن يبحث العبد عما هو الأقرب إلى مراد مولاه، وهي الصلاة في أول وقتها.

وعليه فإن الذي يؤخرها عن وقتها، فكأنّه ما أتى بمراده وإن رفعت عنه العقوبة، ولاريب أن تكرار هذه الحالة، لمن موجبات الوهن والإعراض، والتي من الممكن أن توجب عقوبة للعبد، ولو على نحو منع العطايا الخاصة.

الارتباط بالطبيعة

٢٦ـ إن تشريعات الصلاة من جهة الوقت وغيرها، لمن موجبات سَوق العبد للتأمل في مظاهر الطبيعة من اختلاف الليل والنهار، وموجبات تحققه في الآفاق، ومن موارد الارتباط بين تشريع الصلاة والطبيعة:

ـ صلاة الآيات المرتبطة بالشمس والقمر، والحوادث الكونية كالزلازل وغيرها.

ـ تحديد الصلاة بأوقاتها المرتبطة بالشمس: طلوعا، ودلوكا، وغروبا.

ـ الصلوات المرتبطة بالقمر: كصلاة العيدين وصلاة أول الشهر.

ـ رجحان إقامة الصلاة تحت السماء مثل: العيدين، وصلاة الاستسقاء، وصلاة يوم عرفة.

ومن هنا نقول: إن التأمل في مظاهر الخلقة، والانتقال من الآية إلى ذي الآية ـ وهو صفة أولي الألباب ـ لمن موجبات تهيئة النفس للصلاة الخاشعة؛ لأنها وقوف بين يدي صاحب هذه المظاهر المذهلة في الوجود.

انتظام المصلي عموما

٢٧ـ إن من بركات التقيد بالصلاة في أول أوقاتها، هو تحويل العبد إلى موجود منضبط في مجمل أعماله، فإن التقيد بالأمور في أوقاتها ـ في غير

وقت الصلاة ـ لمن موجبات النجاح في أمور الدنيا أيضا، أضف إلى أن هذه سمة من سمات المؤمنين، أعني الوفاء بأصل الوعد وفي وقته فيما وقّته، وهذا المعني يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن معنى جامع حيث أوصى قائلا: «**أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُم**»[1].

---

١) نهج البلاغة (صبحى صالح)، ص٤٢١.



الآداب الباطنية للمكان

مكان العبادة

١ـ إن اتخاذ مكان ثابت في المنزل للصلاة بين يدى الله تعالى لمن دواعي التوجه والتركيز والإقبال على رب العالمين، فمن المستحسن أن يجعل الإنسان في بيته محلاً خاصاً للصلاة فيه، فعن الصادق عليه السلام: «**كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام قَدِ اتَّخَذَ بَيْتاً فِي دَارِهِ، لَيْسَ بِالْكَبِيرِ وَلَا بِالصَّغِيرِ، وَكَانَ إذا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، أَخَذَ مَعَهُ صَبِيّاً لَا يَحْتَشِمُ مِنْهُ، ثُمَّ يَذْهَبُ إلى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَيُصَلِّي**»[1].

وقد يتفق أن يأتي المصلي إلى ذلك المكان، فيتذكر ساعات إقباله، إذ لعله بالأمس كان خاشعاً فيه بدمعة جارية، ومن المعلوم أن هذا الجو المفعم بأجواء الإقبال، قد يذكّر العبد بما كان عليه من الإقبال السابق، ويمنحه الثقة في أنه قادر على استعادة تلك الأجواء، وذلك ببذل شيء من الجهد، مقرونا بالتوسل بمن يتقرب إليه.

ولهذا نقرأ في القرآن الكريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً﴾[2]، فيُفهم من هذه الآية أن مريم عليها السلام اتخذت محراباً ومكاناً ثابتاً للعبادة بين يدي ربها، بل إن بعض الصالحين

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص١٩٥.

٢) آل عمران/ ٣٧.

يتخذ - بالإضافة إلى مكان خاص للصلاة - ثوبا صلاتيا مطيّبا، قد اطمئن من إباحته وطهارته.

مواصفات مكان المصلي

٢ - لا بد للمكان الذي يريد العبد أن يصلى فيه، أن تكون له مواصفات ظاهرية في عالم الفقه، ومن خلالها ننتقل إلى المواصفات الباطنية لها، من دون أن نجعل ذلك علة للحكم أو فلسفة لها، وإنما هو استيحاء تربوي منها، فمن تلك المواصفات:

أولا: عدم الغصبية، أي أن يكون ذلك المكان مباحا، وهنا ينتقل المصلي الخاشع إلى نقطة جوهرية، وهي أنه لا يمكن للمصلي أن يصلي على أرض إلا بإذن المالك الظاهري لها، فإذا لم يكن راضيا كانت صلاته باطلة في تلك الأرض المغصوبة، ولو صلى في أعلى درجات الخشوع، والأدب الباطني فيها هو: أن يلتفت المؤمن إلى هذه الحقيقة الكبرى، وهي أن السماوات العلى، والأرضيين السفلى بما فيها ومن عليها، كلها ملك لله الواحد الأحد، فالذي يمشي على هذه الأرض، ولم يحرز رضا صاحب الأرض في التصرف فيها والمشي عليها، لهو إنسان غاصب.

وحينئذ نقول: ما هو حكم صلاته في عالم الملكوت، بعد أن علمنا بطلان الصلاة في عالم الملك؟!.. ولهذا من الممكن أن يقول المولى لعبده: لا أقبل لك صلاة واحدة؛ لأنك كنت غاصبا لكل بقاع الأرض أينما ذهبت وحللت، حيث كنت تمشي على أرض، لا يرضى صاحبها الحقيقي بالتصرف فيها، وإن رضي عنك صاحبها الظاهري.

بل قد يقال أيضا في هذا المجال: إن الذي لم يحقق رضى الرسول وآله عليهم السلام، بل أسخطهم وأسخط إمام زمانه عليه السلام لهو إنسان غاصب أيضا؛ لأن رضاهم كاشف عن رضا من نصبهم أئمة للخلق.

ثانيا: مراعاة الخلق، فالإنسان المؤمن إنسان منضبط في كل حركاته وسكناته، فإذا أراد أن يصلي فعليه أن يراعي حقوق الخلق بكل تفاصيلها، فيعرف صاحب الأرض التي يصلي عليها ويستأذنه، فإذا كان هذا المكان وقفا على طلبة العلم ـ مثلا ـ فغير طالب العلم لا يجوز له الدخول في ذلك المكان، وهكذا بالنسبة لباقي المسائل المرتبطة بالمكان.

وبالتالي، فعلى المصلي أن يتفقه في دينه، وينظر إلى تلك القوانين الإلهية بكل حذافيرها، وذلك عندما يريد أن يقيم عبادة من العبادات، فإن العبادات الشرعية، مزيج متمازج مع باقي القوانين الإلهية في عالم التشريع.

ثالثا: التباعد عن مظاهر الشهوات، فعندما يريد المصلي أن يصلي، عليه أن يتباعد عن النساء، ولا يكون محاذيا لهن على اختلاف بين الفقهاء في تقدير هذه المسافة، فالإنسان المؤمن عندما يريد أن يصلي، فعليه أن يُبعد عن نفسه كل صور الإثارة وينقطع إلى ربه عز وجل، فلو أن زوجته كانت معه في مكان واحد، فعليه أن لا يقف بصفها فكيف بالمرأة الأجنبية؟!.

رابعا: عدم تقدم المصلي على قبر المعصوم عليه السلام: لما في ذلك من تحقق الهتك بحسب بعض الفتاوى، وقد ورد في التوقيع الشريف: «**لِأَنَّ الإِمَامَ لَا يُتَقَدَّمُ عَلَيْهِ وَلَا يُسَاوى**»[1] وحينئذ نقول: إذا كانت الصلاة أمام قبر المعصوم عليه السلام منهية عنها، فكيف بالتقدم العملي والقولي أمامه؟!..

ومن هنا يجب على العبد أن يقف دائما خلف خط منسجم مع الخط الإلهي المتمثل بسنة النبي وآله عليهم السلام، ولا ينبغي للإنسان أن يتقدم عليهم في كلمة أو خطوة أو موقف، وبذلك يتشبه بالملائكة المقربين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص١٦١.

والقرآن الكريم يؤكد على هذه الحقيقة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[2].

فالله تعالى يطلب من عبده أن لا يجد في نفسه حرجا فيما قضى به النبي صلى الله عليه وآله فإذا اختلف الإنسان مع أخيه المؤمن في مسألة أو تجارة أو شراكة أو معاملة، ثم ذهب إلى القاضي أو المجتهد، وحكم برأي الشريعة ثم رأى في نفسه ثقلا أو تثاقلا، فهو في الواقع ليس مصدقا بهذه الآية، وإن ادعى صاحبه خلاف ذلك.

خامسا: طهارة الموضع، إن المُشترط فقهيا هو طهارة موضع السجود، فالطهارة عنصر متكرر في ثوب المصلي و بدنه، و المكان الذي يصلي فيه.. وعليه فيرد السؤال حول هذا التأكيد على أنواع الطهارات.

وهنا من الممكن أن يقال في الجواب على ذلك: إن الله عز وجل كأنه يريد أن يقول للعبد بلغة الإشارة: نحن لا نقبل المتدنس ظاهرا، فمن على جسمه شيء من الدم أو البول أو ما شابه ذلك، فلا تُقبل له صلاة ما دام ملتفتاً لها، فكيف بمن يكون متدنسا في باطنه؟ أي متدنسا بأنواع النجاسات الأنفسية من: الحسد، والكبر، والحرص، والحقد، وما شابه ذلك.. وبالتالي، فإن طهارة المظهر، مذكرة بطهارة المخبر.

وليُعلم أن الإنسان الجاهل بالنجاسة الظاهرية معفو عنه، أي إذا صلى بجميع النجاسات والمتنجسات، ولكنه علم بها بعد صلاته، فإنه لا تعاد الصلاة من أجل ذلك، بينما إذا صلى بنجاسات باطنية - ولو كان غافلا عنها - فهي من موانع القبول قطعا؛ لأن هذا الوجود وجود مبغوض عند الله سبحانه وتعالى.

---

١) الأحزاب/ ١٣٦.

٢) النساء/ ٦٥.

سادسا: الاستقرار، فلا يجوز للإنسان أن يصلي على ظهر سفينة متأرجحة، أو على ظهر دابة متنقلة، والمطلوب من العبد - كأدب باطني - أن يصلي بين يدي الله تعالى بالسكينة الباطنية، وأن لا يكون متأرجحاً في نفسه، فالذي يأتي من السوق أو العمل أو بعد خلاف مع زوجته، فهذا إنسان مهتز ومضطرب، فمثلَه كمثل الذي يصلي في مكان متأرجح، أو يصلي في سفينة تتقاذفها الأمواج.. وعليه، فعلى المصلي أن يبحث عن الاستقرار الباطني عند الصلاة، كما يبحث عن الاستقرار المكاني فيها.

تربة الحسين عليه السلام

٣- إن السجود على التربة الحسينية لمن موجبات قبول الصلاة فعن الصادق عليه السلام: «**إِنَّ السُّجُودَ عَلَى تُرْبَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَخْرِقُ الْحُجُبَ السَّبْعَ**»[١]، وقد ورد في الخبر أن التربة من الأمور التي لا يستغني عنها المؤمن، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال:«**لَا يَسْتَغْنِي شِيعَتُنَا عَنْ أَرْبَعٍ: خُمْرَةٍ يُصَلِّي عَلَيْهَا، وَخَاتَمٍ يَتَخَتَّمُ بِهِ، وَسِوَاكٍ يَسْتَاكُ بِهِ، وَسُبْحَةٍ مِنْ طِينِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ**»[٢].

ومن المعلوم أن كل هذه الشرافة إنما هو لشرف الانتساب إلى ذلك الوجود الطاهر، والذي ضحى بكل ما عنده في سبيل مولاه، والذي ينكر شرافة الانتساب هذه - وبالتالي قدسية تربة الحسين عليه السلام - كيف يفسر السكينة والطمأنينة التي وضعت في تابوت موسى عليه السلام، حيث يقول تعالى: ﴿يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣]؟!. وهو المهد

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٣٦٦.

٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص٣٥٩.

٣) البقرة/ ٢٤٨.

الذي وضع فيه صغيرا ولم يكن حينها نبيا ولا شهيدا، وهكذا الأمر في قضية يعقوب عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1] وإذا بقميص يوسف عليه السلام يُلقى على وجهه فيرتد بصيراً، فهذا القميص لا خصوصية فيه سوى أنه لامس جسد نبي من أنبياء الله عز وجل.

ومن مجموع ما ذكر يُعلم أن الطريق إلى التميز بين يدي الله تعالى، واكتساب شرافة الانتساب إليه، يكمن في تحمل شيء من المعاناة في سبيل الله تعالى، إذ بعدها تبذل الجوائز التي لا تخطر على بال أحد!.

نقل المحتضر لمصلاه

٤- من المستحب أن ينقل المحتضر إلى مصلاه ساعة احتضاره، وهذا يدل على وجود خصوصية للمكان الذي تعوّد الإنسان الصلاة فيه، فلطالما أنست به الملائكة، وخاصة فيما لو كان مُقبلا في صلاته، ذارفا دمعته في جوف الليل، فوجوده في ذلك المكان عند ساعة الموت لمن موجبات نزول الرحمة الإلهية في تلك الساعة الموحشة، كما أنها من موجبات شفقة الملائكة ومنها ملك الموت، بل إن مصلاه تبكي عليه بعد موته كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِذَا مَاتَ العَبدُ يَبكِي عَلَيهِ مُصَلَّاهُ مِنَ الأَرضِ، وَمصَعَدُ عَمَلِه مِنَ السَمَاءِ**»[2].

ومن هنا يحسن بالعبد أن يكون له مكان في المنزل، يتخذه مصلى له ويكون محلا لاحتضاره في نهاية أمره، فارغا من الملهيات التي عجت بها البيوت هذه الأيام!.

---

١) يوسف/ ٨٤.

٢) إحياء علوم الدين، ج١، ص١٥٢.

تفريعات الصلاة

٥- إن عظمة الصلاة تتجلى في كثرة التشريعات المرتبطة بها، حتى صار بحث الصلاة والحج من أوسع الأبواب الفقهية من جهة التفريعات والروايات المتكثرة فيهما، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «**لِلصَّلَاةِ أَرْبَعَةُ آلَافِ حُدُودٍ**»[١]، وفي رواية أربعة آلاف باب، وكتطبيق لذلك فإن بعضهم أوصل مكروهات مكان المصلي - والذي يبدو للوهلة الأولى أمرا جزئيا ليس فيه كثير تفصيل - إلى اثنين وثلاثين مورد.

ورحم الله تعالى علماءنا الماضين؛ فقد جمع الشهيد الثاني من واجبات الصلاة ألفا، وصنف فيه «الألفية»، ومن مندوباتها ثلاثة آلاف، وصنف فيها «النفلية»، وقد أتمهما رحمه الله بختام مسك حيث سماها: «التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية» مما يدل أيضا على أهمية الإقبال القلبي في الصلاة، إضافة إلى إتيان واجباتها ومندوباتها.

زي العبودية

٦- من المناسب أن يتفنن الإنسان - إن صح التعبير - في الظهور بزي العبودية المتميزة، بحيث يراه الله تعالى بهيئة لا يراها في كثير من خلقه، إظهارا لحركة تدلل أو تذلل بين يديه، وكمصداق لذلك فإن الإمام الصادق عليه السلام خص أحدهم بتوصية - مما يدل على نوع استحقاق له بمثل هذا الخطاب - حيث كتب له: «**إِنِّي أُحِبُّ لَكَ أَنْ تَتَّخِذَ فِي دَارِكَ مَسْجِداً فِي بَعْضِ بُيُوتِكَ، ثُمَ تَلْبَسَ ثَوْبَيْنِ طِمْرَيْنِ غَلِيظَيْنِ، ثُمَّ تَسْأَلَ اللهَ أَنْ يُعْتِقَكَ مِنَ النَّارِ وَأَنْ يُدْخِلَكَ الْجَنَّةَ وَلَا تَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ بَاطِلٍ وَلَا بِكَلِمَةِ بَغْيٍ**[٢]».

---

١) بحار الأنوار، ج٧٩، ص٣٠٣.

٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٩٦.

ومن مصاديق ذلك أيضا أن يصلي العبد في خلوة مكانية ونفسية، أي في عزلة من الناس بقلب فارغ من كل الأغيار، فتكون هكذا صلاة كافية له للنجاة من النار؛ إذ روي عنهعليه السلام أنه قال: «**مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فِي خَلَاءٍ، لَا يُرِيدُ أَحَداً إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، كَانَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ**»[1].

مضاعفة الأجر

٧- إن المؤمن يبحث دائما عما يضاعف أجر صلاته بين يدي مولاه، ومن المعلوم أن من أراد الأجر المضاعف، لا بد له من الاهتمام المضاعف بالشرائط والأجزاء؛ لأن الأجر الوفير مرتبط بالنظرة الإلهية الخاصة، فلا بد من البحث عن موجبات هذه النظرة.

ومن هنا ورد الأمر بشد الرحال إلى بعض المساجد، وقد ورد فيه أعداد مختلفة من تضاعف الأجر، وذلك بحسب شرافة ذلك المكان كالمسجد الحرام، ومسجد النبيصلى الله عليه وآله ، ومسجد الكوفة، فقد روي عن الصادقعليه السلام أنه قال: «**مَكَّةُ حَرَمُ اللهِ، وَحَرَمُ رَسُولِهِ، وَحَرَمُ أمير الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، الصَّلَاةُ فِيهَا بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَالدِّرْهَمُ فِيهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَم؛ وَالْمَدِينَةُ حَرَمُ اللهِ، وَحَرَمُ رَسُولِهِ، وَحَرَمُ أمير الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، الصَّلَاةُ فِيهَا بِعَشَرَةِ آلَافِ صَلَاةٍ، وَالدِّرْهَمُ فِيهَا بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَم؛ وَالْكُوفَةُ حَرَمُ اللهِ، وَحَرَمُ رَسُولِهِ، وَحَرَمُ أميرالْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، الصَّلَاةُ فِيهَا بِأَلْفِ صَلَاةٍ، وَالدِّرْهَمُ فِيهَا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ**»[2].

ومن الروايات اللافتة في هذا المجال ما روي من أن الإمام السجادعليه السلام أتى من المدينة لزيارة إحدى هذه البقاع الطاهرة، فقد روي عن أبي حمزة الثمالي **أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ**عليه السلام **أَتَى مَسْجِدَ الْكُوفَةِ عَمْداً مِنَ**

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٩٧.

٢) الكافي، ج٩، ص٣٤١.

الْمَدِينَةِ. فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ عَادَ حَتَّى رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَأَخَذَ الطَّرِيقَ[1].

الطهارة في المراحل الثلاث

٨- إن أول مرحلة لمراعاة الطهارة في الصلاة هي: طهارة المكان، ثم تليها طهارة الثوب، ثم تليها طهارة البدن، أى يبدأ التأكيد على الطهارة في مورد غير لصيق ألا وهو المكان، وينتهي باللصيق ألا وهو البدن.

وهنا لا بد من البحث عما هو الألصق بالإنسان بعد بدنه، وليس ذلك إلا روحه التي بين جنبيه، وهي التي لا تفارقه إلى أبد الآبدين، فكم يبذل البعض من الجهد والوسوسة لطهارة المراحل الثلاث، ولا يبالي بالمرحلة الرابعة والذي هو العماد في القبول؟!.

علامة التشريف

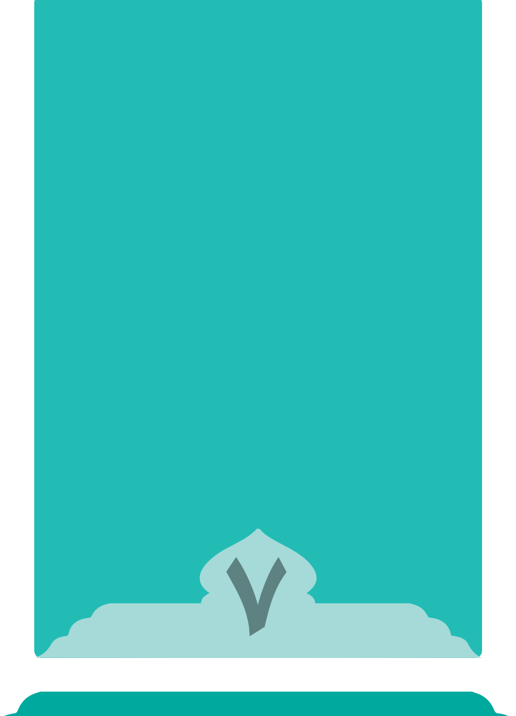
٩- إن المكان إذا تشرف بشيء، فإن خير ما يكشف عن هذا التشريف هو ربطها بالصلاة، ومن هنا فإن الله تعالى عندما أراد أن يشرّف الحجَر الذي كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام في بناء البيت، فإنه أمر باتخاذ ذلك موضعا للصلاة، حيث قال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[2] وكذلك المكان الذي عُثر فيه على أهل الكهف؛ إذ اتخذه الموحدون في زمانهم مسجدا، حيث نقل عنهم القرآن الكريم قائلا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾[3].

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٥٤.

٢) البقرة/ ١٢٥.

٣) الكهف/ ٢١.



الآداب الباطنية للأذان والإقامة

الغائب عن الحواس

١ - إن العلم اليوم اكتشف كثيرا من الأمور الغائبة عن الحس، بشكل لا يدع مجالا للشك في وجودها وفي تأثيراتها المذهلة، كجاذبية الأرض والإشعاعات النووية وغيرها.

وبعدما ذكرنا من هذه الأمثلة على المحسوس الذي لا يرى إلا من خلال آثارها، يمكنك تصور ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ صَلَّى بِأذانٍ وَإقَامَةٍ صلاة صَلَّى خَلْفَهُ صَفان مِنَ المَلَائِكَةِ، وَمَنْ صَلَّى بِإِقَامَةٍ بِغَيْرِ أذانٍ صَلَّى خَلْفَهُ صَفّ وَاحِدٌ، قُلْتُ لَهُ: وَكَمْ مِقْدَارُ كُلِّ صَف، فَقَالَ: أَقَلُّهُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، وَأَكْثَرُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[١]، فكما أن هناك أموراً عجيبة في عالم المادة، فهناك أمور أعجب في عالم المعنى، والتي لا يمكن معرفتها إلا من خلال من هو متصل بعالم الغيب.

واللافت هنا أن الإمام عليه السلام لم يقيد هذه المزية بكون تلك الصلاة جماعة أو في مسجد مثلا، بل إنها مزية لكل من أذّن وأقام ولو كان لوحده، فيا له من منظر جميل وهو: أن يصلي الإنسان في بيته فرادى، وخلفه صفان من الملائكة!.

---

١) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، ص٣٣.

جهة التوقير

٢ـ من الممكن أن يقال: إن اصطفاف الملائكة خلف بني آدم، فيه جهتان للتوقير:

ـ توقير لجنس بني آدم، الذين هم من نسل ذلك النبي الذي سجدت له الملائكة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[١].

ـ توقير للمصلي الذي قام للصلاة بين يدي ربه رغم الشواغل الحياتية، واكتناف باطنه بقوتي الشهوة والغضب، والحال أن قوت الملائكة هو التسبيح والتهليل، فلا تعيش مجاهدة في البين كما روي عن النبيﷺ: «**مَا شَيءٌ أَكرَمَ عَلَى اللهِ مِن ابنِ آدَمَ، قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ ولَا المَلَائِكَة؟!.. قَالَ: المَلائِكَةُ مَجبُورُونَ بِمَنزِلَةِ الشَمسِ وَالقَمَرِ**»[٢].

تشابه الأذان والإقامة

٣ـ إن هناك تشابها كبيراً في فقرات الأذان والإقامة؛ فأو لهما التكبير وآخرهما التهليل، وفيهما أيضا ذكر للنبيﷺ وبذلك يصدح المؤذن والمصلي في كل الفروض بحقيقتي التوحيد والنبوة، وهذان الأمران ـ أي الالتفات إلى مقام الربوبية وذكر رسالة نبيه وعبوديته له ـ عناصر متكررة في مجمل الصلاة وذلك في كل من: الأذان والإقامة والركوع والسجود والتشهد والتسليم.

أقسام التوحيد

٤ـ إن التهليل شعار ثابت في الأذان والإقامة؛ لعظيم موقعه في ربط الإنسان بربه، ومن هذا المنطلق أيضا فإن غير المسلم يتحول إلى الإسلام

---

١) الإسراء/ ٧٠.

٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٩، ص٤٠٠.

بجملتين مختصرتين، حيث التوحيد هو أساس كل علاقة للعبد مع ربه، بل يقال - بوجه من الوجوه - إن النبوة والمعاد من آثاره ولوازمه.

فمن المناسب في هذا المقام أن نتعرف على أقسام التوحيد، فمنها: التوحيد الذاتي، والتوحيد الصفاتي، والتوحيد الأفعالي، والتوحيد في العبادة، واليك توضيحا لذلك:

- التوحيد الذاتي: أي أن يعتقد الإنسان بأنَ الله تعالى واحد لا كفؤ له ولا نظير، كما قال علي عليه السلام: «**هُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ فِي الأشياء شِبْه**»[1] وقد تكون هذه الآية ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[2] إشارة إلى ذلك، وإنه ذات بسيطة لا كثرة فيها، كما قال علي عليه السلام: «**إِنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَحَدِيُّ المَعْنَى، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا وَهْم**»[3]، وقد يكون قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[4] إشارة إلى ذلك.

وبالمناسبة فإن سورة التوحيد متناولة لأهم بحث عقائدي، فناسب أن يكون في حكم ثلث القرآن الكريم، المتضمن للعقائد والتشريع والأخلاق.

- التوحيد الصفاتي: أي أن يعتقد الإنسان بأن الله تعالى متصف بكل صفات الجمال والكمال كالقدرة والعلم وغيرها، إلا أنها - مع تفاوتها مفهوما - فهي متحدة ذاتا، وإلا استلزم تعدد الصفة والموصوف، وبالتالي التركب في الذات، وهو مستحيل عليه وهو ما عبر عنه علي عليه السلام: «**وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَة**»[5].

---

١) الخصال، ج١، ص٢.

٢) التوحيد/ ٤.

٣) التوحيد (للصدوق)، ص٨٤.

٤) التوحيد/ ١.

٥) نهج البلاغة (صبحى صالح)، ص٣٩.

التوحيد الأفعالي: أي أن كل شيء في هذا الوجود يعود إلى الله تعالى خيراً كان أو شراً؛ إذ كل من عند الله تعالى، فهو الذي أقدر كل مريد على ما يريده، وعليه فإن الإرادة من العبد و لكن تمشية إرادته في عالم التحقق والخارج إنما هي بتمكين من الله تعالى له، وهذا هو معنى التهليل وملخصه: أنه لا مؤثر في الوجود إلا هو، ولا حكم ولا أثر ولا فعل له إلا هو.

- التوحيد في العبادة: معنى ذلك أن هذا الإله الذي هو واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وموحد في أفعاله، هو الذي يستحق أن يعبد.. وليُعلم أنه يتفرع من التوحيد في العبادة، أنواع من التوحيد:

أ. التوحيد في الخالقية: قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] وما يصدر من الكرامة أو الإعجاز من الأنبياء والأوصياء - حتى إحياء الموتى كما كان لعيسى عليه السلام أو خلق الطير كما كان لإبراهيم عليه السلام - إنما هو بتمكين من الخالق المتعال، وهو ما نفهمه بوضوح من كلمة ﴿بإذني﴾.

ب. التوحيدُ في الربوبية: فلا رب يُدان له سواه ﴿أَ غَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، فكلمة «الرب» فيها إشارة - ولو التزاما - إلى أن بيده ملكوت كل شيء، ومنها ما يتعلق بتكامل الإنسان، فالذي له هاجس التكامل والترقي، عليه أن يعلم أن ذلك كله بيد من هو آخذ بناصية كل شيء، وهو معنى الربوبية المقوّم للعبودية.

ت. التوحيد في الحاكمية؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[3] فمن لا يحكم بحكم الله تعالى، يجعله القرآن في زمرة الكافرين.

---

١) الرعد/ ١٦.

٢) الأنعام/ ١٦٤.

٣) المائده/ ٤٤.

ث. التوحيد في المالكية؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1].

ج. التوحيد في السلطان؛ لقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾[2].

د. التوحيد في الطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[3].

وأخيرا نقول: إنه لابد لكل مؤمن أن تكون له دورة في الفقه ولو على مستوى الرسالة المختصرة، ودورة في العقائد ودورة في التفسير وإطلالة على روايات النبي وآله عليهم السلام ليتعرف على المزيد من درجات التوحيد والمقامات الإلهية، وهذه المعرفة بدورها معينة على السير التكاملي نحوه تعالى.

وفاء المولى للنبي صلى الله عليه وآله

٥- إن من صور الوفاء الإلهي لعباده الصالحين، هو تخليد ذكر حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله في الأذان والإقامة والتشهد والتسليم، ومن خلال استحباب الصلاة عليه في الركوع والسجود، بل الأمر يتعدى إلى الصلاة عليه في كل حال، حيث إن الله تعالى والملائكة يصلون على النبي صلى الله عليه وآله صلاة دائمة متواترة، بمقتضى الفعل المضارع الوارد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[4].

وهذا الوفاء أيضا حفظه الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام، حيث خلّد ذكره في تشريع الحج، وضمن معالم البيت الحرام والحرم المكي

---

١) النور/ ٤٢.

٢) الأنعام/ ٥٧.

٣) النساء/ ٥٩.

٤) الأحزاب/ ٥٦.

عموما، مقابل تضحياته الجسام، كهجران قومه، ومحاولة ذبحه لولده إسماعيل عليه السلام.

إقامة الصلاة يغاير الإتيان

٦ـ إن المراد من هذا الإخبار في قول المقيم: «قد قامت الصلاة» هو الطلب من العبد أن يقيم الصلاة لا أن يؤديها فحسب، ومن المعلوم أن إقامة الصلاة أمر يغاير الإتيان بها، والقرآن الكريم يؤكد على هذه الحقيقة في كل آيات الدعوة إلى الصلاة، فلم يرد أمر واحد بالصلاة بصيغة: «صلوا»، أو «أدوا»، أو «أتموا الصلاة»، بل إنها كلها داعية إلى إقامة الصلاة كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[1].

فلنتأمل في هذا المثال لتوضيح الفرق بينهما: لو أن إنسانا اشترى خيمة وطرحها على الأرض من دون عمود، فمن الواضح أنها لا تقيه حرا ولا بردا، وأما إذا أقامها بأعمدتها وأطنابها، فعندئذ يصح قوله أنه أقام الخيمة وحينئذ يمكنه أن يستظل بظلها، فإذن معنى «أقم الصلاة» أي اجعلها كالخيمة المقامة، وهناك رواية شاهدة على هذه الحقيقة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**مَثَلُ الصَّلَاةِ مَثَلُ عَمُودِ الْفُسْطَاطِ، إذا ثَبَتَ الْعَمُودُ نَفَعَتِ الْأَطْنَابُ وَ الْأَوتَادُ وَ الْغِشَاءُ، وَ إذا انْكَسَرَ الْعَمُودُ لَمْ يَنْفَعْ طُنُبٌ، وَ لَا وتِدٌ، وَ لَا غِشَاء**»[2].

الشهادة ضريبة لا مزية

٧ـ عندما يشهد المصلي بالوحدانية لله تعالى، والنبوة لحبيبه

---

١) الإسراء/ ٧٨.

٢) الكافي، ج٦، ص١٣.

المصطفىﷺ في الأذان والإقامة، فليعلم أن هذه الشهادة مكلفة له في الدنيا والآخرة، حيث إنها ليست بمزيّة وإنما هي مسؤولية.

فعندما يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله»، فمعناه: أنه لا معبود إلا هو، فهو بذلك قد ألزم نفسه بطاعة الله تعالى، ورفض الآلهة جميعاً، ومن ضمن الآلهة المعبودة هي الهوى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[1] حيث ورد ذكره في القرآن الكريم كإله يعبد من دون الله، وعليه فمن يشهد لله تعالى بالوحدانية، عليه أن يكون صادقاً في قوله فيلتزم بكل لوازمها، وكذلك الأمر عند الإقرار باتخاذ النبيﷺ رسولا، حيث إن حق الرسالة كحق المُرسل، في أنه يوجب تقييدا لسلوك العبد فعلا وتركا.

المحطة بين الأذان والإقامة

٨- إن بين الأذان والإقامة محطة مناسبة للتعبد والتأمل، وذلك من خلال الهويّ إلى الأرض، والسجود بين يدي الله تعالى كما هو المأثور، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كَانَ أمير الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ سَجَدَ بَيْنَ الأذان وَالإقامة، فَقَالَ فِي سُجُودِهِ: سَجَدْتُ لَكَ خَاضِعاً خَاشِعاً ذَلِيلًا، يَقُولُ اللهُ: مَلَائِكَتِي وَعِزَّتِي وَ جَلَالِي!..لَأَجْعَلَنَّ مَحَبَّتَهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَيْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ**»[2]، فإن أشرف مكان في الرأس وهي الجبهة، يوضع على أرخص شيء في الوجود ألا وهو التراب، وما من شك أن هذه الحركة من موجبات التعالي في عروج مضاعف إلى الله تعالى، ولكن بشرط الإتيان بها عن وعي والتفات، لا بحركة جسمانية مجردة.

---

١) الفرقان/ ٤٣.

٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٠٠.

تحفيز الهمة

٩- من المناسب قراءة هذا الدعاء تحفيزا للهمة وتوحيدا للهمّ، وذلك قبل الشروع في الصلاة وبعد الأذان والإقامة، وهو دعاء التوجه: «**اللَّهُمَّ !.. إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَأُقَدِّمُهُمْ بَيْنَ يَدَيْ صَلَاتِي، وَأَتَقَرَّبُ بِهِمْ إِلَيْكَ، فَصَلِّ عَلَيْهِمْ، وَ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، ثُمَّ تَقُولُ: أَنْتَ مَنَنْتَ عَلَيْنَا بِمَعْرِفَتِهِمْ، فَاخْتِمْ لَنَا بِالسَّعَادَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[١]، وعندما يريد المصلي أن يقف للصلاة بين يدي الله تعالى، فليلهج ببعض من هذه الأدعية: «**يَا مُحْسِنُ قَدْ أَتَاكَ الْمُسِيءُ، أَنْتَ رَبُّنَا الْمُحْسِنُ، وَ أَنَا عَبْدُكَ الْمُسِيءُ ، فَتَجَاوَز عَنْ قَبِيحِ مَا تَعْلَمُ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَجَلُّ الأكرَمُ**»[٢]، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤]، «**اللهُمَ أَقِمْهَا وَأدمها، وَاجْعَلْنَا مِنْ خَيْرِ صَالِحِي أَهْلِهَا**»[٥]، ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[٦].

إن وجود مثل هذه المحطات المناجاتية المتنوعة قبيل الصلاة مباشرة، لمن موجبات الشروع المبارك لصلاة خاشعة بين يدي الله تعالى، فلا يكبّر المصلي إلا وهو قد أحرز نسبة مقبولة من الاستعداد النفسي، للعروج إلى عالم الملكوت.

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٥٠٩.

٢) مصباح المتهجد، ج١، ص٣٠.

٣) الأنعام/ ٧٩.

٤) الأنعام/ ١٦٢.

٥) بحارالأنوار، ج٨١، ص١٧٩.

٦) إبراهيم/ ٤٠.

علامة الإذن

١٠ـ عندما يذهب الإنسان لزيارة المعصوم عليه السلام فإنه يستحب له أن يستأذن قبل الدخول في مشهده، فلا يدخل إلا بعد أن يذرف دمعة ولو بمقدار جناح بعوضة، وكأن هذه الرقة علامة الإذن في الدخول.

ومن الممكن هنا أن نحقق هذا الأمر بعينه في الصلاة، فما المانع أن يتساءل المصلي فيما بينه وبين نفسه قائلا: يا رب!.. أريد أن أكبّر تكبيرة الإحرام، فهل تأذن لي بالصلاة بين يديك مناجيا إياك؟!.

وهنيئاً لمن جرت دمعته، فرفع يديه بعدها مكبرا، حيث إن هذه التكبيرة بهذه الرقة، من الممكن أن تخرق الحجب السبع، وتصل إلى معدن العظمة، فإن منظر العبد الباكي بين يدي رب العزة والجلال، لمن أحلى المناظر في عالم الوجود.

تصفية الشوائب

١١ـ إن الذي يأتي للصلاة بين يدي الله تعالى، وقد جاء من زحمة الحياة ـ بما فيها من المواجهة مع الخلق ـ فإن باطنه سيكون بمثابة الماء العكِر، فلا بد أن يتريث وينتظر قليلا، إلى أن تترسب هذه الشوائب، فيصفو قلبه ويجتمع حبل أفكاره.

ومن هنا يأتي دور الأذان والإقامة لإعادة التوازن إلى المصلي بعد أن انشغل بزحمة الحياة، بشرط كونهما بتوجه وتريث، وتأمل في مضامينها التوحيدية والولائية، وخاصة أن الشيطان له دور في إثارة ما في حوض نفسه بتحريك عصاه، ليزيد من حركة الشوائب هذه.. وهذا هو السر في أن المصلي قد يكون فارغ البال قبل الصلاة، فإذا أراد أن يكبر لها هجمت عليه الهواجس المقلقة.

التركيبة الفريدة

١٢- إن تركيبة الأذان والإقامة تركيبة إلهية فريدة - لا من وحي منام رآه أحدهم كما عليه بعضهم - حيث إن فيهما دعوة جلية للانقطاع إلى الله تعالى؛ إذ لا مؤثر في الوجود سواه، كما أنه من اللافت فيهما تكرر عبارة «حيّ» بمعنى «عجل»، وذلك في الفقرات الواردة في فصول الأذان والإقامة من الدعوة إلى الصلاة والفلاح، وكأنهما متلازمان كما يشهد به مفتتح سورة المؤمنون، ومنها وصف الصلاة بأنها خير العمل في قبال الأعمال المهمة الأخرى كالجهاد، وهو ما دفع البعض إلى حذفها من الأذان لئلا يُقدّم على الجهاد، والحال أن من أتقن الصلاة هو الذي يمكنه إتقان الجهاد، فإن الصلاة متحققة في سياق الجهاد الأكبر، ردعا للعدو الداخلي من الشهوات، وضبطا للنفس من الخواطر والتعلقات المذهلة، بينما الجهاد في الميدان، متحقق في سياق الجهاد الأصغر ردعا للعدو الخارجي، فكأنّ رتبة الصلاة بالنسبة إلى الجهاد، صارت كرتبة العلّة بالنسبة إلى المعلول.

مشكلة التكرار

١٣- إن مشكلة الصلاة تكمن في أنها قضية متكررة خمس مرات في اليوم، وعلى مدى سنوات طوال مستوعبة لعمر الإنسان، وهذا التكرار يجعل المصلي لا يلتفت إلى المضامين لرتابتها، فلا يفقه فيها شيئا مما قاله فيها، وذلك لتعود جهازه العصبي مع جهاز النطق لديه على هذه الحركة الرتيبة، لفظا وحركة.

وعليه، فلا بد أن يتكلف الإنسان تكلفاً ليتوجه إلى الألفاظ الواردة في الأذان والإقامة، كأول حركة لفظية في الصلاة، وبالتالي فإن على الإنسان أن يستكمل عملية الإعداد النفسي والفكري قبل التكبير، ليكون حينه في قمة الالتفات إلى الله سبحانه وتعالى.

أجر المؤذن

١٤- إن البعض يستنكف عن رفع الأذان وكأنّ فيه وهنا لشخصيته؛ إذ يعدّها مثلا من وظائف الأجراء والفقراء، وخاصة إذا استشعر في نفسه وجاهة كاذبة، والحال أن هذا العمل يجعل صاحبه شريفا عند الله تعالى، وقد أكرم الله تعالى به بلالا، حيث جعل هذا العبد الأسود مؤذنا خاصا للنبي صلى الله عليه وآله.

وقد ورد أن هذا العمل المذكّر للناس بالله تعالى وبالوقوف بين يديه، لمن موجبات المغفرة للمؤذن، فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «**الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدُّ صَوْتِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ سَمِعَه**»[1]، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**مَن أَذَّنَ عَشرَ سِنِينَ، أَسكَنَهُ اللهُ مَعَ إِبرَاهِيمَ فِي قُبَّتِهِ أَو فِي دَرَجَتِهِ**»[2].

ولا ينبغي الاستغراب من هذه الأجور المذهلة على الأعمال المحدودة؛ لأنها صادرة من كريم وقادر، حيث إن أمره بين الكاف والنون، فالمهم في المقام أن تتعلق إرادته بهذه المثوبات، وهذه الإرادة قد تنقدح بفعل بسيط كالأذان مثلا.

يضاف إلى ما ذكرناه: إن الثواب المذكور إنما يترتب على القيام بالعمل بشرطه، ألا وهو مطابقته لمراد المولى، فمن هلل مرة واحدة معتقدا بالمضمون أولا وعاملا به ثانيا، إذ لم يكن له إله يعبد سواه من هوى وغيره، حقّ على الله تعالى أن يعطيه تلك المثوبات الموعودة.

الكذب في الادعاء

١٥- إن من العقبات الكبرى في الصلاة أن فيها دعاوى كبيرة لو لم يصدق فيها العبد، لكان كاذبا يستحق عليها المؤاخذة أو المعاتبة، كمن

---

١) الكافي، ج٦، ص١٣٠.
٢) بحار الأنوار، ج٨١، ص١٢٤.

لا يعبد الله تعالى حصرا، ولكن يدعى ذلك في قراءته، ومنها ما في فصول الأذان حيث تبتدئ بالتكبير، والذي يفهم منه أن الله تعالى فوق كل وصف، وهو موجب للخضوع بين يديه، وتنتهي بالتهليل والذي يفهم منه أنه لا معبود سواه، وهذا المعنى نستفيد منه من قول الصادق عليه السلام: «**وَوَطِّن قَلبَكَ بتَعظِيمِهِ عِندَ سَماعِ التكبِيرِ، وَاستَحقِرِ الدُنيا وَمَا فِيهَا؛ لَئلّا تَكُونَ كَاذِباً فِي تَكبِيرِكَ، وَانفِ عَن خَاطِرِكَ كُلَّ مَعبُودٍ سِوَاهُ بِسِماعِ التَهلِيلِ**»[1].

التعويذ بالأذان

١٦- إن بركة الأذان لا تنحصر في أنه بوابة اللقاء مع رب الأرباب، بل إنه أيضا تحصين للفرد من شر ما يتقيه، وذلك منذ اليوم الأول لولادته، حيث يستحب الأذان والإقامة في أذنه، لتكون هذه الكلمات أول ما يطرق سمعه في عالم المسموعات، وكذلك عند الابتلاء بسوء خلق بشر أو دابة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ فَأَذِّنُوا فِي أُذُنِه**»[2]، وكذلك عند الخوف من أذى الشيطان أو الجن، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**إِذَا تَغَوَّلَتْ لَكُمُ الْغِيلَانُ فَنَادُوا بِالْأَذَان**»[3].

إتمام الحجة

١٧- إن الأذان والإقامة دعوة من الله تعالى لعباده، من أجل المثول بين يديه، حيث إنهما من الوحي النازل على نبيه صلى الله عليه وآله كباقي موارد التشريع.. وحينئذ فإنه من المناسب أن نتأمل في فقراتها، وكيف أن الله تعالى دعانا

---

١) جامع السعادات، ج٣، ص٢٧١.

٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٥٦.

٣) بحار الأنوار، ج٦٠، ص٣١٥.

إلى الصلاة في اليوم الواحد عشرين مرة، وإلى الفلاح وخير العمل بالعدد نفسه، ثم الأمر بإقامة الصلاة عشر مرات، فكان مجموع الفقرات الداعية إلى الصلاة - حيث إن المراد بالفلاح وخير العمل هو الصلاة - تبلغ سبعين فقرة، أي إن الله تعالى يدعونا في أذان الصلوات الخمس إلى الوقوف بين يديه - وهو الغني عن عباده - سبعين مرة، ولك أن تتصور حال العبد المُهمل لهذا النداء المتكرر، وبُعده عن ربه، وخاصة فيما لو انشغل بالسفاسف من الأمور؟!.

يد الله على المؤذن

١٨- إن لكل جزء من أجزاء الصلاة نوره الخاص به، ومن هنا فإن العبد إذا وصل إلى درجة من درجات الصفاء الباطني، فإنه يستشعر هذا المعنى جليا، حيث يرى لونا مميزا لكل جزء من أجزاء الصلاة بل لمقدماتها أيضا، وعليه فإنه لا يكتفي بلون من ألوان الطاعة، لما يستشعره من هذا التنوع النوري فيها، وكتطبيق على ذلك فإنه قد ورد عن النبيﷺ أنه قال: «**يَدُ الرَحمنِ عَلَى المُؤَذِّنِ حَتّى يَفرُغَ مِن أَذانِهِ**»[1].

وليُعلم أن هذه الجائزة الربانية لم ترد في حق عبادة أخرى غير الأذان، ولهذا فإن المصلي الخاشع يحاول أن يصل إلى رحيق كل جزء من أجزاء الصلاة، من خلال التمهل فيه، واستفراغ الجهد للوصول إلى ملكوته الخاص به.

متابعة المؤذن

١٩- من الأمور التي يغفل عنها عامة المصلين، هو عدم متابعة المؤمن فيما يقوله من فقرات الدعوة إلى الصلاة والفلاح، والتي يمكن أن تكون

---

١) إحياء علوم الدين، ج١، ص١٤٦.

محفزة للتوجه بين يدي الله تعالى، فكأنّ المؤذن يؤذن من أجل إعلام الناس بدخول الوقت فقط، والحال أن المطلوب من العبد الموقّر لذكر ربه، أن يردد مع المؤذن ما يسمعه من الفقرات، فقد يكون توجهه بذلك إلى معاني فقرات الأذان أكثر من المؤذن نفسه، وهذا في حد نفسه مقدمة للاستعداد للصلاة الخاشعة، وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «**لَا تَدَعَن ذِكْرَ اللهِ عَلَى كُلِ حَالٍ، وَلَوْ سَمِعْتَ الْمُنَادِيَ يُنَادِي بِالْأَذَانِ وَأَنْتَ عَلَى الخَلَاءِ، فَاذْكُرِ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ قُلْ كَمَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ**»[1].

١) وسائل الشيعة، ج١، ص٣١٤.



الآداب الباطنية للنية

نوايا المصلي

١ـ إن النية هي أول ركن من أركان الصلاة المتمثلة في: النية والتكبير والقيام والركوع والسجدتين، وتعريف الركن فقهيا: هو ما تبطل الصلاة بتركه عمداً أو سهواً، والنية هي عبارة عن حركة قلبية للعبد بدعوى قصد التقرب إلى الله تعالى.

وهنا يمكن أن نتساءل: ما هو هدف العبد عندما يتقرب إلى الله تعالى بالعبادات التعبدية، وهي التي يشترط فيها قصد القربة إليه؟!.. والجواب المتصور: أن هناك عدة أهداف وإن لم يلتفت إليها العبد، فمنها:

أـ طلب المزايا: فهناك من يتقرب إلى الله تعالى لتحقيق ما يريده من الحوائج، لثقته بأن قضاء حوائجه بيده تعالى، فلو جرت حاجته على يد غيره لم يعد له كثير التفات إلى ربه، والشاهد على ذلك أن البعض قد يكون في حال إقبال طلبا لحاجة من ربه، فإذا علم أن حاجته قد قضيت ساعة دعائه، فإنه يخرج مما كان فيه من الإقبال، لوضوح أن علاقة هذا الصنف مع ربه هي علاقة أصحاب المصالح، لا حبّا لمن تجري على يديه المصلحة، والغريب أن هذا العبد نفسه قد يكون أكثر إخلاصا في تعامله مع المخلوقين، فتراه بارّا بوالديه مثلا، لا طلبا لمزية وإنما حبا

لهما، ولكن عندما يصل الأمر إلى الخالق، فتراه يبتغي العاجل من المتاع في عبادته له. وهذا الكلام بعينه ينطبق أيضا على تعاملنا مع أئمة أهل البيت عليهم السلام، فالزائرون لمشاهدهم كثيرون - وهذا أمرٌ محمود - ولكن لننظر إلى المنطلقات الباطنية في زيارتهم!

ب- الشعور بالخجل: فهناك قسمٌ من الناس يعيش حالة التذلل والخجل لما سلف من المعاصي أيام حياته، وذكرها يقلقل أحشاءه ويمنعه من الرقاد - كما نقرأها في بعض الزيارات - فيتقرب إلى الله تعالى بالعبادات إذهابا لهذا الشعور المحزن، ومن الطبيعي أنه عندما يستذوق حلاوة المغفرة، فإنه سيعيش شعورا من الارتياح وراحة الضمير، ولا شك أن هذا القسم أقرب إلى الله تعالى من القسم السابق.

ج- المحبة الإلهية الدافعة للعبد لأن يبرّد غليله الباطني بالعبادات المقرّبة إليه، إذ كان في أول الأمر عبدا مصلحياً، فصار خجلاً وجلاً، ثم أراح ضميره، ليرتقي أخيرا إلى سلم المحبة الإلهية الخالصة.. ومن المعلوم أن هذا الحب يجعله يُخلص في عمله، ويتقرب إلى محبوبه من دون أن يطلب مزية من المزايا - حتى الباطنية منها - كراحة الضمير.

إن عالم الحب الإلهي مغاير تماما لعالم الحب البشري الذي لو تم فيه وصال، لصار مدفنا لذلك الحب وإن بلغ مرحلة العشق، ولكن هذه القاعدة لا تجري في دائرة الحب الإلهي؛ إذ لا مدفن لهذا العشق، بل يزداد تأججاً واشتعالاً، بل هناك قانون آخر حاكم في المقام، ألا وهو أنه لا تكرار في التجلي.

والشاهد على ذلك ما يعيشه - وجدانا - أهل قيام الليل، فلذة صلاة الليل ليست متساوية النسبة في كل الليالي، وكذلك الأمر في الصلوات اليومية، فإن لكل صلاة خاشعة درجة من درجات التجلي، ورائحة من روائح العبق الربوبي، بل لو انفتحت عين البصيرة لدى العبد،

لرأى تجلياً في كل دقيقة بما يختلف عن سابقتها، والسبب في ذلك أن لرب العالمين نظرة التفاتة إلى عبده في كل آن، فإذا تلقى هذه النظرة وتفاعل معها، فإنه ستكون له في كل آن وقفة أنس معه، وقد روي عن النبيﷺ أنه قال: «**إِنَّ الله يُقبِلُ عَلَى العَبدِ فِي الصّلَاةِ مَا لَم يلَتفِت، فَإِذَا صَرَفَ العَبدُ وَجهَهُ انصَرَفَ اللهُ عَنهُ**»[1].

وليُعلم أن البعض يتجاوز هذه الالتفاتة من الله تعالى إليه في الصلاة، ليلتفت إليه رب العالمين في كل آن، فهذا عليعليه السلام كان متفاعلا مع ربه دائما وأبدا، وهو القائل: «**مَا رَأَيتُ شَيئَاً إِلّا وَرَأَيتُ اللهَ قَبلَهُ أَو بَعدُه أَو مَعَهُ**»[2].

وبعبارة جامعة مانعة في المقام نقول: هناك فرق بين العبادة لله تعالى، ثم جعلها وسيلة إلى نيل المطلوب الدنيوي كالحوائج الزائلة، أو الأخروي كشرف الانتساب إليه، وبين العبودية له بمعنى الخضوع له، تهيّبا من مقامه، وخجلا من عظيم إنعامه.

وجل القلب

٢- على المصلي المريد للخشوع بين يدي ربه، أن يعيش خوف الرد والرفض عند النية، ذلك أن القرآن الكريم يصف لنا حالة المنفق بأنه خائف وجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[3]، وذلك لأنه يخاف من عدم القبول.

لذا ينبغي على المصلي أن يعيش هذه الحالة نفسها عند النية أيضا، وذلك أن الصلاة كالإنفاق، في أن العبد يريد رضا مولاه بهما، فيناسبهما خشية

---

١) المستدرك على الصحيحين، ج١، ص٥٠٤.

٢) مرآة العقول، ج١٠، ص٣٩٢.

٣) المؤمنون/ ٦٠.

الرد، من جهة للشك في تحقق المعراجية في الأول، والقبولية في الثاني.

وعليه فإن المؤمن ـ قبل أن يكبّر عند النية ـ يعيش حالة الوجل والاضطراب، وهي بدورها من مهيآت حالة الخشوع من أول أبواب الدخول في الصلاة ألا وهي النية، فمن المناسب أن يتوقف المصلي هنيئة ـ قبل تكبيرة الإحرام ـ بتوجه وبتأمل، ويستحضر قصد قربته بدلاً من الانشغال بالألفاظ والوسوسة فيها، ليعيش بذلك أجواء النية الواقعية.

واقعية النية

٣ـ إن النية هو ذلك العنصر الواقعي الذي يحرك الإنسان نحو العمل، فالشاب الذي يُقدم على الزواج، إنما ينطلق فيه بداعي الشهوة والأنس بالزوجة، فهذه الحالة الباطنية هي التي تدفعه دفعاً حثيثاً لأجل القيام بما نواه، وحركته نحو الزواج ـ في الواقع ـ هي هذه النية الحقيقية، ولا تحتاج إلى تلفظ وتكلف، وبكلمة واحدة: فإن محركية الهوى عنده كافية لأن يندفع للإقدام على ما نواه، وهي الزيجة في المثال.

ومن الواضح أن الأمر في عالم الطاعة كذلك، فإن محركية الهدى هو الدافع للعبد لو كان متحققا في المقام، فإذا اختمر فكره بذكر ربه، وتفاعل قلبه مع حبه، فإن جوارحه ستنطلق قهرا بطاعته، ولسانه سينطلق قهرا بذكره، فلا تكون النية عنده إخطارا بالبال، وإنما هو انبعاث حقيقي نحو ما نواه، ومن هنا يشتاق إلى الصلاة اشتياقا، فإن قلبه لا يطمئن إلا بذكره، وقد ربط الإمام الصادقعليه السلام بين هذا القلب السليم والنية السليمة، حيث يقول: «**صَاحِبُ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ، صَاحِبُ القَلبِ السَّلِيمِ**»[1]، وهكذا كان حال النبي الأكرمصلى الله عليه وآله الذي كان يشتد شوقه إلى الله تعالى قبيل الصلاة.

١) شرح مصباح الشريعة، ص٤٣.

وحدة الحال

٤-إن من علامات النية الخالصة، أن يكون حال الإنسان في الخلوة والجلوة على حد سواء، ولهذا فإن أصحاب صلاة الليل لا يُخشى عليهم من الرياء في صلوات النهار، وذلك لأنه اجتاز امتحان القرب بنجاح، فإذا أرادت النفس الأمارة بالسوء أن تمنعه من الخشوع في الجماعة - بدعوى شبهة الرياء مثلا - فإنه يردعها بالقول: «لا تحرميني الإقبال في الجلوة، فإنا الذي أقبلت على ربي في الخلوة» ولهذا فإن من بركات العبادات الخفية، هي أن لا يعتني الإنسان بمن حوله في العبادات الجلية، ولا يعتني أيضا بهذه الوساوس المُشغلة.

النية خير من العمل

٥- لا بد من التطرق هنا إلى الحديث المعروف الذي رواه الإمام الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله : «**نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَنِيَّةُ الْكَافِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ**»[1]، وهي من الروايات التي وقع فيها البحث؛ إذ كيف تكون نية الجوانح خيرا من عمل الجوارح وهو الأصعب في المقام؟

فقيل في الجواب على ذلك:

أ- إن النية هنا بمعنى الاعتقاد، فإن البنية الفكرية للمؤمن، أهم من أعماله الخارجية، حيث إن العمل الخارجي منبعث من البنية الاعتقادية، والباعث يأتي في رتبة أشرف من رتبة المنبعث، ولهذا فإنه لا يقاس بين مسلم فاسق، وبين كافر أتى بالعبادات بكل فروعها من دون اعتراف بالمعبود، فإن هذا الكافر سيدخل النار على الرغم من إتيانه بالفروع كلها، وذلك لعدم تحقق قصد القربة فيها، أما ذلك المسلم الفاسق فإنه لا يخلد في النار لسلامة بنيته الاعتقادية.

---

١) الكافي، ج٣، ص٢١٨.

ب- إن من الطبيعي - عند التفاضل بين أمرين - أن تكون المفاضلة بين كل واحد منهما بلا ضميمة الآخر، أي إن نية المؤمن المجردة عن العمل، خير من العمل المجرد من النية، لا أن النية خير من العمل الذي فيه النية، حيث إن هذا العمل فيه النية وزيادة، ومن المعلوم أن الحكمة الإلهية تقتضي بأن الذي يهمّ بخير ولا يُوفق له، كمن يذهب إلى الجهاد ويرى أن المعركة قد انتهت، أو يجهز الراحلة للحج ويرى بأن العدو قد صدّه، فإن الله عز وجل يكرمه بنيته الصالحة، كما لا يؤاخذه بنيته الطالحة.

ج- إن النية من حركات القلب، بينما العمل من أفعال الجوارح، وبما أن رتبة القلب أشرف من رتبة الجارحة، فإن ما يصدر من القلب أيضا أشرف مما يصدر من الجارحة.

د-ليس المراد هنا هو التفاضل بين أمرين، وأن النية خير من العمل، ولكن المراد أن النية خير من ضمن عمل الإنسان، فإن من أعماله هي نواياه، فكما أن الإنسان يحاول أن يتقن أعماله الخارجية؛ لأنها محسوسة، فإنه مأمور بأن يتقن أعماله الجوانحية؛ لأنها أيضا في حكم المحسوس، وكما أنه يعاقب أو يعاتب على أعماله الخارجية، كذلك فإنه قد يعاتب على نواياه الباطنية، وعليه فإن النية غير المحسوسة هي من ضمن دائرة الأعمال التي ينبغي الاهتمام بها، كباقي أفعال الجوارح المرئية.

تعدي النية

٦ - من الممكن أن نتعدى من النية الجزئية المحدودة بحال الصلاة، إلى تلك النية التي تعم ساحات الحياة كلها، بمعنى أن ينوي الكيّس الفطن كل مساعيه في الحياة مرتبطا بوجه الله الكريم، بل يتمنى أن يجعل ختام حياته قتلا في سبيله ليفوز بالحظ الأوفر، وهذا المعنى

يستفاد من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

فما أجمل أن يستحضر الإنسان هذا المعنى الأعم قبل الصلاة، قائلا: يا رب!.. نذرت لك نفسي، لأكون في يديك أينما كنت: قائما أو قاعدا أو مضطجعا، في حال صلاة أو خارجها.

الوجه الإلهي

٧- إن من الأسئلة المشغلة لفكر العارفين، هو أنه ما هو «وجه الله» المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾[2]؟ وهل من الممكن أن يصل العبد إلى درجةٍ يرى معها هذا الوجه، وذلك عندما ينوي في مفتتح صلاته أنه يصلي لوجه الله تعالى؟.

والجواب على ذلك يستفاد مما قيل لموسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ لٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقاً، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، فالمستفاد من هذه الآية أن موسى عليه السلام رأى شيئا من تجليات ذلك الوجه بما جعله يصعق، بل سرى إلى الجبل فجعله دكا أيضا.

وعليه فهنالك جهة معنوية لجلال الله وجماله، وهو الذي يتجلى لعباده الصالحين في الدنيا بدرجة وفي الآخرة بدرجات، بحيث لا يرون إلا ذلك الوجه بمقتضى دلالة الحصر، حيث تقدم الضمير على متعلقه

---

١) الأنعام/ ١٦٢.

٢) الإنسان/ ٩.

٣) الأعراف/ ١٤٣.

في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] إلى درجة تساءل بعضهم عن كيفية نظر أهل الجنة إلى متاعها بعد هذا الانشغال المذهل بالنظر إلى ربها، فكان الجواب: إن النظر إليه محصور به، كما أفادت الآية، والنظر إلى غيره إنما يكون من باب أنه آية ومرآة له.

وهنا نقول: إنه من الممكن تحقيق هذا المعنى بعينه في الدنيا، فلا يرى المؤمن الواصل جمالا سواه، وما يتراءى له من الجمال البشري والطبيعي فإنما هو من باب الآيتية والمرآتية، والذي يريد أن ينظر إلى ذلك الجلال والجمال بالنظرة الأتمّ يوم القيامة، عليه أن يكتسب القابلة لهذه المزية في الحياة الدنيا.

ومن المعهود أن المؤمن بعد فترة من الصلاة الخاشعة، يصل إلى درجةٍ يرى شيئاً جميلاً في صلاته، فجمال الوجوه والطبيعة ما هو إلا رشحة من ريشة ذلك الجمال المطلق.. فهل يحتاج المصلي بعدها إلى تكلف الخشوع في الصلاة، بعدما يرى ذلك الجمال المجمّل لكل جميل ؟!.

الوسواس العابر والمستقر

٨ـ لا بد من التفريق بين الوساوس العابرة على القلب عند نية الصلاة، وبين ما يستقر في القلب بحيث لا يصدر العبد إلا من منطلق تلك النية الفاسدة، و الإنسان على نفسه بصيرة، فلو رأى أن صلاته ـ التي يخشى فيها من الرياء ـ هي عين صلاته في الخلوة، فليعلم أن ذلك من إلقاء الشيطان، ليسلب منه الإقبال في صلاته، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إذا أَتَى الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَ:**

---

١) القيامة/ ٢٣ـ٢٢.

إِنَّكَ مُرَاءٍ فَلْيُطِلْ صَلَاتَهُ مَا بَدَا لَهُ، مَا لَمْ يَفُتْهُ وَقْتُ الْفَرِيضَةِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الآخرة فَلْيَتَمَكَّثْ مَا بَدَا لَهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَلْيَبْرَحْ»[1] أي لينتقل عما هو فيه.

درجات القربة

٩ـ رغم أن كتب الفتوى لا تتطرق للجهات الأخلاقية في الأحكام عموما إلا بمناسبة في البين، وإن بعض الفقهاء ـ كصاحب العروة الوثقى ـ ذكر[2] تفاصيل نية القربة إلى الله تعالى، والتي تشترط بها صحة الصلاة، وذلك في مقام بيان غايات الامتثال فجعل لها درجات:

أحدها: وهو أعلاها أن يقصد امتثال أمر الله تعالى؛ لأنه أهل للعبادة والطاعة، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إِلهِي مَا عَبَدْتُكَ خَوفَاً مِن نَارِكَ، وَلَا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ، وَلَكِن وَجَدتُكَ أَهلًا لِلعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ»[3].

الثاني: أن يقصد شكر نعمه التي لا تُحصى.

الثالث: أن يقصد به تحصيل رضاه، والفرار من سخطه.

الرابع: أن يقصد به حصول القرب إليه.

الخامس: أن يقصد به الثواب ورفع العقاب، بأن يكون الداعي إلى امتثال أمره رجاء ثوابه، وتخليصه من النار، وأما إذا كان قصده ذلك على وجه المعاوضة، من دون أن يكون برجاء إثابته تعالى فيشكل صحته، وما ورد من صلاة الاستسقاء وصلاة الحاجة إنما يصح إذا كان على الوجه الأول.

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٩.

٢) العروة الوثقى، ج١، ص ٦١٤.

٣) تفسير الصافي، ج٣، ص٣٥٣.

استجماع القوى

١٠- إن استجماع قوى النفس عند النية لهو أمر لازم ليصل الإنسان إلى مقام الإقبال، فإن لمّ أشعة النفس المتبعثرة طوال اليوم، بحاجة إلى جهد جهيد، لتوجيهها في حزمة واحدة متوجه إلى العرش، حيث تتحقق بها التجليات الإلهية للخواص من المصلين.

ومن المناسب هنا ذكر ما ذكره فقيه الفقهاء السيد اليزدي في كتابه[1]: «**فإن الصحة والإجزاء غير القبول، فقد يكون العمل صحيحا ولا يُعد فاعله تاركا بحيث يستحق العقاب على الترك، لكن لا يكون مقبولا للمولى، وعمدة شرائط القبول: إقبال القلب على العمل، فإنه روحه وهو بمنزلة الجسد، فإن كان حاصلا في جميعه فتمامه مقبول وإلا فبمقداره، فقد يكون نصفه مقبولا، وقد يكون ثلثه مقبولا، وقد يكون ربعه وهكذا...**».

الحذر من العجب

١١- كما ينبغي الحذر من الرياء في النية و المقارن للعمل، فكذلك لا بد أيضا من الحذر من العجب اللاحق له؛ إذ هو أيضا من موانع القبول، وهو يتفق كثيرا لمن أقبل في صلاته اتفاقا، بخلاف أهل الخشية من العلماء، فإن رسوخ هذه الصفة في نفوسهم تزيل عنهم آفات القلوب: عجبا ورياء وسوسة وغيرها.

وما دام الحديث عن موانع القبول، فلنذكر أيضا ما ذكره بعضهم من الموانع من قبيل: حبس الزكاة وسائر الحقوق الواجبة، والحسد والكبر والغيبة، و أكل الحرام وشرب المسكر، بل مقتضى قوله تعالى:

---

١) العروة الوثقى، ج١، ص٦١٢.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1] عدم قبول الصلاة وغيرها من كل عاص وفاسق، بل يصل الأمر إلى درجة لا يتوقعها العبد من موانع الرد، وهو فيما لو نظر إلى أبويه نظر ماقت لهما، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «مَن نَظَرَ إِلَى أَبَوِيهِ نَظَرَ مَاقِتٍ وَهُما ظَالِمانِ لَهُ، لم يَقبَلِ اللهُ لَهُ صَلاةً»[2].

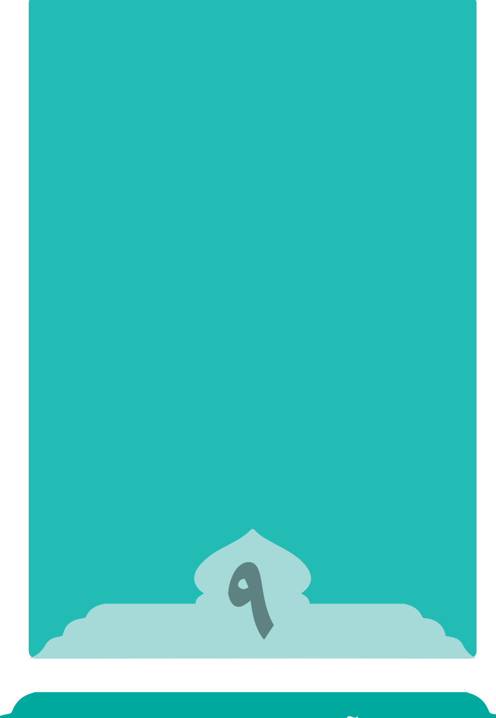
موجبات قلة الأجر

١٢- إن العبد قد يؤدي صلاة واجدة لشرائط القبول، إلا أنها مقترنة بما يوجب قلة الأجر والثواب، كأن يقوم إليها كسلا ثقيلا في سكرة النوم أو الغفلة، أو كان لاهيا فيها، أو مستعجلا، أو مدافعا للبول أو الغائط أو الريح، أو طامحا ببصره إلى السماء، بل ينبغي أن يخشع ببصره شبه المغمض للعين، كما ينبغي أيضا أن يستعمل ما يوجب زيادة الأجر وارتفاع الدرجة، كاستعمال الطيب، ولبس أنظف الثياب، والخاتم من عقيق، والتمشيط، والاستياك ونحو ذلك.

---

١) المائدة/ ٢٧.

٢) الكافي، ج٤، ص٦٥.



الآداب الباطنية للتكبير

التكبيرات الافتتاحية

١ـ إن التكبيرات الافتتاحية الست ـ قبل التكبيرة الواجبة ـ لهي فرصة جيدة من أجل أن يتدرج الإنسان للدخول في بحر الصلاة بين يدي ربه، وذلك بعد أن أتقن نيته الواجبة، وإتقانها يكون باستحضار المعاني المناسبة لنية الصلاة، والمتمثلة بهذه الصيغة الجامعة ألا وهي: قصد المطاوعة للأمر الإلهي فحسب، ولازمته عدم النظر في صلاته إلى شيء آخر حتى الجزاء الأخروي منه، بل حتى مقامات القرب الأنفسي.

بلاغة التكبير

٢ـ لو أحصينا التكبيرات الواجبة والمستحبة في الصلاة، لرأيناها تبلغ مائة وأربعين تكبيرة تقريبا، وعليه فإن أكثر ذكر يتخلل في الصلاة هو التكبير، وجوهر معناه هو العجز عن الثناء، حيث إن أرقى المدح لممدوح هو إبداء العجز عن مدحه، ومثاله ما قاله أبو نواس عندما عوتب في عدم مدح الرضاﷺ: «**وَاللهِ مَا تَرَكتُ ذَلِكَ إِلَّا إعظَامَاً لَهُ، وَلَيسَ قَدرُ مِثلِي أَن يَقُولَ فِي مِثلِهِ**»[١]، ثم قال:

فعلامَ تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيه

قلت لا أهتدي لمدح إمامٍ ... كان جبريل خادماً لأبيه

---

١) منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٤٧.

فعندما يعجز الإنسان عن الوصف، يكون إظهاره لذلك العجز، قمة الوصف، فقد ورد في الخبر، أنه قال رجل عند الصادق عليه السلام : اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟» فَقَالَ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : «**حَدَّدْتَهُ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ:«**قُلْ: اللهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ**».[1]

المستحبات الجوارحية

٣ـ هناك من يستهين ببعض المستحبات البدنية المصاحبة للأفعال الصلاتية، بدعوى أن المهم هو الإقبال في الصلاة، والحال أن هذه الحركات المستحبة محققة لتوقير المولى، بمستوى من المستويات ـ ولو في عالم البدن ـ، حيث يعطي المصلي لبدنه حظا من صلاته.

و كتطبيق على ذلك نقول: إن الحركة البدنية المستحبة في التكبير، هي أن يرفع المصلي اليدين والأصابع، مضمومة إلى جهة القبلة حال التكبير، مبتدئ به حين الرفع، ومنتهيا منه حين انتهاء رفع اليدين إلى النحر.

وإجمال القول هو: أنه من الراجح أن يطّلع العبد على مستحبات أجزاء الصلاة، ليكون كل ما يأتي به ـ واجبا وندبا ـ مطابقا لمراد المولى فرضا ونفلا، وخاصة أن هذه الحركات لا تكلفه الكثير، إذ إنه لا بد له من وقفة يقفها، فما المانع بأن يجعل كل حركاته وسكناته مطابقة لرضا مولاه ؟!.

الاستعانة بأولياء الأمر

٤ـ ما المانع أن يستعين المصلي بمن أمر الله تعالى بطاعتهم، وجعلهم

---

١) الكافي، ج١، ص٢٨٩.

وسيلة إلى قربه، وهم النبي وآله عليهم السلام ؟!.. فيطلب منهم المدد لإعانته في طريق القرب إلى الله تعالى، فكما نستعين بهم في قضاء الحوائج في عالم المادة، فكذلك نستعين بهم أيضا في أهم حاجة من حوائج عالم المعنى، ألا وهي الصلاة الخاشعة؛ إذ يترشح منها كل خير.

وقد روي عن الرضا عليه السلام أنه قال: «**تَقُولُ بَعدَ الإقَامَةِ قَبلَ الاستِفتَاحِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: «اللهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، بَلِّغْ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الدَّرَجَةَ وَالْوَسِيلَةَ وَالْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ، بِاللهِ أَسْتَفْتِحُ، وَبِاللهِ أَسْتَنْجِحُ وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ وَآلِ مُحَمَّدٍ أَتَوَجَّهُ، وَاجْعَلْنِي بِهِمْ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالآخرة وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**»[1]، فجاء التصريح بالاستعانة بالنبي صلى الله عليه وآله بعد الاستعانة بالله تعالى، كما هو الأمر كذلك في آية استغفار الرسول للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[2].

امتحانية الصلاة

٥- إن المصلي يطلب من الله تعالى بإلحاح أن يكون من المفلحين في صلاته، فلو كشف الغطاء عنه لرأى أن هذه الصلاة أشبه ما يكون بامتحان مصيري، ولرأى المسجد قاعة لذلك الامتحان.. ولك أن تتصور حال إنسان يقدم على امتحان مصيري، فتراه في أعلى درجات التركيز والإقبال!.

ولهذا فإنه من المناسب أن يستطلع العبد حاله قبل الصلاة، مستعينا بأدوات التحكم بالنفس من: المشارطة، والمراقبة، والمحاسبة، والمعاقبة.

---

١) مصباح المتهجد، ج١، ص٣٠.
٢) النساء/ ٦٤.

فكما أن أحدنا (يشارط) نفسه أول الصباح، ثم (يراقبها) حين العمل، ثم (يحاسبها) آخر الليل، ثم (يعاقب) نفسه عند المخالفة، فكذلك الأمر في أشرف أعمال اليوم ألا وهي الصلاة، فيشارط نفسه عند التكبير، ويراقبها حين الصلاة، ثم يحاسب نفسه بعد التعقيب، ويعاقبها أن رأى خللا فيها، كمنع النفس بعض ملذات ذلك اليوم.. أفلا يكون هذا الحرمان حافزا له على مضاعفة الجهد من أجل التركيز الذهني - على الأقل - في صلاته؟!.

ومن صور المعاقبة الراجحة: أن يصلي في المسجد بعد الفريضة بعض الصلوات المستحبة بتوجه، كصلاة جعفر عليه السلام وصلاة الإمام الحجة عليه السلام، أو يقضي ما في ذمته من صلاة واجبة، ولسان حاله: يا ربِ، أنا قصرت في فريضتي الواجبة، ولكن تقبّل مني هذه النافلة، ليستعيد بذلك ماء وجهه الذي أريق في الفريضة التي لم يخشع فيها.

وقد ذكر في هذا السياق: أن بعضهم صلى في بستان فيه شجر، فأعجبه ريش طائر فيه، فأتبعه في صلاته فعاقب نفسه بأن تصدق بذلك البستان، وبعضهم فاتته جماعة في ليلة فأحياها إلى الصباح، ومنهم من أعتق رقبة لفوات ركعتي الفجر!.

توقير لفظ الجلالة

٦- ليعوّد أحدنا نفسه على توقير لفظ الجلالة لا في اللمس فقط، بل حتى في النطق أيضا، فإن المصلي ينطق بلفظ الجلالة والضمير العائد إليه تعالى في الصلاة مئات المرات.. لذا ينبغي على المؤمن أن يعاهد نفسه على أن يذكر الله تعالى في نفسه خيفة وخفية، وذلك كلما تلفظ بلفظ الجلالة، أو الضمير العائد إليه، ولو بدرجة من درجات التوجه القلبي.

وعليه فكما أن المؤمن عندما يذكر النبي صلى الله عليه وآله فإنه يصلي عليه

وعلى آله، وعندما يذكر الإمام عليه السلام يسلم عليه، فكذلك إذا ذكر الله تعالى خارج الصلاة، فعليه أن يضيف إليه ألفاظ التوقير كقوله: «جل جلاله» ولا يذكرها مجردة من أي نعت من نعوت التعظيم.

الدخول الرسمي

٧ـ إن الحركة الأولى من أفعال المصلي الجوارحية، هي تكبيرة الإحرام بعد النية القلبية، وهذه التكبيرة بمثابة الدخول الرسمي إلى حرم اللقاء الإلهي، فهو قبل التكبير ـ حين الأذان والإقامة ـ وكأنه في حال انتظار خلف الأبواب المغلقة، ليأتي الإذن بلقاء للسلطان، ولكن بمجرد التكبير فإنه يدخل ساحة اللقاء، بكل ما فيه من تبعات كمبطلات الصلاة، فمثَل المصلي كمثل من كان خارج الحرم المكي، ثم ذهب إلى الميقات ليدخل الحرم الإلهي بكل ما فيه من تبعات كتروك الإحرام، ففي الميقات يعقد «نية الإحرام» كما أنه في الصلاة يكبر«تكبيرة الإحرام»؛ فالإذن في الصلاة والحج من باب واحد، ومادة الاشتقاق فيهما واحدة ألا وهو «الإحرام».

ولهذا يقول أرباب المعرفة في هذا المجال: إن الإنسان إذا كان مؤدباً في الخطوة الأولى لدخول قاعة السلطان، فإنه يرجى أن يستمر في أدبه، بل من الممكن أن يغتفر له سوء أدبه اللاحق عند لقائه به، أما الذي لا يراعي أدب المثول في أول لقائه بين يدي الله تعالى ـ وإن أقبل لاحقا ـ فإنه يعدّ مقصراً في ذلك.

ومما يؤيد ذلك وجدانا: أنه إذا دخل الضيف، وسلم على صاحب البيت، ثم غفل عن آداب الضيافة فإنه يغفر له ذلك، أما أن يدخل من دون تحية واستئذان، فهذا قد لا يُقبل عذره، ولا يُقبل عليه!.

ثقل المسؤولية

٨ـ إن تكبيرة الإحرام مما يوجب للمصلي الإحساس بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه، فعندما يقرأ المصلي الحمد والسورة ثم يركع ويسجد، عليه أن يعلم أنه بين يدي من وصفه بأنه أكبر من أن يوصف، وهو المحيط بكل شيء، وكأن هذه التكبيرة بمثابة الدافع له لأن يتقن صلاته، بدءا من هذه التكبيرة إلى التسليم.

ولهذا فليس من الغريب أن تكون صلاة العبد، ممزوجة في تشريعها بالتكبير خطوةً فخطوةً، حيث يكبر التكبيرة الواجبة، ثم يكبر قبل الركوع وبعده، وكذلك قبل السجود وبعده، حتى أنه ينهي صلاته بالتكبيرات الثلاث المستحبة، وبذلك يعيش دائما جو التكبير الذي يذكّره بالعهد الذي عاهد به ربه عند بداية الصلاة حين التكبيرة الواجبة.

تعظيم الخالق

٩ـ إن الذي لا يعظُم الخالق في عينه ونفسه وفكره وقلبه، فإنه سيترك ذلك فراغا في الفكر والقلب والمشاعر، وهذا الفراغ ـ شاء أم أبى ـ سيُملأ بغير الله عز وجل، ويحلّ فيه ما لا وزن له من الممكنات، وأما الذي يعظّم الخالق في نفسه، فإن هذا الفراغ سيملأ بحب الله تعالى، ولا مجال لمحبوب آخر يأخذ حيزا من قلبه.

ومن هنا تأتي عبادة الموحدين عبادة طبيعية من دون تكلف، بل إنهم يشتكون من أنه لا يمكنهم الالتفات إلى غيره؛ لأن الالتفات إلى الأغيار فرع وجود فراغ في النفس يتعلق بهم، وهذا الفراغ لا وجود له بحسب الفرض؛ إذ الموحد هو ذلك الذي لا يرى مؤثرا في الوجود إلا هو!.

وعندئذ تتحول الصلاة عندهم إلى حركة إنسيابية مناسبة لمزاجهم، والقرآن يقول: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ فالذي ملأ الخالق وجوده، لا يبقى عنده بالتالي مجال أبداً للشرود إلى ما سواه.

وعليه فإن المصلي إذا أتقن التكبير في أول صلاته، وذكّر نفسه ـ بمقتضى هذا التكبير ـ تلك المعاني التي ذكرناها آنفا، فإنه يرجى أن يأتي بصلاة خاشعة يقبلها الله تعالى منه بمنه وكرمه.

والذي يجسد هذه المعاني خير تجسيد، هو ما روي عن الإمام الصادقعليه السلام : «**فَإذا كَبَّرْتَ فَاسْتَصْغِرْ مَا بَيْنَ السَّماواتِ الْعُلَى وَالثَّرَى دُونَ كِبْرِيَائِهِ، فإن اللهَ تعالى إذا اطَّلَعَ عَلَى قَلْبِ الْعَبْدِ وَهُوَ يُكَبِّرُ، وَفِي قَلْبِهِ عَارِضٌ عَنْ حَقِيقَةِ تَكْبِيرِهِ، فَقَالَ: يَا كَذَّابُ أَ تَخْدَعُنِي وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَحْرِمَنَّكَ حَلَاوَةَ ذِكْرِي، وَلَأَحْجُبَنَّكَ عَنْ قُرْبِي وَالْمَسَرَّةِ بِمُنَاجَاتِي**»[1].

عشق الصلاة

١٠ـ إن أولياء الله الذين يعشقون الصلاة ويتلذذون بذكره، ينسون قالبهم المادي عند التكبير استغراقا بما يفاض عليهم في قلوبهم، فهذا أمير المؤمنينعليه السلام كانت تنزع منه السهام أثناء الصلاة، وهو لا يشعر بألمها، وبعض الخاشعين في صلاتهم كانوا كالخشبة اليابسة، من شدة استغراقهم بالعوالم العلوية.

وقد نقل أبو الدرداء شطرا مما رآه من حال أمير المؤمنينعليه السلام اتفاقا حيث يقول: «**فَأَتَيْتُهُ فَإذا هُوَ كَالْخَشَبَةِ الْمُلْقَاةِ، فَحَرَّكْتُهُ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ وَزَوَيْتُهُ فَلَمْ يَنْزَوِ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إليه راجِعُونَ، مَاتَ وَاللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ع، فَأَتَيْتُ مَنْزِلَهُ مُبادِراً أَنْعاهُ إليهمْ، فَقالَتْ فَاطِمَةُ «عليها السلام»: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَ مِنْ قِصَّتِهِ؟!.، فَأَخْبَرْتُهَا الخَبَرَ، فَقَالَتْ: هِيَ وَاللهِ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ الْغَشْيَةُ الَّتِي تَأْخُذُهُ مِنْ خَشْيَةِ الله، ثُمَّ أَتَوهُ بِمَاءٍ فَنَضَحُوهُ عَلَى وَجهِهِ فَأَفَاقَ**»[2].

---

١) مصباح الشريعة، ص٨٧.

٢) الأمالي (للصدوق)، ص٧٩.

ولا عجب من أمثال هذه الروايات، بعدما نقرأ في القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[1] فهن رأين جمال يوسف عليه السلام وهو جمال بشري زائل، أفلا يُرجى أن يكون ذهول أمير المؤمنين عليه السلام عند رؤية الجمال الإلهي بما لا يقاس بذلك؟!.

الشكوك الصلاتية

١١ـ إن المصلي الخاشع هو الذي يسيطر على تفكيره من أول تكبيرته، لئلا يُبتلى بالشكوك الصلاتية، والتي هي علامة على عدم إقبال العبد على ربه، وذلك لأن هذه الشكوك ـ وإن كانت لها حلول فقهية واضحة ـ إلا أن أصل عروض الشك حالة سلبية عند الخواص!.

فليس من المقبول أن يصاب المؤمن المتوجه في صلاته بحالات الشك والذهول، ليصل الأمر إلى أن يشك بين الركعة الثانية و الرابعة مثلا!.. فعليه لا بد من مضاعفة الجهد عند التكبير، ليسيطر على زمام الصلاة من أولها، فلا ينجر تدريجيا إلى حال النسيان والذهول، والمستلزمة لتلك الشكوك.

الأدعية المفتاحية

١٢ـ إن التكبير الذي يُعد من أركان الصلاة، هو أيضا مفتاح للدخول على الكنوز الإلهية المختزنة فيها، ومن هنا كثرت الآداب القولية الواردة قبلها، فهناك مقدمات دعائية نتدرج من خلالها للوصول إلى التكبيرة الافتتاحية والتي هي الذروة بين التكبيرات، فيأتي بثلاث تكبيرات ثم يقول: «**اللهُمَ أَنْتَ المَلِكُ الحَقُ، لَا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي،**

---

١) يوسف/ ٣١.

فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلّا أَنْت»[1]، ثم يأتي باثنتين ويقول: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، مِنْكَ وَبِكَ وَ لَكَ وَإِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى وَلَا مَفَرَّ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ وَحَنَانَيْكَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْت».[2]

ثم يأتي باثنتين ويقول: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ، عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِين»[3]، ثم يشرع في الاستعاذة وسورة الحمد.

الابتداء الكاذب

١٣- إن المصلي يبتدأ صلاته بتكبيرة الإحرام، مدعيا أن الله تعالى أكبر من أن يوصف، ولازم ذلك هو الإحساس بهيبة المولى، والمستلزم لصرف الذهن عمن سواه ممن لا يقاس به، وعليه فإن الإعراض عن المولى بعدها مباشرة، يجعل الصلاة مُفتتحة بالكذب والادعاء الباطل، فكيف تقبُل صلاة من بدأها بكذبة بيّنة؟!.، وهي الكذبة التي تتكرر مع كل تكبيرة، فضلا عن قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين» والحال أنه مستعين بكل أحد سواه.

ومن هنا لزم على المصلي أن يكون صادقا نسبيا، بمعنى الصدق حين الدعوى على الأقل، فيكون معظّما لمولاه حين التكبير، فيما لو عجز عن الإقبال في الأحوال الأخرى.

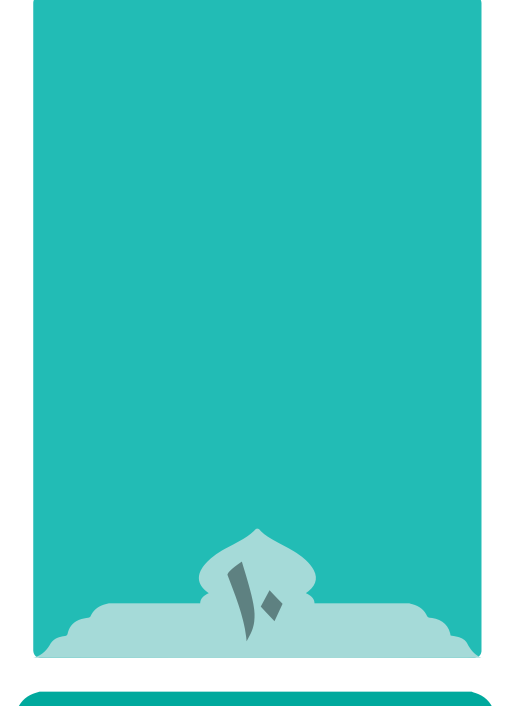
---

١) الكافي، ج٦، ص١٣٩.
٢) من لايحضره الفقيه، ج١، ص٣٠٤.
٣) الكافي، ج٦، ص١٤٠.

والشهيد الثاني قدس سره يوضح هذه الحقيقة أي عدم صدق المكبر في تكبيره إذا لم يكن ملتفتا لواقع التكبير حيث يقول[1]:

«فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك، فإن كنت تجد حلاوتها، وفي نفسك سرورها وبهجتها، وقلبك مسرور بمناجاته، وملتذ بمخاطباته، فاعلم أنه تعالى قد صدقك في تكبيرك له، وإلا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة، وحرمان حلاوة العبادة، إنه دليل على تكذيب الله لك، وطردك عن بابه».

١) أسرار الصلاة (للشهيد الثاني)، ص ١٢١.



الأسرار الباطنية للاستعاذة

بركات الاستعاذة

١ـ إن من المستحبات التي يغفل عنها كثير من المصلين هي الاستعاذة، فيستحب للمصلي أن يستعيذ بالله تعالى قبل أن يشرع في القراءة، ولكن بتلك الاستعاذة التي تحصنه من همزات الشياطين.

والسر في ذلك: أن الشيطان له رغبة في أن يدنس بوسوسته كل طاعة من الطاعات، فيُفسدها بظاهرها وباطنها، فإذا عجز عما يوجب الإجزاء «من جهة الظاهر» سعى فيما يوجب عدم القبول «من جهة الباطن» كل ذلك باعتبار حسده القديم لبني آدم، فيحاول جاهدا أن يصرف العبد، ويشغله بما يصده عن الإتيان بالعبادة كما يريدها المولى.

وليُعلم أن الله تعالى يأمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن قائلا: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1]؛ لأن قراءة كتابه الكريم من موجبات نزول الرحمة الإلهية، فكيف عند موجب أقوى كالصلاة التي هي معراج للمؤمن؟!.

ولا يخفى أن الصلاة فيها القرب القرآني وزيادة، ومن هنا أمرنا بالاستعاذة قبل التلاوة في الصلاة، كقدر متيقن من هجوم الشياطين على قلب المصلي؛ لأنه يُعد قارئا للقرآن حين الصلاة أيضا.

---

١) النحل/ ٩٨.

الخلط بين اللفظ والمعنى

٢ـ إن بعض الحركات القلبية في الصلاة وغيرها حُبست في عالم الألفاظ خطا، كالاستعاذة والاستغفار؛ فالاستعاذة والاستغفار حركتان قلبيتان، وإن أُبديتا من خلال جارحة اللسان، فعندما يستغفر الإنسان بلسانه، فإنه ينيب أولا بقلبه وهي العمدة، وعندما يستعيذ فإنه يلتجئ بقلبه أيضا وهو الأساس، وذلك إن هذه الألفاظ جعلت في الأساس للدلالة على المعاني القلبية.

وحينئذ نقول: إذا كان القلب خالياً من هذه المعاني، فإن ذلك يعني أن هذه الحركات اللسانية لا رصيد لها في الباطن، فلا يعدو كونها أمواجا في الفضاء، لا تؤثر أثرها الباطني المرجو من خلال التلفظ بها.

والشهيد الثاني قُدِّسَ سِرُّهُ يبين حقيقة الاستعاذة بقوله [1]:

«فاعلم أنه عدوك، ومترصد لصرف قلبك عن الله عزوجل، حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له، مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها، وأن استعاذتك بالله سبحانه منه، بترك ما يحبه، وتبديله بما يحب الله عزوجل، لا بمجرد قولك، فإن من قصده سبع أوعدوليفترسه أو ليقتله، فقال: أعوذ منك بهذا الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه، فإن ذلك لا ينفعه، بل لا يفيده إلا بتبديل المكان، فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محل الشيطان، ومكاره الرحمن، فلا يغنيه مجرد القول».

لزوم الاستعاذة المستمرة

٣ـ إن المصلي عندما يستعيذ بالله من الشيطان، عليه أن يعلم أن هذه الاستعاذة الأولية لا تغنيه عن الاستعاذة المستمرة، فالأمر فيها كالنية التي ينبغي أن تكون حركة مستمرة في الصلاة إلى آخرها، فالنية

١) أسرار الصلاة (للشهيد الثاني)، ص١٢٤ـ١٢٥.

ـ كما يقول الفقهاء ـ لا بد أن تكون متحققة: حدوثاً وبقاء واستدامةً، وكذلك الأمر في الاستعاذة؛ إذ لعل الشيطان يكون له بالمرصاد في الحركات الصلاتية اللاحقة من الركوع والسجود، ولهذا قد نرى بأن المصلي قد يبدأ صلاته مقبلا فيها، إلا أنه يدبر في وسطها أو ختامها.

الهواجس المقلقة

٤ـ إن الشيطان يستغل ما في جوف الإنسان من هواجس مقلقة ـ سواء في جانب الرضا أو الغضب ـ ليشغله بها حين صلاته، فلا بد من إبطال كيده، وذلك من خلال السيطرة على خواطره، فلا تغلب عليه بل هو يغالبها، والتوصية الجامعة في هذا المجال هي أن الخواطر على قسمين: فمنها ما تهجم على المصلي من غير اختيار فيتأذى منها، فهذه الخواطر لا تضر بالمصلي؛ لأنها قهرية يُعذر فيها، والله تعالى أجلّ من أن يحاسب العبد على ما لم يكن باختياره.

ولكن المشكلة في القسم الثاني وهي المتابعة الاختيارية، بمعنى أن الخاطرة تأتيه كرأس خيط، فإن أمسك بها سحبه الشيطان إلى حيث يريد، فالمؤاخذة على متابعة الفكرة، لا على أصل هجومها عليه.

و لا بد أن نشير هنا إلى هذه الحقيقة وهي: أنه لو كبّر المصلي، وبقي إلى التسليم، وهو في حال منازعة مع الشيطان كرّا وفرّا، فإنه محمود على صلاته هذه، ولعل هذا المصلي يثاب أكثر من الذي يخشع في صلاته، والطرق مفتوحة أمامه بلا مجاهدة.

هجوم الخواطر

٥ـ إن مما يلفت النظر حقا، أن المصلي يرى في باطنه هجوما غريبا للخواطر والأفكار أثناء صلاته، فقد يكون قبل الصلاة في حالة من

التركيز مقبولة، بل قد يكون في حالة جيدة من التفاعل الشعوري، كأن يكون بجوار مشهد من المشاهد المباركة كمقام الحسين عليه السلام ، ولكن عندما يبدأ بتكبيرة الإحرام، فإنه يحس بسيل من الهواجس والخواطر والوساوس، وكأن هناك يداً تدفعه و تصرفه عما هو فيه من القيام بين يدي ربه، ومما يؤيد ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله : « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَ الشَّيْطَانُ ، فَلَبَسَ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى** »[1].

ولا يخفى إن ضبط الخواطر أثناء الصلاة ـ بل خارجها ـ من أشق الأمور على نفوس غير الخاشعين، وذلك لأن انصراف الذهن إلى شيء، هو فرع موقع ذلك الشيء في قلب صاحبه، فالذي لا يرى وزنا لمقام ربه في قلبه، فمن الطبيعي أن يُحرم مثل هذه الحالة من التركيز.

عدم موافقة القلب

٦ـ إن الاكتفاء بالأذكار اللفظية وغيرها من دون موافقة القلب لها قد يُلحق باللغو، وذلك لعدم وجود معنى يُعتد به في الموردين، بل قد يقال: إن الأمر قد يضر صاحبه أكثر مما ينفعه ـ ولو في بعض الموارد ـ وذلك لاحتمال تكالب الشياطين عليه من دون أن يدخل حصنا حصينا؛ إذ إنه حاول أن يتشبه بالمتمردين عليه وبالذاكرين لله تعالى، فيضاعف كيده من أجل صرفه عن السبيل، بعد أن أثار بذكره الشيطان.

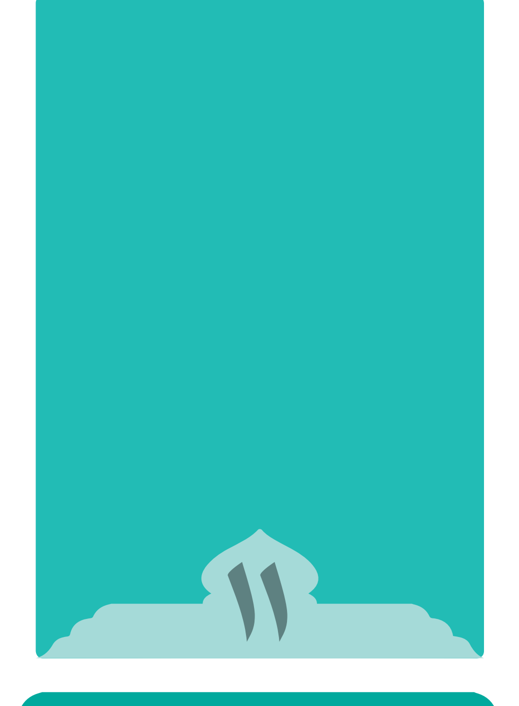
وعليه فإن المستعيذ الواقعي، هو الذي يستعيذ بحصن الله تعالى واقعا، وهو حصن التوحيد، مصداقا لما ورد من أنه «**لَا اِلَهَ اللهُ حِصنِي**»[2]، وبحصن الولاية، مصداقا لما ورد أيضا من أن «**وَلَايَة عَلِي حِصْنِي**»[3].

---

١) صحيح البخاري، ج٢، ص٦٩.

٢) الأمالي (للصدوق)، ص٢٣٥.

٣) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٤٧.



الآداب الباطنية للبسملة

عظمة البسملة

١ـ لو كانت هنالك عبارة أعظم وأجلّ من «بسم الله الرحمن الرحيم» لاختارها الله تعالى مفتتحا لسور كتابه الكريم، فقد جرت العادة أن يفتتح المتكلم كلامه والمؤلف كتابه، بأفضل عنوان يكون مرآة عاكسة لمعنونه، وهذا الافتتاح الإلهي المبارك في مفتتح كل سورة، قد جعل البسملة أكثر آية متكررة في القرآن الكريم، يضاف إليها ما ورد في سورة النمل، حيث عنون سليمان عليه السلام كتابه بالبسملة أيضا، حيث قال: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[1].

وليعلم أن البسملة جزء لا يتجزأ من كل السور ما عدا سورة البراءة، بل ورد العتاب الشديد على حذفها، فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ عَمَدُوا إلى أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَزَعَمُوا أَنَّهَا بِدْعَةٌ إذا أَظْهَرُوهَا، وَ هِيَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم**»[2]، وعن الباقر عليه السلام أنه قال: «**سَرِقُوا أَكرَمَ آيةٍ فِي كِتابِ اللهِ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**»[3].

---

١) النمل/ ٣٠.

٢) بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢١.

٣) تفسير العياشي، ج١، ص١٩.

الاستئذان بالبسملة

٢ـ البسملة من الحقائق الكبرى التي لها انعكاسات جمة في حياة الإنسان المؤمن، فعلى المصلي أن يستحضر الآداب الباطنية للتسمية، والتي منها أنها بمثابة استئذان صاحب الملك للتصرف في ملكه، فإذا كان الإنسان عند أحدهم، وأراد أن يأخذ متاعا منه، فمن الطبيعي أن يستأذنه حتى لو كان راضيا في باطنه، فهكذا جرت العادات والآداب بين الناس.

وهنا أيضا نقول: إن العبد المراقب، يرى نفسه في محضر الله تعالى دائما وأبدا، فإذا أراد أن يتصرف فيما هيّأ له من طعام وشراب ولباس أو ركوب دابة، فمن الأدب أن يستأذن مولاه عند التصرف في كل ذلك، واستئذانه لا يحتاج إلى إذن لفظي، بل يكون بالتوفيق إلى التسمية، والله تعالى أكرم وأجلّ من أن يمجّده عبده، ثم لا يأذن له بالتصرف!.. فما قيمة الوجود بين يديه، كيلا يأذن له في التصرف فيه، وهو الذي بيده خزائن كل شيء؟.

تخليد العمل

٣ـ إن من بركات البسملة هو تخليد العمل، فعندما يستأذن العبد ربه بالبسملة ـ عند الأكل والشرب مثلا ـ فإنه وإن انطلق من منطلق الغريزة واقعا، إلا أنه يريد أن يربط فعله بمراد مولاه ـ ولو تلقينا وادعاءـ، وكأنّ الله تعالى هو الذي يريد من عبده أن يأكل ويشرب تحقيقا لغاية أخرى، والمتمثلة في الاستقواء على عبادته، وحينئذ فإن العبد بهذه التسمية، يربط هذا الفاني بالباقي، فصار أكله وشربه في حكم عبادة يستحق عليها الأجر الخالد، ويا له من مكسب!.. حيث أكل وشرب فانيا، وبقي له عوض إلى أبد الآبدين!.

متعلق البسملة

٤ـ من المعلوم أن البسملة جملة متعلقة بمحذوف، فإنها بمجموعها جار ومجرور، لا بد له من متعلَّق وهو الفعل الذي كان لا بد أن تتصدر به البسملة، وهذا الفعل يمكن أن يكون مرتبطا بالعمل الجزئي الذي يقوم به العبد، فيقدر فيها: «آكل»، أو «أقرأ»، أو «أعمل هذا العمل المعين» وذلك باسم الله تعالى.. فعليه يكون في البين فعل محذوف يتناسب مع طبيعة العمل الذي يزاوله العبد، ولكن يمكن أيضا أن يكون الفعل المقدَّر جامعا لكل أنحاء تصرفاته، فيقدر فيها: «أبتدأ»، أو «ابتدائي» باسمه تعالى.

ومن المعلوم أن كل عمل بدئ فيه باسم الله تعالى فهو منتسب إليه، وفي المقابل فإنه كما روي عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُذْكَرُ بِسْمِ اللهِ فِيهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ**»[1]، والأبتر هو المقطوع الذي لا عقب ولا دوام له.

الحصانة من الذنوب

٥ـ إن من بركات البسملة أيضا هي الوقاية من الذنوب، فعندما يسمي الإنسان بالتفات وتوجه، ثم يزاول ما سمى عليه، فإنه لا بد أن يراعي رضا الله تعالى في ذلك العمل، فلا يعصيه في أصله ولا في تفاصيله، إذ كيف يدعي انتساب عمل إلى الله تعالى ـ كما هو مقتضى التسمية ـ ويطلب مباركته فيه، ثم يعصيه حين ذلك العمل؟!.

فعندما يذهب إلى العمل مثلا ويفتح باب المتجر، ويقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» بالمعنى الباطني الذي ذكرناه آنفا، فلا بد أن تنتابه حالة الاستحياء من مولاه، فيما لو نوى القيام بما يخالف رضاه؛ لأن من لوازم التسمية ـ مع التفات صاحبه ـ هو استعمال ما سمّى عليه في

١) وسائل الشيعه، ج٧، ص١٧٠.

مرضاته، وكذا إذا افتتح سفره بالتسمية عند ركوب الدابة ـ كما جرت العادة بقراءة دعاء السفر مثلا ـ فإنه لا بد أن يستحي أن يجعل سفره هذا في معصية مولاه، طبعا كل ذلك فيما لو كان ملتفتا إلى ملكوت البسملة.

منع الشياطين

٦ـ من آثار البسملة هو منع الشياطين من اختراق حدود ما سمّي العبد عليه؛ لأن ذكر الله تعالى من موجبات تحصين ما ذُكر عليه، وكما هو معلوم فإن الشيطان إذا سمع ذكر الله تعالى خنس وتراجع؛ لخوفه من التسلل إلى مملكة الله تعالى حيث فيها عباده الصالحون، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾، فالتسمية إذن قبل العمل من موجبات المباركة الإلهية من ناحية، ودفع الشيطان لئلا يفسد ذلك العمل من ناحية أخرى حيث إن ناصيته بيده.

والإمام السجاد عليه السلام بدعاء جامع، يبين لنا طرق كيده وما يبطله أيضا، حيث يقول: «**اللهُمَّ احْلُلْ مَا عَقَدَ، وافْتُقْ مَا رَتَقَ، وافْسَخْ مَا دَبَّرَ، وثَبِّطْهُ إذا عَزَمَ، وانْقُضْ مَا أَبْرَمَ**»[1].

ومن هنا فإن المصلي عندما يسمي قبل سورة الحمد، فإنه يستحضر كل هذه المعاني؛ فيستحضر الاستئذان بالعمل، ويستحضر نية دفع الشياطين، كما يستحضر الرحمة الإلهية التي يتوقعها أثناء دخوله في بحر الصلاة.

مشتقات الرحمة

٧ـ إن الله تعالى اختار من بين جميع أسمائه الحسنى، اسمين بعد

---

١) الصحيفة السجادية، ص٨٨.

لفظ الجلالة في البسملة، وكان بالإمكان أن ينوّع فيها فيقول: «بسم الله المنتقم الرحمن»، لتتم الموازنة بين الخوف والرجاء، ولكن الله تعالى عندما اختار اسمين من أسمائه الحسنى، جعلهما من مادة واحدة ـ وهي مادة الرحمة ـ ولهذا حذفت التسمية من سورة البراءة؛ لأنه لا مناسبة بين البراءة وبين الرحمة الإلهية.

وليعلم أن هذه الرحمة لها وجهان: جهة الرحمة العامة الغامرة لجميع الخلق، وجهة الرحمة الخاصة التي تغمر خواص العباد، ومن تجليات هذه الرحمة الخاصة، هو إن الله تعالى يُقبل على العبد عندما يصلي، مصداقا لما ورد عن علي عليه السلام: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُصَلِّي مَا يَغْشَاهُ مِنْ جَلَالِ اللهِ، مَا سَرَّهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودِهِ**»[1]، وما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا قَامَ الْمُصَلِّي إلى الصَّلَاةِ، نَزَلَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ مِنْ أَعْنَانِ السَّمَاءِ إلى أَعْنَانِ الْأَرْضِ، وَ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَ نَادَاهُ مَلَكٌ: «لَوْ يَعْلَم هذَا الْمُصَلِّي مَا فِي الصَّلَاةِ مَا انْفَتَل**»»[2].

ومن أعظم مصاديق هذه الرحمة الخاصة التي تحيط بالمؤمن خارج صلاته أيضا، هي العلاقة المميزة التي تربط العبد بربه والتي أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام: «**إِنَ رُوحَ الْمُؤْمِنِ لَأَشَدُّ اتِّصَالًا بِرُوحِ اللهِ مِنِ اتِّصَالِ شُعَاعِ الشَّمْسِ بِهَا**»[3].

شبه الوضوء بالتسمية

٨ـ إن هنالك شبها بين التسمية وبين الدوام على الطهارة، فمن المعروف أنه عندما ينتقض وضوء من يواظب على الطهور، فإنه يعيش

---

١) الخصال، ج٢، ص٦٣٢.

٢) الكافي، ج٦، ص٩.

٣) مرآة العقول، ج٩، ص١٣.

حالة من التكدّر الباطني وكأنه محدث بالحدث الأكبر، وكذلك فإن الذي يتعوّد على التسمية ثم ينساها قبل العمل، فإنه يستشعر حالة من الجفاء مع رب العالمين، ولهذا أمرنا بتدارك الموقف إذا تذكرنا التسمية حين الأكل فنقول: «بِسْمِ اللهِ فِي أولِهِ وَآخِرِه»[1]، ولهذا كان الراجح أيضا أن يجهر الإنسان بالتسمية أثناء الطعام، لتذكير غيره بما تذكره هو من ذكر الله تعالى.

أثر الالتزام

٩- إن الملتزم بالبسملة على كل أمر ذي بال وغير ذي بال، يتحول بعد فترة من الالتزام بها إلى ذاكر لله تعالى بشكل تلقائي. فإن الأعمال الحياتية - الجزئية منها والكلية - متعددة في اليوم الواحد، فلو اقترنت كل واحدة منها بالبسملة - بحسب الفرض - فكم يكون الذكر الإلهي متغلغلا في نشاطه اليومي، ومستوعبا لمجمل حركاته؟!. وهذه من موجبات تحقق الذكر الكثير الذي يصبو إليه كبار الأولياء والصلحاء.

أسرار لفظ الجلالة

١٠- إن لفظ الجلالة حامل لأسرار لا تحيط به عقولنا، فإنها مشيرة إلى الذات المستجمعة لكل جهات الجلال والجمال. وأصل الكلمة «إله»، ثم دخلت عليه «ال»، ثم حذفت الهمزة وأدغم اللامان، وقيل في مبدأ الاشتقاق وجهان:

الأول: مأخوذة من «أله الرجل» أي عبد، فآل معناه إلى معنى المعبود، أي الفاعل هنا بمعنى المفعول، فالله تعالى مألوه بمعنى أنه معبود.

الثاني: مأخوذة من «وله الرجل» بمعنى التحير، وقد روي عن

---

١) وسائل الشيعة، ج٢٤، ص٣٤٩.

الباقر عليه السلام في هذا المعنى: «**المَعْبُودُ الَّذِي أَلِهَ الخَلْقُ عَنْ دَرْكِ مَاهِيَّتِهِ وَالْإِحَاطَةِ بِكَيْفِيَّتِهِ**»[1]، وقد قيل في خطابه: «**يَا مَن تَحَيَّرَ فِيهِ مَا سِوَاه**ُ»[2].

وقد سئل علي عليه السلام عن تفسير قوله: الله ؟!. فقال: «**هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّهُ إليه عِنْدَ الحَوَائِجِ وَالشَّدَائِدِ، كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَتَقَطُّعِ الْأَسْبَابِ مِنْ جَمِيعِ مَا سِوَاه**»[3].

---

١) التوحيد (للصدوق)، ص٨٩.

٢) منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص٣٤٣.

٣) التوحيد(للصدوق)، ص٢٣١.



الآداب الباطنية للقراءة

عظمة سورة الحمد

١ـ من المعلوم أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، وهي المسماة بالسبع المثاني، وقد جُعلت عدلا للقرآن الكريم فيما أتي الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله، ولو قرئت على ميت ـ كما روي عن الصادق عليه السلام [١] ـ ثم ردت فيه الروح، ما كان ذلك عجبا.

كل هذا يدل على عظمة هذه السورة، وعمق ما فيها من المعاني، ولكن من العجب ـ مع كل ذلك ـ أن يقرأها المصلي في اليوم عشر مرات وجوبا، من دون أن يتدبر في معانيها، وكذا في السورة التالية لها وهي سورة التوحيد، والحال أن كل ما دل على لزوم التدبر في القرآن الكريم ـ سواء من القرآن والسنة ـ جار فيما يتلوه المصلي في صلاته من السور، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿أَ فَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٢]، ومن السنة ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: «**لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا**»[٣]، ولكن الشياطين التي تحوم على قلب بني آدم، تمنعه من الوصول إلى ملكوت الآيات.

---

١) قال الامام الصادق عليه السلام: لَوْ قُرِئَتِ الْحَمْدُ عَلَى مَيِّتٍ سَبْعِينَ مَرَّةً ثُمَ رُدَّتْ فِيهِ الرُّوحُ مَا كَانَ ذَلِكَ عَجَباً. وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٣١.

٢) محمد/ ٢٤.

٣) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٧٥.

عدم انفكاك البسملة

٢ـ إن البسملة جزء من سورة الحمد ولا ينفك منها، بل طُلب من المؤمن أن يجهر بها، كعلامة له كما في رواية الإمام العسكري عليه السلام فكان أصلها إذعانا قلبيا بالعبودية، حيث لا يفتتح العبد فعله ـ ولو كان حقيرا ـ إلا بها، وصار الجهر بها إعلاما لهذه العبودية، حيث يفتتح العبد حديثه بربه مستعينا به، ولولا هذا الإذن والإعانة، لما حق له الحديث معه، فالمنّة له على عبده أولا وآخرا.

الإقبال عند ذكر الأسماء

٣ـ عندما يصل العبد إلى ألفاظ الجلالة، أو باقي أسمائه الحسنى، أو الضمير العائد إليه ـ وهو ما يقرب من سبعين مورد في ضمن ركعتين ـ فعليه أن يُقبل بقلبه على المسمّى ومرجع الضمير، فإن المحب عندما يذكر محبوبه، يهتز له قلبه وتتحرك له مشاعره، كما هو المتعارف عند محب الفانيات. ولا ريب أن هذا الذكر المقرون بالمحبة من طرف العبد، يقابله مثل ذلك من طرف الحق المتعال، ولكن أين عطاء الثريا من عمل الثرى؟!.

وليعلم أن هناك حقائق ملكوتية لأسماء الله تعالى الحسنى في عالم الأسماء ـ وعلى راسها لفظ الجلالة ـ فلو اتصل العبد بشيء من ذلك العالم، لأمكنه حينها التصرف في عالم التكوين، وهو ما تحقق لمن كان له علم من الكتاب، حيث أمكنه نقل عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف، وذلك الكتاب هو الذي فيه حقائق الأسماء بصورتها النورية لا الحرفية.. وإلى هذه الحقيقة تشير الرواية النبوية عندما سئل صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم، فقال صلى الله عليه وآله : «**كُلُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله أَعْظَمُ، فَفَرِّغْ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَادْعُهُ بِأَيِّ اسْمٍ شِئْتَ، فَلَيْسَ فِي الحَقِيقَةِ للهِ اسْمٌ دُونَ اسْمٍ، بَلْ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**»[١].

---

١) مستدرك الوسائل، ج٥، ص٢٧٢.

تعليم المولى

٤ـ من كمال إنعام المولى على عبده، أن يعلّمه كيف يخاطبه، ففي سورة الحمد يتكلم المولى على لسان عبده، فأراد بذلك أن يعلّمه أدب العبودية، فإن العبد مهما اجتهد في اختيار ما يدل على التذلل والعبودية، فإن عباراته لا تسعفه، وجهده لا يوصله.

ومن هنا يوصي بعضهم أن يختار هذه الجملة أعني «إياك نعبد وإياك نستعين» في كل مواطن المناجاة البليغة؛ لأنه خطاب من الله تعالى وإليه، وهذا هو الذكر الذي يكرره العبد في صلاة أمام زمانه عليه السلام.

وهو أيضا ما كان يكرره الإمام الصادق عليه السلام حتى كأنه سمعها من قائلها، بل ورد في نقل آخر أنه غشي عليه عند تكرار آية من القرآن، حيث سئل عليه السلام عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه، فلما ذهب عنه قيل له في ذلك فقال: «**مَا زِلتُ أُرَدِّدُ الآيَةَ عَلَى قَلبِي وَعَلَى سَمعِي، حَتَّى سَمِعتُهَا مِنَ المُتَكَلِّمِ بِهَا، فَلَم يَثبُت جِسمِي لِمعَايَنَةِ قُدرَتِهِ**»[1].

التشبه بالرحمة الإلهية

٥ـ إن الله تعالى اختار من بين أسمائه الحسنى، ما هو مشتق من مبدأ الرحمة، وهو الذي يكرره العبد في سورة الفاتحة أربع مرات، مما يدل على أن هذا المبدأ هو منشأ كل خير في هذا الوجود، فكل مظاهر الخلقة والفيض المنبسط، إنما هو تجلّ من تجليات هذه الرحمة الأزلية، ومن جهة أخرى فإن الخطوة الأولى لاستنزال هذه الرحمة الغامرة، هي أن يتشبه العبد بربه بهذه الصفة قدر الإمكان البشري، سواء في:

ـ شق الرحمة الرحمانية الشاملة لجميع الخلق؛ إذ الرحمن صيغة من صيغ المبالغة، التي استعملت في مثل قوله تعالى: ﴿قلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا﴾[2].

---

١) تفسير الصافي، ج١، ص٧٣.

٢) الرحمن/ ٧٥.

ـ شق الرحمة الرحمانية الخاصة بالمؤمنين؛ إذ الرحيم صفة مشبهة دالة عن الثبات والبقاء، المناسب للرحمة الخاصة الملازمة للمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾[1].

إذن فالمتشبه بهذه الصفة الإلهية، هو القابل لتوجّه مثل هذا الفاعل، والمتمثل بالنظرة الرحيمة إليه، ومن أبرز آثارها إقبال رب العالمين عليه في صلاته.

تكرار صفة الرحمة

٦ـ إن مادة الرحمة متكررة في الصلوات اليومية ستين مرة، وذلك من خلال وصف المولى نفسه بأنه رحمن و رحيم، وحينئذ لنا أن نتساءل عن حال العبد الذي لا يستشعر في قلبه شيئا من الرحمة تجاه العباد، فهل يرجو بعدها أن ترفع له صلاة، والحال أنه يعاكس هذه الصفة الإلهية ستين مرة؟!.

بل يمكن القول بأن المطلوب من العبد ـ إضافة إلى استشعار حالة الرحمة ـ ما هو أرقى من ذلك، ألَا وهي القدرة على العفو عمن ظلمه، حيث يدعو المولى إلى ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَ لاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]، والجائزة الموعودة على هذه الصفة هي من جنس العمل، أي الصفح الإلهي عن العبد، مقابل صفحه عن أخيه.

الفرق بين المدح والثناء

٧ـ الحمد إنما هو ثناء على الجميل الذي يصدر من صاحبه اختيارا،

---

١) الأحزاب/ ٤٣.

٢) النور/ ٢٢.

بينما المدح هو الثناء على ما هو الأعم من الاختياري وغيره، كمدح الأشخاص و الجمادات، واللام هنا تفيد الاستغراق؛ فإن الحمد والثناء كله ـ بل جنسه ـ منحصر به تعالى، وما يصدر من جميل من غيره فهو بتمكين منه تعالى.

وعليه فلا بد أن يصاحب هذا الشعور بالامتنان تجاه المحمود، شيء من الخجل الدافع للعمل وجبر النقص، وهذه الثمرة العملية من الحمد، خير من الثناء المجرد في عالم الألفاظ، بل حتى الأفكار.

معنى كلمة الرب

٨ـ ذكر العالم العارف الملكي التبريزي في كتابه «أسرار الصلاة» بيانا لطيفا في تفسير كلمة الرب نوردها بعينها لجامعيتها: «**فجميع العوالم مع أجزائها وجهاتها قائمة بتربيته وربوبيته. فمن أمعن نظره في العالم، رأى العوالم كلها قائمة بالرب تعالى، ورأى أن ربوبيته تعالى وتربيته ليس كتربية الملاك للأملاك، ولا كتربية الآباء للأولاد، ولا كتربية النفس للأعضاء، ولا كتربية النفس للقوى.. ولكن تربية النفس للقوى أشبه بتربيته تعالى من غيرها، من حيث إنها محصلة للقوى، ومقومة لها، وحافظة ومبلغة لها إلى كمالاتها الأولية والثانوية**»[١].

تقدير النعم دائما

٩ـ إن أول درس عملي لحمد الله تعالى بعد البسملة مباشرة، هو تعويد العبد على تقدير النعم المتوجهة إليه، فيلتفت تارة إلى المنعم الأول فيلهج بحمده، ويلتفت تارة لمجاري الخير من بعده ـ وهم عباده المحسنون ـ فيتوجه إليهم بالحمد والشكر لتلبسهم بالخير، وقد ورد عن

---

١) أسرار الصلاة (للملكي التبريزي)، ص ٢٣١ـ٢٣٢.

الرضا عليه السلام: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْمُنْعِمَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ عَزَّ وَ جَل»[1].

الفرق بين الملك والمالك

١٠- بعد ذكر مقام الربوبية المستلزم أو المطابق لمعنى التدبير، فإن الله تعالى يذكر صفة (مِلكيته) بكسر الميم (أو مُلكيته) بضم الميم ليوم الدين، وهو الأوفق للنسبة إلى الزمان؛ لأنه يقال: ملك العصر لا مالكه، وعلى التقديرين صارا كأنهما سببين لوصف الربوبية والتدبير؛ لأن هذا الوصف مترتب على كونه ملكا أو مالكا للعباد، بالمعنى الحقيقي لا الاعتباري.

ومن الواضح أن هذا الإحساس لو تعمق لدى العبد، لانتابه شعور بالراحة والاطمئنان؛ لأنه يرى نفسه مرتبطا بمن بيده مقاليد كل شيء، ومن ناحية أخرى، فإنه يتلاشى عنده الشعور بالعجب والغرور، حيث يرى عبادته لمن له حصرا حق التدبير والتقدير.

حدود العوالم

١١- إن العالَم هو ما تعلق به العلم، في قبال العالِم الذي تلقى ذلك العلم، فعم التعبير بالعالَم جميع الممكنات؛ لأن ما وُجد صار معلوما، ولك أن تتصور كم هي قدرة من يدبر هذه العوالم بكل تنوعاته؟!.. أفلا يقبح بعدها الركون إلى غيره وشغل الفؤاد بمن سواه، وهو يعلم أن هذه العوالم كلها تفنى ويبقى وجه مدبرها، وهو الذي يحبب نفسه إلى خلقه من خلال هذه السورة المباركة؟!.

١) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٤.

معنى ملكية القيامة

١٢ـ قد يتساءل البعض أنه ما معنى إضافة المالكية أو الملكية ـ على القراءتين ـ إلى يوم الدين، والحال أن المتعارف فيهما هي الإضافة إلى الذوات العاقلة وغيرها على قراءة مالك، أو إلى خصوص العاقلة على قراءة ملك؟

فيقال في الجواب: إن الإضافة إلى الذات باعتبار الخواتيم، أولى من إضافتها باعتبار أنفسها؛ لأن الإنسان قد يكون متسلطا على شيء طوال فترة وجوده، ولكن يفقد سلطنته عليها في وقت تظهر فيها ثمرة تلك السلطنة، كمن تملّك دارا ثم غُصب منه قبل أن يسكنه، فهذه سلطنة ناقصة، ولكن السلطنة التامة هي تلك المستمرة إلى الأبد، حيث يتسلط صاحبها على عواقب ما تسلط عليه إلى النهاية، وبذلك صح أن يوصف رب العالمين بأنه مالك أو ملك ليوم الجزاء، وهو الوصف الأتم والأبلغ، حيث يُفهم منه السلطنة التامة في كل العصور، وخاصة في مراحل البعث والنشر، وهي العمدة في كل أزمنة حياة الممكنات؛ لأنه فيه تتبين حكمة الخلق من جهة، وجزاء المخلوقين من جهة أخرى.

ملك العبادات وملكوتها

١٣ـ كما أن للعبادات ملكا وملكوتا، فكذلك الأمر في الأذكار المتخلله فيها، فالحمد الظاهري لا يكلف العبد إلا حركة لسانية حيث ينطق بكلمتين خفيفتين قائلا: «الحمد لله» سواء في سورة الحمد أو غيرها، ولكن ملكوت هذا الذكر يشبه ملكوت البسملة، حيث **الاسمُ الأَعظَمُ فِيها أَقرَبُ مِن بَيَاضِ العَينِ إِلَى سَوَادِهَا** ـ كما روي[1] عن الرضاعليه السلام

١) قال الامام الرضاعليه السلام: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أَقْرَبُ إِلَى اسْمِ اللهِ الْأَعْظَمِ مِنْ بَيَاضِ الْعَيْنِ إِلَى سَوَادِهَا». وسائل الشيعه، ج٦، ص٦٠.

- فالحمد أيضا فيه من الأسرار، ما لا يعرفها إلا من خُوْطِب بالقرآن الكريم. والنبيﷺ يشير إلى هذا السر إشارة اجمالية، حيث يبين فيها عظمة الحمد، حيث يقول كما روي عنه: «**قَوْلُ الْعَبْدِ الحَمْدُ للهِ أَرْجَحُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ سَبْعِ سَمَاواتٍ وَ سَبْعِ أَرَضِين**»[١]، وفي حديث آخر عنهﷺ: «**لَو أَنَّ الدُنيا بِحَذَافِيرِهَا فِي يَدِ رَجُلٍ مِن أُمَّتِي، ثُمَّ قَالَ الحَمدُ لله، لَكَانَ الحَمْدُ للهِ أفضَلَ مِن ذَلِكَ**»[٢].

سبب الالتفاتة

١٤- إن أول التفاتة للعبد من الغيبة إلى خطاب الحق المتعال - بعد الثناء عليه أول السورة - يتضمن أمرين:

الأول: حصر العبادة بالله تعالى، و الثاني: حصر الاستعانة به، فهما نتيجتان طبيعيتان لكونه تعالى واجدا لجنس «الحمد» واستحقاق الثناء أولا، وكونه «ربا» ثبت له مقام التدبير ثانيا، وكونه موصوفا «بالرحمة» الشاملة والمختصة ثالثا، وكونه «مالكا» ليوم الجزاء رابعا.. فمن كانت هذه هي أوصافه وأفعاله، فمن يستحق العبادة الحقة والاستعانة به حصرا سواه؟!.. فالسورة كأنّها سيقت من مرحلة المقدمات إلى النتائج، ومن رتبة العلة إلى المعلول.

من الغيبة إلى الحضور

١٥- إن تغيير لحن آيات سورة الفاتحة من الغيبة إلى الخطاب عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يحمل دلالة عميقة، وهي إن العبد بعد أن اجتاز مقدمات الصلاة، ووصل إلى تلاوة السورة، ثم أكمل

---

١) مستدرك الوسائل، ج٥، ص٣١٤.

٢) نوادر الأصول، ج٢، ص٢٦٧.

فيها الثناء والحمد على الرب الرحمن الرحيم، جاز له الآن أن ينتقل من مقام الغيبة إلى الحضور، وكأنّه بذلك استحق أن يصل إلى مقام الرؤية الباطنية لربه، ليخاطبه مخاطبة الجليس لجليسه، وهو ما ورد في الحيث القدسي: «**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**»[1].

الطلب الصادق

١٦ـ بعد أن يقر العبد ـ صادقا ـ أنه يعبد ربه ويستعين به حصرا، فإنه يحق له أن يطلب منه مقام الهداية إلى الصراط المستقيم، والتي لو سار عليها في الدنيا بسلام، لاجتاز صراط الآخرة أيضا بسلام.

ومنه يعلم أيضا أن غير الصادق في هذه الدعوى ـ أي في عبادته والاستعانة به حصرا ـ لا يمكنه أن يهتدي إلى الصراط، وإن كررها في اليوم مرات ومرات، وذلك لعدم مراعاة قواعد الترتب، التي تفهمها هذه السورة لأهل التدبر والعناية.

أركان التقرب

١٧ـ إن قواعد القرب الباطني من المولى يتحدد ـ كما هو مقرر في محله ـ في أركان ثلاثة متمثلة في: الخوف، والحب، والرجاء. فالأول بلحاظ صفات القهر والغلبة كالمنتقم، والثاني بلحاظ صفات الود واللطف كالودود، والثالث بلحاظ صفات الإحسان والكرم كالمعطي، وهذه الألوان الثلاثة في العلاقة الربوبية، يمكن تلمّسها في سورة الفاتحة، فمن الممكن:

ـ استشعار معنى الخوف عند الإشارة إلى ملكيته تعالى ليوم الدين، وما فيها من الجزاء العادل.

١) الكافي، ج٤، ص٣٦١.

- استشعار معنى الحب عند الإشارة لعبادته تعالى حصرا، فإن الالتفات الحقيقي إلى المعبود - لا مجرد تكلف الاستذكار كما هو الواقع غالبا - فرع محبته، وإلا لَمَا تحقق التفات أبدا.

- استشعار معنى الرجاء عند الإشارة إلى أنَّه هو المستعان، بل هو من ينبغي الاستعانة به، لكون أزمّة الأمور طرا بيده، والكل مستمدة من مدده.

الفرق بين الصراط والسبيل

١٨- إن كلمة الصراط لم ترد في القرآن إلا مفردة، والحال أن السبيل جاء بنحو المجموع في عدة آيات كقوله تعالى: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[١]، ومن الممكن القول بأن الصراط المستقيم جامع للسبل المختلفة؛ إذ الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق، ولكن المشكلة تكمن في أن العبد قد لا يهتدي إلى السبيل الأقوم من بين تلك السبل المتفرقة، وإن كانت جميعا ضمن الصراط المستقيم، وهو لا يتفق إلا لكبار الموحدين الذين هداهم الله تعالى إلى السبيل الخاص بهم، وهو مترتب على الجهاد في الله تعالى لا في سبيله بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢] أي طلبا لحبه ومرضاته. فقد يختار العبد طريقا للعبودية، والحال أن الأقرب إلى مراد المولى هو طريق آخر لا تخطر على باله، ومثاله كمن يذهب للزيارة، تاركا خدمة والديه، مع شديد حاجتهما له!.

وخير ما يبين لنا هذه الحقيقة قوله تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾[٣] أي الصالح المرضي عند الحق لا مطلق

---

١) العنكبوت/ ٦٩.

٢) العنكبوت/ ٦٩.

٣) الأحقاف/ ١٥.

الصالحات، وهو الذي خالفه إبليس عندما خاطب ربه قائلا: «**يَا رَبِّ أَعْفِنِي مِنَ السُّجُودِ لِآدم، وَأَنَا أَعْبُدُكَ عِبَادَةً لَمْ يَعْبُدْكَهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى: لَا حَاجَةَ لِي إلى عِبَادَتِكَ، إنما أُرِيدُ أَنْ أُعْبَدَ مِنْ حَيْثُ أُرِيدُ، لَا مِنْ حَيْثُ تُرِيدُ**»[1].

إراءة الطريق

١٩ـ إن العبد لا يطلب من الله تعالى ـ بعد الثناء عليه وبعد الإفصاح على عبوديته له واستعانته منه ـ إلَّا طلبا واحدا أَلَا وهي الهداية: بمعنى إراءة الطريق، لا الإيصال إلى الغاية، فإن وظيفة الأنبياء والمرسلين متمثلة بإراءة الطريق، بينما الوصول إلى الغاية متوقف على جهد العبد نفسه، وعلى هذا المعنى جرت السنّة الإلهية طوال التاريخ.

وعليه فمن يتوقع انخرام هذه السنّة، وحصول الكرامة بأن يصل إلى الغاية من دون جهد، فهو متوهم غير مستوعب لفلسفة الخلق.

نعم، من الممكن تفسير الإيصال إلى المطلوب بمعنى آخر غير ما ذكر، أَلَا وهو تزيين الإيمان في القلب، إلى درجة يرى الإنسان نفسه فيها مندفعا نحو الغاية بذلك التزيين الباطني، وكأنه مفطور على ذلك مجبور عليه، وهذا لا يعني الجبر أبدا، بل هو صورة من صور التوفيق والتسديد الإلهي، وإن شابه الإلزام في ظاهره.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ما فيه بيان لجوهر ما يطلبه العبد من ربه، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾: «**أَرشِدنَا إِلَى الصرَاطِ المُستَقيم، و أَرشِدنَا لِلُزُوم الطَرِيقِ المُؤَدِّي إِلَى مَحَبَّتِكَ، والمُبَلِّغِ دِينَكَ، وَالمَانِعِ مِن أَن نَتَّبِعَ أَهوَاءَنَا فَنعطَب، أَو نَأْخُذَ بِآرائِنا فَنهلِكَ**»[2].

---

١) بحارالانوار، ج٦٠، ص٢٧٤.

٢) البرهان فى تفسير القرآن، ج١، ص١١٤.

وهنا لا بد من القول أيضا: بأن طلب الهداية هنا يعم الثبات على الصراط المستقيم، وإلّا فهو بالنسبة للأنبياء تحصيل لأمر حاصل، فلا بد من تفسير مثل قوله تعالى: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1] الثبات على الصراط لا على أصله.

الختام المخيف

٢٠- إن هذه السورة مختومة بختام مخيف - لو تعقله القارئ لها - ألَا وهو إن الإنسان الضال، لا يلزم أن يكون متعمدا في سعيه الباطل، بل قد يكون خروجه عن الجادة عن سهو وجهالة، ولكن النتيجة في الحالتين هي عدم الوصول إلى الغاية، فينطبق على الطائفتين عنوان الضلال.

ومن هنا نقول: إن من لم يُنعم الله تعالى عليه فهو ضال، وإن كان جاهلا مركبا أي لا يعلم أنه لا يعلم، وفي المقابل فإن من قصّر في معرفة معالم الطريق، كان من الذين غضب الله تعالى عليهم، وهي درجة أشد من الضلال المجرد.

استجلاب النعمة

٢١- إن المفتاح الأساسي لتحقيق الهداية والسير على الجادة المستقيمة، هو استجلاب النعمة الإلهية في معرفة الصراط المستقيم، فإن العبد مهما حاول كشف المجاهيل في هذا الطريق، فإنه سيبقى في وادي التيه والضلال؛ إذ كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ لاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2]، ومن المعلوم أن الذين

---

١) الأنعام/ ٨٧.

٢) النساء/ ٨٣.

شملتهم هذه النعمة الإلهية، هم من خواص الخلق حيث يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً﴾[1]، واللافت في هذه الآية، أنها جعلت الذين تعلق بهم الإنعام الإلهي، هم ممن أطاع الله تعالى ورسوله، وهذا هو معنى العبادة الواردة أيضا في سورة الحمد، والتي جُعلت سمة من سمات الذين أنعم الله تعالى عليهم، وبذلك يُعلم وحدة المفاهيم في القرآن الكريم على تنوّع مصاديقها.

التذبذب في الإقبال

٢٢ـ كم من اللافت حقا أن يمضي على العبد المصلي ستون سنة، وهو يلهج في كل يوم بهذا الدعاء الوارد في سورة الحمد، أي طلب الهداية من ربه، ولكن لا يرى أثرا للإجابة في حياته؛ إذ لا يجد نفسه على صراط مستقيم، في أي شأن من شؤون الحياة، بل يعيش حالة التذبذب والتأرجح، ويستشعر حالة من التبرم الباطني الذي يناسب الضالين أو المغضوب عليهم، وبكلمة جامعة لا يرى في وجوده ذلك النور المتناسب مع تكرار هذا الدعاء طوال عمره.

و السبب في ذلك ما أوجزه السيد مهدي بحر العلوم «صاحب الدرة النجفية[2]» قائلا:

تلهج في إياك نستعين	وأنت غير الله تستعين
تبقى على الباطن حسن ما علن	ما أقبح القبيح في زيٍّ حسن
حسّن له الباطنُ فوق الظاهر	واعبده بالقلب النقي الطاهر
وتب إليه وأنِب واستغفر	وسدد الطاعة بالتفكر

١) النساء/ ٦٩.

٢) الدرة النجفية (للعلّامة بحر العلوم)، ص ١٥٦.

وقـم قيـام المائل الذليل	ما بين أيـدى الملك الجليل
واعلم إذا ما قلت ما تقول	ومن تناجى ومن المسؤول

حوارية العبد مع ربه

٢٣ـ إن سورة الفاتحة أشبه بخطاب متبادل بين العبد وربه، فالسورة وإن كانت كلها من الله تعالى، إلّا أنها مقسمة على قسمين: فمنه حديث العبد مع الرب إلى قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾، ومنه حديث العبد مع ربه من قوله تعالى: ﴿إيّاكَ نَعبُدُ﴾.

والحديث النبوي شاهد على هذا الأمر حيث روي عن النبيﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَسَمْتُ الحَمْدَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، إذا قَالَ الْعَبْدُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: بَدَأَ عَبْدِي بِاسْمِي حَقٌّ عَلَيَّ أَنْ أُتَمِّمَ لَهُ أُمُورَهُ وَأُبَارِكَ لَهُ فِي أَحْوَالِهِ، فَإذا قَالَ: الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: حَمِدَ لِي عَبْدِي وعَلِمَ أَنَّ النِّعَمَ الَّتِي لَهُ مِنْ عِنْدِي وَالْبَلَايَا الَّتِي انْدَفَعَتْ عَنْهُ بِتَطَوُّلِي،أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أُضَعِّفُ لَهُ نِعَمَ الدُّنْيَا إلى نَعِيمِ الآخرة وَأَدْفَعُ عَنْهُ بَلَايَا الآخرة كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلَايَا الدُّنْيَا، فَإذا قَالَ: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَهِدَ لِي بِأَنِّي الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أُشْهِدُكُمْ لَأوفِّرَنَّ مِنْ رَحْمَتِي حَظَّهُ وَ لَأُجْزِلَنَّ مِنْ عَطَائِي نَصِيبَهُ، فَإذا قَالَ: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: أُشْهِدُكُمْ كَمَا اعْتَرَفَ بِأَنِّي أَنَا المَالِكُ لِيَوْمِ الدِّينِ لَأُسَهِّلَنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ حِسَابَهُ وَلَاتَقَبَّلَنَّ حَسَنَاتِهِ وَلَا تَجَاوزَنَّ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، فَإذا قَالَ الْعَبْدُ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي إِيَّايَ يَعْبُدُ لَأثِيبَنَّهُ عَنْ عِبادَتِهِ ثَوَاباً يَغْبطُهُ كُلُّ مَنْ خَالَفَهُ فِي عِبادَتِهِ لِي، فَإذا قَالَ: وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: بِيَ اسْتَعَانَ وَ إِلَيَّ الْتَجَأَ، أُشْهِدُكُمْ لَأُعِينَنَّهُ عَلَى أَمْرِهِ وَلَأُغِيثَنَّهُ فِي شَدَائِدِهِ وَ لَآخُذَنَّ بِيَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ نَوَائِبِهِ، وَ إذا قَالَ: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ إلى آخِرِهَا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا**

سَأَلَ، قَدِ اسْتَجَبْتُ لِعَبْدِي وَأَعْطَيْتُهُ مَا أَمَّلَ وَآمَنْتُهُ مِمَّا مِنْهُ وَجِل»[1].

معنى ثلث القرآن

٢٤ـ إن سورة التوحيد هي ثُلثُ القرآن الكريم كما روي عن النبيﷺ وكما روي عن الإمام الصادقعليه السلام حيث قال: «**مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ مَرَّةً وَاحِدَةً فَكَأَنما قَرَأَ ثُلُثَ القرآن، وَ ثُلُثَ التَّوْرَاةِ، وَثُلُثَ الْإِنْجِيلِ وَثُلُثَ الزَّبُورِ**»[2].

والثلث هنا فُسر بمعنيين:

ـ من حيث أجر التلاوة: ويؤيده ما روي عن النبيﷺ حيث قال: «**فَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّةً، قَرَأَ ثُلُثَ القرآن وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ فَقَدْ قَرَأَ ثُلُثَي القرآن، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثاً فَقَدْ خَتَمَ القرآن**»[3].

ـ من حيث المعنى: حيث إن أصول الدين متمثلة بهذه الأصول: التوحيد، والنبوة، والمعاد ـ والعدل من توابع التوحيد كما أن الإمامة من توابع النبوة ـ وبما أن هذه السورة تتناول التوحيد، فبهذا المعنى تُعدّ ثلث القرآن الكريم، وما المانع أن تكون هذه الثلثية بلحاظ المعنيين معا؟!.

تعريف مقام الربوبية

٢٥ـ إن سورة التوحيد على قصرها، فيها من الأسرار ما لا يفهمها عامة الخلق؛ لأنها في مقام تعريف مقام الربوبية، وهو ليس بالأمر الهين؛ لأن الضمير الذي افتتحت به السورة، إشارة إلى الذات في مرتبة

---

١) بحارالأنوار، ج٨٢، ص٥٩.

٢) التوحيد (للصدوق)، ص٩٥.

٣) الأمالي (للصدوق)، ص٣٤.

غيب الغيوب، في مقابل لفظ الجلالة الذي هو اسم للذات من حيث الجامعية لجميع الصفات الكمالية. وقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ؛ فأنزَلَ اللهُ تعالى «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» وَ الْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الحَدِيدِ إلى قَوْلِهِ: «وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ**»[1].

وهذه السورة أيضا تُعد من القلاقل الأربع، التي قد يقال في حقها: إن الرسول كأنّه خوطب بها زائدا عن باقي الآيات التي خوطب بها النبي صلى الله عليه وآله حيث صار الأمر بـ «قل» تأكيدا للالتفات إلى مضامين هذه السور التي تستحق أن يتوجه بها المولى إلى رسوله أولا، وإلا فالأمر بفعل «قل» مقدر في كل آية وسورة، كما يمكن القول إن هذا الأمر يفيد دعوة النبي صلى الله عليه وآله إلى أن يقولها موضحا لمضامينها وأسرارها، فمن أُمر بقول شيء يؤمر أيضا بتوضيحه.

إثبات الأحدية لا الواحدية

٢٦- إن الذي يتم الإقرار به في هذه السورة هو ذكر الأحدية لا الواحدية؛ لأن نفي الواحدية لا ينافي إثبات الاثنينية، فعندما يقول أحدهم: «ليس في الدار أحد»، أي ليس في الدار أي موجود، بخلاف ما لو قال: «ليس في الدار واحد»، فهنا من الممكن أن يكون في الدار اثنان؛ فـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّه أَحَدٌ﴾ هو الوافي بذكر الحقيقة التي من أجلها سيقت هذه السورة.

مواضع الإكثار

٢٧- من أفضل الأماكن للإكثار من تلاوة هذه السورة المباركة هي

---

١) الكافي، ج١، ص٢٣٠.

حالة الطواف؛ لأن الطواف حركة توحيدية، فيلهج العبد بها من أول الإحرام في مسجد الشجرة إلى أن ينتهي من أعمال العمرة أو الحج، وأما من حيث الوقت ففي شهر رمضان المبارك؛ لأن كل آية فيها بختمة، ومن قرأ التوحيد ثلاثاً فكأنما ختمَ القرآن.. ولك أن تتصور الأعداد الهائلة من الأجر العظيم بهذه التلاوة القصيرة!.

معنى الصمد

٢٨- إن إثبات الصمدية في قوله تعالى: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ مع نفي الجزئية في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وجهان لحقيقة واحدة، فإن الجزئية لازمة للافتقار، من جهة حاجة كل جزء إلى ما يكمله، والحال أن الصمدية تفيد أن المصمود إليه هو المرجع في قضاء الحوائج، فلا يفتقر إلى غيره أبدا.

وهناك معنى آخر دقيق للصمد وهو المصمت الذي لا جوف له، وجوهر هذا المعنى أنه وجود واحد لا ينقسم إلى باطن وظاهر، فما له جوف يقبل هذا التقسيم، وقد تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

الإجمال في الإشارة

٢٩- إن أمير المؤمنين عليه السلام هو أعلم الخلق بحقائق القرآن بعد النبي صلى الله عليه وآله. فعندما قرا التوحيد قال: «**يَا هُوَ يَا مَنْ لَا هُوَ إِلَّا هُوَ، اغْفِرْ لِي وَ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين**»[1].. فأشار إلى كل المقامات الربوبية بشكل مجمل من دون تفصيل، وهو أبلغ في الوصف والخطاب؛ لأن الإشارة إلى الجهة، فيها إشارة إلى كل جهات الجمال والكمال في تلك الجهة، وكأنّ المتكلم متحير في اختيار اللفظ المناسب للإشارة إلى كل تلك الجهات،

---

١) التوحيد (للصدوق)، ص٨٩.

فاكتفى بالضمير المشير، وهذا متعارف في حياتنا، فعندما يرى الإنسان منظرا مذهلا أو شخصا لافتا، فإنه لا يسميه لذهوله فيكتفي بالإشارة إليه!.

وأما النبي الأكرمﷺ فقد أشار إلى هذه السورة بقوله: «**لِكُلِّ شَيءٍ نِسبَةٌ، وَنِسبَةُ الرَّبِّ سُورَةُ الإِخلَاصِ**»[1].. أو من العجب بعد ذلك أن تقضى حوائج العبد، بعد أن مدح ربه بهذه المقامات بوعي وتفهم؟!.

عظمة التسبيحات الأربعة

٣٠- إن المصلي مخير في الركعتين الأخيرتين بين التسبيحات الأربع وبين سورة الحمد، مما يدل على عظمة هذه التسبيحات التي تشكل أركان العرش، فقد سُئل الإمام الصادقعليه السلام: «**لِمَ سُمِّيَتِ الْكَعْبَةُ كَعْبَةَ؟ قَالَ: لِأَنَّهَا مُرَبَّعَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: وَ لِمَ صَارَتْ مُرَبَّعَةً؟ قَالَ: لِأَنَّهَا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَهُوَ مُرَبَّعٌ، فَقِيلَ لَهُ: وَلِمَ صَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مُرَبَّعاً، قَالَ: لِأَنَّهُ بِحِذَاءِ الْعَرْشِ وَهُوَ مُرَبَّعٌ، فَقِيلَ لَهُ: وَلِمَ صَارَ الْعَرْشُ مُرَبَّعاً، قَالَ: لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ أَرْبَعُ، وَهِيَ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ**»[2].

الجمع بين التسبيح والمناجاة

٣١- من الممكن الجمع بين تنزيه الله تعالى المتكرر في هذه التسبيحات و ما يُذكر أيضا في الركوع والسجود، وبين حالة الرقة المناجاتية، وذلك بتصور التعدي البشري المثير للتأسف، حيث نُسب إلى ذات الربوبية ما يوجب تصدع الكون وخرّ الجبال، حيث يقول تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ

---

١) مجمع البيان، ج١٠، ص٨٥٤.

٢) علل الشرائع، ج٢، ص٣٩٨.

يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً ﴾[١].

فالعبد المحب لربه، يعيش حالة التألم لعدم توقير الآخرين لمحبوبه كما يليق بجلال وجهه وعز جلاله، فمثَله في ذلك كمثل من له محبوب تطاول أحدهم عليه، فنسب إليه ما هو بريء منه، فعندما يحضر المحكمة للإدلاء بشهادته، فإنه يعيش حالة من الانكسار والتألم الباطني؛ لأنه مضطر لأن يبرّء ساحة من لا يمكن أن يتصور في حقه تلك التهمة!.

ولك أن تتصور نظرة الرب المتعال لهذا العبد المسبّح، وهو يعيش هذه الحالة الروحية العالية عند تنزيه ربه، وكأنه مستحٍ من صدور هذا الكلام من بني جنسه!.

التنزيه يوجب الخجل

٣٢- إن من الحالات المناسبة للمنزّه أيضا في صلاته، أن يعيش حالة الخجل في نفسه، فصلاته هذه لا تليق بمن يصلي بين يديه، فكأنّه يقول: يا رب!.. إنك منزه من أن أعبدك بهكذا عبادة خاوية، وبما فيه من الإدبار والتقصير، فإن يعود إلى ظلمي لنفسي، فشابه بذلك التسبيح اليونسي أيضا، وتناسبه أيضا مضامين التعقيب حيث يقول المصلي: «**إِلهي إِن كَانَ فِيهَا خَلَلٌ أَو نَقصٌ مِن رُكُوعِهَا أَو سُجُودِهَا، فَلَا تُؤَاخِذنِي بِهِ**»[٢].

مناسبة التسبيح والتكبير

٣٣-إن المصلي بعد أن يسبح ويحمد ويهلل في التسبيحات الأربع، فإنه يختم ذلك كله بالتكبير، فكأنه في مقام البيان - بعد هذا الثناء

---

١) مريم/ ٩١-٩٠.

٢) مفاتيح الجنان، باب تعقيبات الصلوة.

الذي أمر به ـ يبقي عاجزا عن التعبير كما يليق بعز جلاله، فيقول: «الله أكبر» والذي فيه بيان للعجز عن الوصف وهو أبلغ الوصف.

وهنا ينبغي التأكيد على أن الأنسب لزي العبودية، هو أن يأتي المصلي بأحوط الأقوال قدر إمكانه، فإن في الاتيان بالأكثر امتثالا للأقل وزيادة، ومنها تكرار التسبيحات الأربع ثلاث مرات في الركعتين الأخيرتين، فما المانع أن يكررها ثلاثا وإن جازت الواحدة فقهيا، وذلك لئلا يفوته الخير الكثير الذي لا يعوّض؟!.. وهو ما روي عن الصادق عليه السلام و هو يعظ أهله ونساءه: «**لَا تَقُلْنَ فِي رُكُوعِكُنَ وَسُجُودِكُنَّ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِ تَسْبِيحَاتٍ، فَإِنَّكُنَّ إِنْ فَعَلْتُنَّ لَمْ يَكُنْ أَحْسَنَ عَمَلًا مِنْكُنَّ**»[1].

الانشغال باللفظ بدل المعنى

٣٤ ـ إن من مداخل الشيطان ـ وخاصة لمن يريد إتقان ظاهر صلاته ـ هو الانشغال بمخارج الحروف زيادة عن المتعارف، بحيث يوقعه في الوسوسة المهلكة، فيستغرق في عالم الألفاظ، تاركا المعاني. ومن المعلوم أن التأمل في الثاني يوجب له الإقبال، بينما الانشغال بالأول يوجب له الإدبار، ومن ثم التبرم من صلاته.

وللشهيد الثاني قدس سره بيان نافع في هذا المقام حيث يقول[2]:

«فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قرائتك فهو وسواس، فإن حركة اللسان غير مقصودة، بل المقصود معانيها كما مر، والناس في القراءة على ثلاثة أقسام:

فمنهم من يحرك لسانه بها ولا يتدبر قلبه لها، وهذا من الخاسرين الداخلين في توبيخ الله سبحانه وتهديده بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

---

١) بحارالأنوار، ج٨٢، ص١٢٠.

٢) أسرار الصلاة (للشهيد الثاني)، ١٢٦.

الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1] ودعا نبيه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «وَيلٌ لِمَن لاكَهَا بَيَن لحييه، ثُمَّ لا يَتَدَبَّرُهَا»[2].

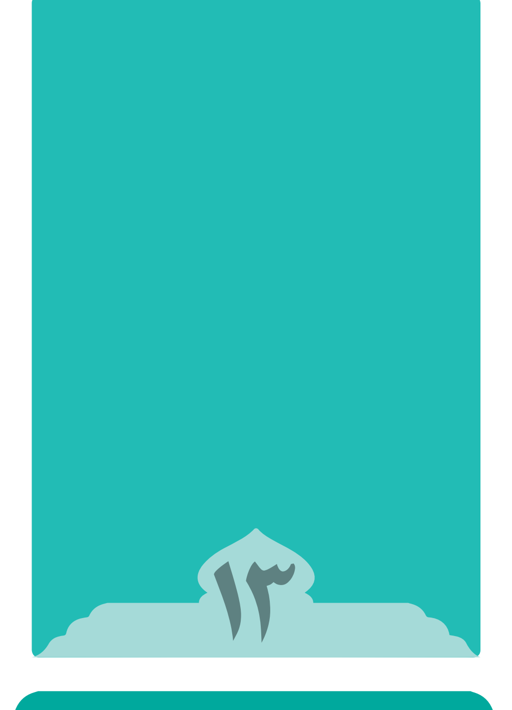
ومنهم من يتحرك لسانه، وقلبه يتبع اللسان، فيسمع ويفهم منه كأنه يسمعه من غيره، وهذا درجة أصحاب اليمين.

ومنهم من يسبق قلبه إلى المعاني أولا، ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه، وهذه درجة المقربين، وفرق جلى بين أن يكون اللسان ترجمان القلب كما في هذه الدرجة، وبين أن يكون معلمه كما في الدرجة الثانية، فالمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب، ولا يتبعه القلب».

---

١) محمد/ ٢٤.

٢) مجمع البحرين، ج٥، ص٢٨٧.



الآداب الباطنية للركوع

التكبير المنبه

١ـ إن المصلي بعد قراءة الحمد والسورة، يهوي إلى الركوع بين يدي الله تعالى، إلا أنه قبل الركوع وبعده يقول:«الله أكبر»، فهذه التكبيرة المتخللة للصلاة، كأنها جرس إنذار وتنبيه لإعادة المصلي إلى رشده، فيذكره في أوقات متقاربة في الصلاة، أن الله أكبر من أن يوصف!.. ومعنى ذلك أن لحن الخطاب وهيئة المصلي، لابد وأن يكون متناسبا مع هذا الشعار الإلهي، المتخلل لكل أجزاء الصلاة.

ومن هنا فإنه من غير اللائق أن يعبث المصلي بلحيته أو برأسه، أو يقوم بما ينافي وقار المصلي، وهو يقول:«الله أكبر».

موقع أهل البيت في الصلاة

٢ـ إن أول محطة لذكر الصلاة على النبي وآله عليهم السلام هي محطة الركوع، فالأمر وإن كان مستحبا إلا أن قلب المصلي المحب لأوليائه، لا يطاوعه أن يهمل هذا الدعاء المبارك.

و نرى من المناسب هنا أن نشير إلى حقيقة ملفتة في البين، وهى إن الصلاة وكأنّها سيقت من أجل التركيز على هذا الذكر المبارك، فالمصلى طول صلاته ليس له من الطلب الواجب، إلا ما جاء في سورة الحمد

والمتمثل بطلب الهداية من الله تعالى بقوله: ﴿إياك نعبد وأياك نستعين﴾ وبعد هذا الطلب الواجب، له طلب مستحب واحد وهو الذي يبتدئ بقول: «اللهم» والمنحصر بطلب الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام وهو الذكر الذي يكرره المصلي في ركوعه ثم يكررها في سجدتيه، ثم يعيدها في القنوت مرتين قبل دعائه لنفسه وبعده، وهى المحطة المناجاتية الرسمية في الصلاة، ثم يكررها في التشهد، معلنا إقراره بعبودية النبي صلى الله عليه وآله ثم برسالته، ثم يطلب من ربه مباركته عليهم، وأخيرا يختمها بالسلام عليه بصيغ مختلفة، حيث إنه داخل أيضا في زمرة العباد الصالحين، فيبلغ المجموع اثنا عشرة مرة من الصلاة على النبي وآله عليهم السلام وذلك في ركعتين، فكيف إذا أضيف إليها مجموع الركعات الواجبة في اليوم والليلة، ثم الركعات المستحبة فيها؟!.

فتبين من مجموع ذلك: أن التوجه إلى النبي وآله عليهم السلام هو المحور المتكرر في أجزاء الصلاة، وهو الطلب الوحيد المتكرر، بعد كل وجبة من الثناء والتمجيد للحق المتعال.

معنى الأمر بالنحر

٣- ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ﴾[1] إن المراد بالنحر هنا، هو رفع اليدين في تكبير الصلاة إلى النحر، وهي منطقة يبدو لها دلالاتها وأسرارها حيث يقول تعالى: ﴿فَلَوْ لاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾[2]، فثبت أن آخر عهد الروح بالبدن هي منطقة النحر والحلقوم، حيث إن التعبير ببلوغ النفس للحلقوم، كناية عن الإشراف التام على الموت.

---

١) الكوثر/ ٢.

٢) الواقعة/ ٨٣.

ملكوت الركوع

٤ـ إن الإمام الصادق عليه السلام يصف الركوع قائلا: « **لَا يَرْكَعُ عَبْدٌ لله رُكُوعاً عَلَى الحَقِيقَةِ، إِلَّا زَيَّنَهُ اللهُ بِنُورِ بَهَائِهِ، وَأَظَلَّهُ فِي ظِلَالِ كِبْرِيَائِهِ، وَ كَسَاهُ كِسْوَةَ أَصْفِيَائِهِ، وَالرُّكُوعُ أَوَّل وَ السُّجُودُ ثاني [ثَانٍ] فَمَنْ أَتَى بِمَعْنَى الْأَوَّلِ صَلُحَ لِلثَّانِي، وَفِي الرُّكُوعِ أَدَبٌ، وَ فِي السُّجُودِ قُرْبٌ، وَمَنْ لَا يُحْسِنُ الْأَدَبَ لَا يَصْلُحُ لِلْقُرْب**»[1]، ونحن طالما صلينا وركعنا في المواطن المقدسة: خلف الحطيم، وخلفَ المقام، وتحت الميزاب، وعند الحائر، ولكن الركوع لم يكن على نحو الحقيقة التي يريدها الإمام الصادق عليه السلام؛ لأن الذي يعيش نور البهاء الإلهي، فإن ركوعه يكون ارتباطا بالنور المطلق، بكل ما فيه من صور الجلال والهيبة.

وعليه فإن الإمام الصادق عليه السلام يشير إلى هذه الحقيقة: وهي إن الركوع بما أنه مقدمة للدخول إلى عالم القرب السجودي، فصار الأمر شبيها بلقاء ملوك الدنيا، حيث التدرج في مراحل اللقاء مع فارق التشبيه طبعا!.

ويستدل الإمام عليه السلام على ذلك بتقدم الركوع على السجود، فكانه صار ممهدا للآخر، ثم يضيف قائلا بأن الركوع فيه رائحة الأدب، والسجود فيه رائحة القرب، والعبد إذا بالغ في الأدب، صار أقرب إلى دائرة القرب المميز.

ومن مجموع ما ذكر من هذه المعاني، نعلم أن أفضل حالة للوصول إلى القرب الإلهي ـ أعني السجود ـ يتوقف على إتقان الركوع، بآدابها الظاهرية والمعنوية.

---

١) بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٨.

استشعار الذل في الركوع

٥ـ قد يتفق أن يتخذ الإنسان هيئة الراكع عندما يريد القيام بحركة رياضية، أو يريد أن يأخذ شيئا من الأرض.. ومن المعلوم أنه لا يعيش في الحالتين أي معنى شعوري ما وراء حركة البدن، ولكن في الركوع الصلاتي، فإن العبد يستشعر معنى التذلل بين يدي الله تعالى، مقارنة لهذه الحركة البدنية.

ولهذا فلو أراد السجان أن يذل سجيناً، فإنه يأخذ برأسه ويجعله ينحني إلى درجة الركوع، فهذه درجة من درجات الإذلال، ولكن إن أراد أن يزيده ذلًا ووهنا، فإنه يجبره على أن يطأطأ برأسه إلى الأرض شبه ساجد، وهذا منتهى الإذلال والتحقير.

ولكن كم من المؤسف أن يتحول الركوع الصلاتي مع التكرار، إلى ما يشبه الركوع البدني المحض الذي ليس فيه أي معنى شعوري!.

معنى التسبيح

٦ـ إن قوام ذكر الركوع هو التسبيح ـ سواء الكبرى منها أو الصغرى ـ وهو ما ضمّنه يونس عليه السلام في مناجاته مع ربه في بطن الحوت، وهذا التسبيح أي التنزيه له وجهان:

ـ فتارة يراد به تنزيه الذات الإلهية من كل صفات النقص والعيب، وكذا من كل دعاوى المبطلين طوال التاريخ، كالنصارى حيث جعلوا لله ولدا، وكاليهود الذين جعلوا يد الله مغلولة، وكعبدة الأوثان حيث جعلوا لله تعالى شركاء في العبادة.

ـ وتارة يراد التنزيه بلحاظ فعل العبد، عندما يبتليه مولاه ببلية بعد ظلمه لنفسه، فينزّه ربه عن الظلم، وينسب التقصير إلى نفسه، لئلا يتوهم من ظلم نفسه أن لله تعالى سهما في ظلمه، وهو ما ناجى به

نبي الله يونس عليه السلام ربه، عندما جعل البلاء الذي وقع فيه منسوبا إلى نفسه، حيث قال: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] بعد أن نزه ربه قائلا: ﴿سُبْحانَكَ﴾.

ركنية القيام بعد الركوع

٧ـ إن المصلي بعد أن يتم ركوعه يقف وقوفا ركنيا، مما يدل على أهمية هذه المحطة الصلاتية رغم خلوها من ذكر واجب، إلا أن الذكر المستحب الوارد حاله يوجب التوقف عنده مليّا، فقد جاء أولا بالفعل الماضي للدلالة على تحقق المسموع، ثم عدّاها ثانيا بحرف اللام، رغم أن الفعل يتعدى بنفسه ليتضمن معنى الاستجابة، ثم عمم المستجاب لهم لينطبق على كل حامد على وجه الأرض ثالثا.

وهكذا يدعو كل مصلٍ لكل حامد غيره من جهة، ومن جهة أخرى فإن كل الحامدين من المصلين يدعون له أيضا، فتأمل في هذه الشبكة المتشعبة التي يدعو كل فرد فيها لغيره ـ ما دام حامدا ـ وذلك في جميع الفرائض و في آن واحد.

بقي هنا سؤال وهو: كيف استجاب الله تعالى لمن حمده، والحال أن معظم الحوائج لا تستجاب كما هو معلوم بالوجدان؟!. والجواب هو: إن الاستجابة الموعودة ـ في كل مثل هذه الموارد ـ أعم من العاجل أو الآجل، وذلك في دار الدنيا، أو في الدار الآخرة.

وهنا نشير إلى رواية دقيقة في هذا المجال، تدل على أن عدم الاستجابة للعبد إنما هو من باب الشوق الإلهي لاستماع صوته، وهو ما ورد عن الصادق عليه السلام: «**إِنَّ العَبدَ لَيَدعُو، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلمَلَكَينِ: قَدِ استَجَبتُ لَهُ وَ لكِن اِحبِسُوه بِحَاجَتِهِ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَن أَسمَعَ صَوتَهُ، وَ إِنَّ العَبدَ**

١) الأنبياء/ ٨٧.

لَيَدعُو فَيَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وَ تَعَالَى: عَجِّلُوا لَهُ حَاجَتَهُ، فَإِنِّي أَبغَضُ صَوتَهُ»[١]، ومن المعلوم أن تصور مضمون مثل هذه الروايات يورث الاستحياء من رب العالمين، من جهة لطفه وشفقته بعباده المؤمنين وهو الغني عنهم.

تضيق دائرة الرؤية

٨ـ إن المصلي في ركوعه وسجوده، تتضيق عنده دائرة الرؤية البصرية فلا يرى شيئا أمامه، بخلاف حالة القيام.. وعليه فإن هذا الحجْب القهري عن المرئيات المُشغلة، قد يعينه أيضا على شيء من التركيز في صلاته، فينظر إلى ما بين قدميه ركوعا، وإلى طرف أنفه سجودا، أضف إلى أن طأطأة الرأس المختصة به تعالى في حال الصلاة، لمن مورّثات التذلل، واستشعار الحقارة بين يدي المولى فيما لو تعقلها العبد، غير متأثر بالعادة السالبة للتوجه إلى المعاني، ويأتي في هذا السياق ما ذكر من المكروهات: كالصلاة حال مدافعة الأخبثين، ولبس الخف أو الجورب الضيق الذي يضغطه، وقد ذكر الفقهاء كلمة جامعه في هذا المجال ـ كما في العروة الوثقى ـ وهو تحاشي كل ما يسلب الخشوع في الصلاة[٢].

التحميد بعد الركوع

٩ـ من المناسب أن يقول العبد بعد قوله: «سمع الله لمن حمده»: «الحمد لله رب العالمين». فالمصلي ـ وإن كان حامدا في مجمل صلاته بل قبلها ـ إلا أن المسارعة إلى قولها، تناسب ما قاله آنفا من أن الله تعالى مستجيب لمن حمده، فكأنّه يقول بلسان الحال: ها أنا ذا يا رب

---

١) الوافي، ج٩، ص١٥٢٣.

٢) يذكر السيد اليزدي:... الخامس و العشرون من المكروهات: كل ما ينافي الخشوع المطلوب في الصلاة. العروة الوثقى، ج١، ص ٧٢٢.

حامد لك، فاستجب لي وأنا لا زلت في موقفي بين الركوع والسجود، كما أنه من المناسب أن يردف ذلك بقوله: «**أَهْلِ الْكِبْرِيَاءِ وَ الْعَظَمَةِ وَالْجُودِ وَالْجَبَرُوت**»[1] إكمالا للحمد والثناء.

رمزية الركوع

١٠- إن الجهة الرمزية لا تفارق الصلاة من أولها إلى آخرها، كما هو الأمر كذلك في الحج وغيره من العبادات، ولغة الرمزية هذه لا يعلمها إلا أهلها، ممن له ذوق استشعار المحبة والفناء فيمن يحب، وأئمة أهل البيت عليهم السلام هم الذين استوعبوا رموز العبادات حق استيعابها، فكما أنه يعرف القرآن من خوطب به، كذلك يعرف حقيقة الصلاة من يواجه بها ربه على كمال المعرفة، وفي هذا السياق سُئل علي عليه السلام عن معنى مد العنق في الركوع، فقال عليه السلام: «**تأويله، آمَنْتُ بِكَ وَلَوْ ضُرِبَتْ عُنُقِي!**.»[2].

عطف الحمد على التسبيح

١١- إن عطف الحمد على التسبيح مسبوقا بالباء الجارة، فيها جهات من المعاني، إذ يمكن القول بأن:

- الباء هنا بمعنى المعية، أي أسبح ربي مع حمده.

- الباء بمعنى الاستعانة، أي أسبح ربي مستعينا بالحمد، وكأنه يشكر ربه حامدا إياه حيث أعانه على التسبيح.

- الباء بمعنى التلبس، أي أنزه ربي وأنا متلبس بالحمد من كل نقص، فإن ذكر كل صفة للكمال الإلهي، يوازيه تنزيه له عما يضاد تلك الصفة، فوصفه بالعلم المطلق تنزيه له عن الجهل أيضا.

---

١) بحار الانوار، ج٨٢، ص١١٠.

٢) بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٥٤.

العمل بآية التسبيح

١٢ـ ورد الأمر في القرآن الكريم بتسبيح الله تعالى في موارد متعددة، ومن هنا فإن تسبيحة الركوع والسجود يعد امتثالا لهذا الأمر الإلهي الوارد في كتابه، إضافة إلى كونه ذكرا صلاتيا واجبا، وقد فصلت الرواية في المقام، فجعلت التسبيح في الركوع، امتثالا لآية تغاير ما في السجود، فقد روي لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم، قال النبي صلى الله عليه وآله: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ، وَلَمَّا نَزَلَتْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ** صلى الله عليه وآله: **اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**»[١].

حقيقة القرآن

١٣ـ إن القرآن الذي نتلوه في الصلاة أو خارجها، له درجات من التحقق، فمنها: الوجود اللفظي، وهو ما يجرى على ألسنتنا عند التلاوة المجردة، ومنها: الوجود الكتبي، وهو ما نراه مكتوبا في المصحف، ومنها: الوجود الذهني، وهو ما نتصوره من معانيه.. ولكن من الممكن أن نقول بأن هناك تمثلا آخر للقرآن يتمثّل في عالم السر الذي تنزل منه القرآن، ويمكنه تسميته باللوح المحفوظ، أو الكتاب المكنون، أو أم الكتاب.

ويمكن تأييد ذلك من خلال أمور:

ـ إن القرآن الذي تنزل في ليلة القدر، ليس هو القرآن الملفوظ ولا المكتوب ولا المعلوم ذهنا، بل إنها حقيقة لامست قلب النبي صلى الله عليه وآله فانتقل ما في العرش من خلال أمين الوحي، إلى ذلك القلب الشريف دفعة واحدة.

ـ إن الله تعالى بعد أن جعل القرآن الكريم كتابا عربيا، عبّر عنه واصفا إياه بأنه: في أم الكتاب، وفي مقام اللدنية، وموصوف بالعلي

---

١) علل الشرايع، ج٢، ص٣٣٣.

الحكيم.. وعليه فإن هذا القرآن يغاير ذلك الوعاء الذي جعل فيه، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1].

- ما دل من الرواية على أن بعض الآيات تعلّقت بالعرش، ومنها الفاتحة وآية الكرسي، وأمثالها من الروايات التي تثبت روحا لآيات القرآن الكريم، و منها ما دل على شكوى القرآن على من هجره.

- ما دل على وجود الاسم الأعظم، الذي به يتحقق التأثير الخارق في الكائنات، فلو كان الأمر في قالب الأسماء الظاهرية لأمكن ذلك لكل المخلوقين، حيث إن التلفظ بالاسم الظاهر متحقق عند كل بسملة، كما يقول عنه الإمام الباقر عليه السلام: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أَقْرَبُ إِلَى اسْمِ اللهِ الْأَعْظَمِ، مِنْ سَوَادِ الْعَيْنِ إِلَى بَيَاضِهَا**»[2].

ومن مجموع ما ذكر، يُعلم أن للقرآن الكريم حقيقة وراء ما نلمسه ونقرأه، ولا يمس ملكوته إلا القلوب الطاهرة التي وصفها الإمام الصادق عليه السلام حينما سُئل عن القلب السليم، فقال: «**الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَلْقى رَبَّهُ وَ لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ سِوَاه**»[3].

وهذا المعنى بعينه يجرى في الصلاة أيضا، فمن مجموع الروايات يُعلم أن هناك وجودا آخر للصلاة سوى الأفعال والأذكار، وهو الذي يُشار إليه في سورة الجمعة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾[4]، وفي سورة المنافقون: ﴿لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[5]

---

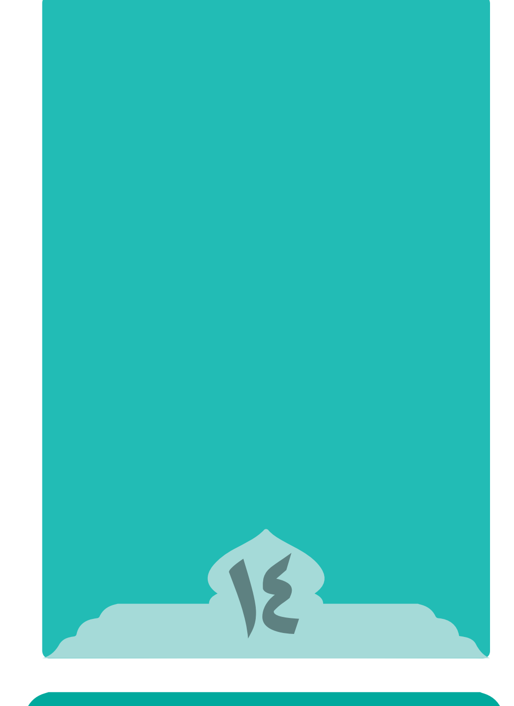
١) الزخرف/ ٤_٣.

٢) تحف العقول، ص٤٨٧.

٣) الكافي، ج٣، ص٤٦.

٤) الجمعه/ ٩.

٥) المنافقون/ ٩.



الآداب الباطنيّة للسجود

أدب السجود

١ـ إن السجود من أهم الحركات الصلاتية؛ لأن مجموع الأركان والواجبات من: التكبير، والحمد، والسورة، والركوع، والقيام، وكأنها مقدمات ليصل الإنسان إلى رتبة القرب هذه، كما قال الإمام الصادقعليه السلام : «**فِي الرُّكُوعِ أَدَبٌ، وَ فِي السُّجُودِ قُرْب**»[١].

ومن المعلوم أن المصلى لا يمكنه إتقان هذه الحركة السجودية إلا من خلال إتقان ما قبلها من الحركات، بدءا من التكبير بل ما قبله من مقدمات الصلاة؛ لأن الإخلال بالمراحل السابقة، يُعد نوع سوء أدب يوجب الحرمان من القرب السجودي؛ لأن المصلي بتكبيرة الإحرام يدخل حرم الأمن الإلهي، فلا بد من أن يكون متخلقا بآداب الدخول وشروطه من أوله.

أنواع السجود

٢ـ هناك أنواع من السجود فمنها:

ـ السجود التكويني للكائنات: بمعنى خضوعها لله تعالى في سيرها التكويني، حيث أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، مصداقا لقوله تعالى:

---

١) مصباح الشريعة، ص٨٩.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾[1]، واللافت هنا أن هذا الكون كله يسبح، والحال أن الغافلين من البشر يعصون الله تعالى ما أمرهم به، وهذه الرواية بليغة في توبيخ هذه الفئة، حيث يقول الصادق عليه السلام: «أَمَا يَسْتَحْيِي أَحَدُكُمْ أَنْ يُغَنِّيَ عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ، وَهِيَ تُسَبِّحُ»[2]. وهي مؤيدة بما ورد في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[3] أو لا تدعونا هذه الآية، أن نتعلم صلاتنا وتسبيحنا اللائقين بنا، زيادة عن عبادة البهائم المسبحة؟!.

- وهناك السجود البدني للعبد: والمتمثل في وضع المواطن السبعة على الأرض من الجبهة، والكفين، والركبتين، والإبهامين، وهو ما يعبر عنه علي عليه السلام بقوله: «السُّجُودُ الْجِسْمَانِيُّ هو وَضْعُ عَتَائِقِ الْوُجُوهِ عَلَى التُّرَابِ، وَاسْتِقْبَالُ الْأَرْضِ بِالرَّاحَتَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، مَعَ خُشُوعِ الْقَلْبِ وَإِخْلَاصِ النِيّةِ»[4].

- السجود الباطني: وهي حالة نفسانية متركبة من: التهيب، والتذلل، والمحبة، والاستغراق في النظر إلى جهة الجلال والكمال الإلهي، وهو ما يعبر عنه علي عليه السلام: «السُّجُودُ النَّفْسَانِيُّ فَرَاغُ الْقَلْبِ مِنَ الْفانيَاتِ، وَالْإقبال بِكُنْهِ الْهِمَّةِ عَلَى الْبَاقِيَاتِ، وَخَلْعُ الْكِبْرِ وَالحَمِيَّةِ وَقَطْعُ الْبَاقِيَاتِ، وَخَلْعُ الْكِبْرِ وَالحَمِيَّةِ، وَقَطْعُ الْعَلَائِقِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالتَّحَلِّي بِالخَلَائِقِ النَّبَوِيَّةِ»[5].

ومن الواضح أن من وصل إلى هذه المرحلة من الأنس بالحق المتعال، فإنه يتخذ السجود فرصة من أجل سياحة، تدرك ولا توصف نحو عالم الغيب.

---

١) الرعد/ ١٥.

٢) هداية الامة، ج٥، ص١٠٢.

٣) النور/ ٤١.

٤) غرر الحكم و درر الكلم، ص١٢٨.

٥) عيون الحكم و المواعظ، ص٦٦.

ومن هنا فإن أهله يطيلون في هذه الحركة البدنية، بما لا يوجب لهم كللا ولا مللا، والحال أن أبدانهم ـ خارج هذه السجدة ـ لا تعينهم على ما يريدون.

تحقيق الحوائج

٣ـ قد يضطر العبد في حركته الدنيوية والأخروية، إلى بعض الأمور التي تغير مسيرة حياته لو استجيبت له، ومن هنا يغتنم السجود لتقديم حوائجه بين يدي الله تعالى.

ومن الطرق المأثورة للاستجابة هي ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: **«إذا قَامَ الْعَبْدُ نِصْفَ اللَّيْلِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَصَلَّى لَهُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَةَ الشُّكْرِ بَعْدَ فَرَاغِهِ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ مَا شَاءَ اللهُ مِائَةَ مَرَّةٍ، نَادَاهُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ فَوْقِهِ: عَبْدِي إِلَى كَمْ تَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ مَا شَاءَ اللهُ، أَنَا رَبُّكَ وَإِلَيَّ الْمَشِيَّةُ وَقَدْ شِئْتُ قَضَاءَ حَاجَتِكَ فَسَلْنِي مَا شِئْتَ».**(١)

ولا بد لحصول التأثير في مثل هذه الرواية وأمثالها، هو العمل بحذافير ما ورد فيها، ومن أهمها أن يكون مفوّضا أمره إلى الله تعالى عندما يقول: «ما شاء الله» وهو ساجد.

ربط السجود بالنعم

٤ـ إن من موجبات الأنس بالسجود، هو التعوّد على الإتيان بالسجدة، وذلك بعد تحقق كل نعمة أو تذكّرها، ومن المعلوم أن النعم الإلهية متواترة على العبد، وهي بدورها تتطلب مزيدا من سجدات الشكر، فيتحول الأمر إلى قضية اقترانية، بمعنى تحقق الربط بين النعم والسجدة، ويا له من اقتران مبارك!.

---

١) الأمالي (للصدوق)، ص٢٣٩.

وقد وردت في هذا المجال، رواية تفيد أن سجدة العبد على الأرض، توازيها تفاعلات كبرى في العرش، يتمثل في حديث الرب المتعال مع الملائكة حول هذه الحركة البشرية، والتي تُعد من أحلى صور الوجود، ففي الحديث القدسي: «إِنَ الْعَبْدَ إذا صَلّ ثُمَ سَجَدَ سَجْدَةَ الشُّكْرِ، فَتَحَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتعالى الْحِجَابَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي، انْظُرُوا إلى عَبْدِي أَدَّى فريضتى وَأَتَمَّ عَهْدِي ثُمَّ سَجَدَ لِي شُكْراً عَلَى مَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْهِ مَلَائِكَتِي مَاذَا لَهُ عِنْدِي؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا رَحْمَتُكَ، ثُمَّ يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتعالى: ثُمَّ مَاذا لَهُ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا جَنَّتُكَ، فَيَقُولُ الرَّبُّ تعالى: ثُمَّ مَاذا؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا كِفَايَةُ مُهِمِّهِ، فَيَقُولُ الرَّبُّ تعالى: ثُمَّ مَاذا؟ فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا قَالَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ اللهُ تعالى: يَا مَلَائِكَتِي ثُمَّ مَاذا؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا لَا عِلْمَ لنا، فَيَقُولُ اللهُ تعالى: لَأَشْكُرَنَّهُ كَمَا شَكَرَنِي وَأُقْبِلُ إليه بِفَضْلِي وَأُرِيهِ رَحْمَتِي»[١].

ولك أن تتخيل ما هو مدى الإكرام الإلهي وذلك عندما يريد أن يشكر عبدا من عبيده!.

النوم في السجود

٥ـ قد يتفق أن تنتاب الإنسان حالة النوم في سجوده ـ وخاصة بعد قيام ليل طويل ـ فيظن أنها ساعة ذهبت هدرا من عمره، والحال أنه كان في ضيافة الله تعالى وهو نائم لا يشعر بشيء، ومن الممكن أن يُعطى في تلك الحالة من العطاء ما لا يُعطاه في يقظته، فالأرواح تصعد إلى الله تعالى، في حال الموت والنوم معا.

فما المانع أن يُرجع رب العالمين أرواح البعض، وقد تلقّت ما تلقّت من الفيوضات الإلهية في ذلك اللقاء الذي لم يشعر به حال نومته،

---

١) وسائل الشيعة، ج٧، ص٦.

ومن هنا قد يستيقظ وهو يعيش حالة من الانتعاش الروحي، وقد روي عن الرضا عليه السلام أنه قال: «**إذا نَامَ الْعَبْدُ وَهُوَ سَاجِدٌ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى: عَبْدِي قَبَضْتُ رُوحَهُ وَهُوَ فِي طَاعَتِي**»[1].

التعفير في السجود

٦- إن الساجد يتفنن في حركته السجودية، فما المانع أن يعفر جبهته وخده وجبينه - أي طرفي الجبهة بالتراب - مبالغة في التذلل، حيث يضع أشرف بقعة في وجوده وهو الرأس، على أرخص شيء في الوجود وهو التراب الذي تطؤه الأقدام، وما من شك أن جميع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كانت لهم حالات في السجود لا يعلمها إلا الله تعالى، فعن الباقر عليه السلام: «**قَالَ: أوحَى اللهُ تعالى إلى مُوسَى عليه السلام أَ تَدْرِي لِمَ اصْطَفَيْتُكَ بِكَلَامِي مِنْ دُونِ خَلْقِي؟ قَالَ: لَا يا رَبِّ، قَالَ: لَمْ أَجِدْ أَحَداً أذلَّ نَفْساً مِنْكَ يَا مُوسَى إِنَّكَ إذا صَلَّيْتَ وَضَعْتَ خَدَّيْكَ عَلَى التُّرَابِ**»[2].

وقد أوصى الشهيد الثاني قدس سره بهذه الوصية في هذا الباب حيث ذكر[3]: «**ومكّن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب، فإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل، فإنه أجلب للخشوع، وأدل على الذل والخضوع**».

موضع السجود

٧- من الممكن أن يكون النظر إلى موضع السجود محفزا ومذكرا للعبد، ليسترجع شيئا من حالات الإقبال التي مرت عليها ثم افتقدها،

---

١) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٨١.

٢) قصص الأنبياء عليهم السلام، ص١٦١.

٣) أسرار الصلوة(للشهيد الثاني)، ١٣٧-١٣٨.

أضف إلى أن تكرر السجود على موضع واحد، يوجب قدسية لذلك الموضع، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا المجال أنه قال لرجل: **«إذا أَصَابَكَ هَمٌّ فَامْسَحْ يَدَكَ عَلَى مَوْضِعِ سُجُودِكَ، ثُمَّ امْسَحْ يَدَكَ عَلَى وَجْهِكَ مِنْ جَانِبِ خَدِّكَ الْأَيْسَرِ، وَعَلَى جَبْهَتِكَ إلى جَانِبِ خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ... الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ اللهُمَّ أذهِبْ عَنِّي الْغَمَّ وَالحَزَنَ ثَلَاثاً»**[1].

فكيف إذا كان موضع السجود هو تربة الحسين عليه السلام و التي كانت لا تفارق موضع سجود الإمام الصادق عليه السلام، **حيث كان لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام تذللاً لله واستكانة إليه.**

ترويج العبادة

٨ـ إن المؤمن من خلال سلوكه العملي يروّج لبعض موجبات القرب، التي قد يغفل عنها عامة الخلق.. وعليه فما المانع ـ بعد الأمن من الرياء والعجب ـ أن يقوم ببعض الطاعات في العلن، ليتأسى بها من يريد القرب من مولاه، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وآله يقوم بعمل ليُستن به إلى أبد الآبدين، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ فِي سَفَرٍ يَسِيرُ عَلى نَاقَةٍ لَهُ إذا نَزَلَ فَسَجَدَ خَمْسَ سَجَدَاتٍ، فَلَمَّا أَنْ رَكِبَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ شَيْئاً لَمْ تَصْنَعْهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، اسْتَقْبَلَنِي جَبْرَئِيلُ عليه السلام، فَبَشَّرَنِي بِبِشَارَاتٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ، فَسَجَدْتُ لله شُكْراً، لِكُلِّ بُشْرى سَجْدَة»**[2].

وهكذا كان حفيده زين العابدين عليه السلام في كثرة سجوده عندما يتذكر النعم الإلهية، فعن الإمام الباقر عليه السلام: **«إِنَّ أَبِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَا ذُكِرَ**

---

١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٣١.

٢) الكافي، ج٣، ص٢٥٢.

نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ إِلَّا سَجَدَ، وَلَا قَرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا سُجُودٌ إِلَّا سَجَدَ، وَلَا دَفَعَ اللهُ تعالى عَنْهُ سُوءً يَخْشَاهُ أو كَيْدَ كَائِدٍ إِلَّا سَجَدَ، وَلَا فَرَغَ مِنْ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ إِلَّا سَجَدَ، وَلَا وُفِّقَ لِإِصْلَاحِ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا سَجَدَ، وَكَانَ أَثَرُ السُّجُودِ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِ سُجُودِهِ فَسُمِّيَ السَّجَّادَ لِذَلِكَ»[1].

الاختبار بالسجود

٩- إن الله تعالى اختار خصوص حركة السجدة - حين اختبر الملائكة لطاعته بعد خلقة آدم عليه السلام - مما يدل على أن هذه الحركة تمثل قمة التذلل بين يديه، وهذا هو الذي جعل إبليس يستنكف عن طاعته، ولو كان قد أمر بالركوع، لعله كان مستجيبا لربه.

ومن هنا فإنه لو أراد العبد أن يبث شكواه ونجواه إلى الله تعالى، فإنه يختار خصوص هذه الحالة؛ لأنه أقرب ما يكون إلى ربه وهو في تلك الحالة، وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**السُّجُودُ مُنْتَهَى الْعِبَادَةِ مِنِ ابْنِ آدم**»[2].

تعميق المعرفة

١٠- إن الطريق إلى تحقيق الخشية في حال السجود وغيره، هو تعميق الجانب المعرفي؛ لأن طبيعة بني آدم قائمة على عدم التفاعل مع الغيب إذا بقي غيبا محضا، وذلك لتوغله في عالم التراب والتثاقل إلى الأرض.

وليُعلم أن الطريق إلى هذه المعرفة، تكون تارة: ظاهرية من خلال التعلم، وباطنية تارة أخرى من خلال الكشف الباطني والتجلي الإلهي لعبده، وهو الذي أشار إليه علي عليه السلام في عبارة رائعة، يتكشف من

---

١) علل الشرائع، ج١، ص٢٣٣.

٢) من لايحضره الفقيه، ج١، ص٣١٤.

خلالها الطريق لأهله حيث قال: «**قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلى بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ الإقامة، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَة**»[1].

إطالة السجود

١١ـ إن بعض الروايات تؤكد على إطالة السجود، فضلا عن أصل الإتيان به؛ لأن في هذه الإطالة البدنية، استغراقا روحيا في السير الأنفسي، وهو بدوره يوجب الأنس المضاعف بعالم الغيب، بما يذهله عن عالم المعنى.

ومن هنا نرى أن أهل السجود ـ وخاصة بعد سجدة طويلة ـ ما عادوا يستأنسون بملذات الدنيا المتعارفة عند أهلها، والرواية المنقولة عن النبيﷺ شاهدة على أن من آثار السجدة الطويلة، هو وصول العبد إلى درجة مصاحبة النبيﷺ يوم القيامة، ويا لها من جائزة عظيمة!.

فقد روى عليعليه السلام عن النبيﷺ أنه قال مخاطبا أحدهم: «**إذا أَرَدْتَ أَنْ يَحْشُرَكَ اللهُ مَعِي، فَأَطِلِ السُّجُودَ بَيْنَ يَدَي اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**»[2]، وفي رواية أخرى: عن أبي عبد اللهعليه السلام أنّه قال: «**مَرَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجُلٌ وَهُوَ يُعَالِجُ بَعْضَ حُجُرَاتِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَكْفِيكَ؟ فَقَالَ: شَأْنَكَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حَاجَتُكَ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ، فَأَطْرَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَعِنَّا بِطُولِ السُّجُود**»[3].

---

١) نهج البلاغة (صبحي صالح)، ص٣٣٧.

٢) بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٦٤.

٣) الكافي، ج٦، ص١٢.

السجدة اليونسية

١٢ـ إن من السجدات المعروفة في الخلاص من الهمّ، هي السجدة اليونسية بما فيها من الذكر الذي التزم به يونسعليه السلام عندما حبس في بطن الحوت، وقد عقّبها المولى في كتابه بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[١] حيث يفُهم منها وعد إلهي عام، لإنجاء جميع المؤمنين من الهم والغم.

وهنا لا بد أن نشير إلى حقيقة هامة وهي: إن الذكر اليونسي ـ إذا أريد أن يكون له أثره ـ لا بد أن يؤتى به في حالة يونسية، بمعنى الانقطاع إلى الله تعالى، حيث إن يونسعليه السلام كان منقطعا من كل أسباب الدنيا في تلك الظلمات الموحشة، التي لا يعلمها إلا الله تعالى، حيث ظلمة الليل وبطن الحوت وقاع البحر!.

أضف إلى اضطرابه الباطني من جهة إعراض الله تعالى عنه، إذ ذهب مغاضبا، ولا شك أن ظلمة البواطن الإنسانية، ليست بأقل من ظلمة البحار وبطون الحيتان، فتذكّرها ومعايشتها قد يوجب الانقطاع والفزع أيضا، في حالة شبيهة لما كان عليه يونسعليه السلام ولو بدرجة ما.

لزوم التعبد

١٣ـ إن البناء في كل التشريعات العبادية على التعبد المحض، بمعنى لزوم قيام العبد بوظيفته وإن لم يعرف فلسفة الحكم أو علة تشريعه، وإلا فلو عمل العبد بالأمر الإلهي، طلبا لتلك الآثار والخواص، لما عاد الأمر من باب العبودية والتقرب إلى الله تعالى في شيء.

وعليه فلا نجد في الروايات كثير إشارة إلى هذا الجانب، إلا ما يترشح منها ترشّحا، وقد يكون منها ما ورد في السجود، و اشتراط أن لا يكون

---

١) الأنبياء/ ٨٨.

ما يسجد عليه مما يؤكل أو يلبس، فعن هشام بن الحكم أنه قال لأبي عبدالله عليه السلام: «**أَخْبِرْنِي عَمَّا يَجُوزُ السُّجُودُ عَلَيْهِ وَعَمَّا لا يَجُوزُ، قَالَ: السُّجُودُ لَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى الْأَرْضِ، أو مَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ إِلَّا مَا أُكِلَ أو لُبِسَ. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ السُّجُودَ هُوَ الْخُضُوعُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى مَا يُؤْكَلُ وَيُلْبَسُ؛ لِأَنَّ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا عَبِيدُ مَا يَأْكُلُونَ وَيَلْبَسُونَ، وَالسَّاجِدُ فِي سُجُودِهِ فِي عِبَادَةِ اللهِ تعالى، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَ جَبْهَتَهُ فِي سُجُودِهِ عَلَى مَعْبُودِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، الَّذِينَ اغْتَرُّوا بِغُرُورِهَا**»[1].

ولا بد أن نشير هنا إلى أن العلماء فرّقوا بين علة الحكم وحكمته، فقد يكون ما ذكره الإمام عليه السلام إنما هو من باب الحكمة لا العلة، وإن ورد التعبير فيها بالعلة.

الاهتمام بالكيف

١٤ـ إن بناء الشريعة على الاهتمام بالكيف لا بالكمّ، وهو ما نفهمه من روايات عديدة.. فمنها ما عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ**»[2]، ومنها ما ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، يَعْلَمُ مَا يَقُولُ فِيهِمَا، انْصَرَفَ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ذَنْبٌ إِلَّا غُفِرَ لَه**»[3]، ويقرب منه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**إذا قَامَ الْعَبْدُ إلى الصَّلاَةِ، فَكَانَ هَوَاهُ وَقَلْبُهُ إلى اللهِ تعالى، انْصَرَفَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[4].

ومن هذا الباب أيضا ما دل من الرواية، على أن من أتى بسجدة واحدة ـ على حقيقتها ـ لكانت كافية للخروج من الخسران، وهو ما روي

---

١) علل الشرائع، ج٢، ص٣٤١.

٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٨.

٣) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، ص٤٤.

٤) بحارالأنوار، ج٨١، ص٢٦١.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَا خَسِرَ وَاللهِ مَنْ أَتَى بِحَقِيقَةِ السُّجُودِ وَلَوْ كَانَ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً وَاحِدَةً**»[1].

وغنى عن القول بأن الله تعالى ما أمر بالسجود لآدم عليه السلام إلا مرة واحدة، فكانت هذه السجدة من الملائكة سجدة تاريخية، بقى ذكرها إلى الأبد، حيث ذكرها القرآن في أكثر من سورة.

السجود والتذكير بالموت

١٥- إن ذكر الموت لهو أمر يتخلل حياة المؤمن، بل إن من سمات الأنبياء التي جعلها رب العالمين خالصة لهم هي ذكرى الدار، أي دار الآخرة، وفي هذا السياق فإن عليا عليه السلام - وهو الخبير بأسرار الصلاة بل شهيد في محرابها - يربط بين السجدتين وما بينهما وبين الموت والنشور من خلال ما روي عنه عليه السلام حيث سئل عن معنى السجدة الأولى فقال: «**تَأويلُهَا اللهُمَ إِنَّكَ مِنْهَا خَلَقْتَنَا يَعْنِي مِنَ الْأَرْضِ، وَتَأويلُ رَفْعِ رَأْسِكَ: وَمِنْهَا أَخْرَجْتَنَا، وَتَأويلُ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ: وَإليها تُعِيدُنَا وَرَفْعِ رَأْسِكَ: وَمِنْهَا تُخْرِجُنَا تَارَةً أُخْرَى**»[2].

ثقل السجود على إبليس

١٦- إذا أحس الإنسان بثقل في نفسه تجاه عبادة من العبادات - لحَوَمَان الشيطان حول قلبه - فليعلم أن تلك العبادة بليغة في نفسها، ومؤثرة في تقريب العبد من ربه، ومثاله من القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[3]؛ إذ ما من شك

---

١) بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٣٦.

٢) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣١٤.

٣) النحل/ ٩٨.

أن لتلاوة القرآن الكريم أثرا في انفتاح البصيرة الباطنية للعبد، وهي بدورها معينة له على طيّ طريق القرب من الله تعالى، ومثاله من السنّة ما روي عن النبيﷺ أنه قال: «**أَطِيلُوا السُّجُودَ، فَمَا مِنْ عَمَلٍ أَشَدَّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ أَنْ يَرَى ابْنَ آدم سَاجِداً، لِأَنَّهُ أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَعَصَى وَ هَذَا أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَأَطَاعَ فَنَجَا**»[١].

ومن المعلوم أن لازمة شدة العمل على إبليس، هو أن يسعى هذا العدو، جاهدا في أن لا يتقن العبد سجدة خاشعة بين يدي ربه، ومن هنا تكثر هواجسه عند السجود، ويرى في نفسه الضعف عند إطالته، بل قد يلقى عليه النعاس كلما أراد العبد أن يتعبأ للمناجاة فيها!.

محطة بين السجدتين

١٧- إن من المحطات الضائعة بين السجدتين، هو هذا الاستغفار الذي نلهج به، من دون أن نستحضر معنى الاستغفار فيها أبدا، فالاستغفار فيه معنى متقوّم بالندامة والاستحياء من الله تعالى، وخاصة مع ارتكاب ذنب قبيل الصلاة، حيث الندامة فيها أشّد، فمن منا يستغفر مستحضرا كل هذه المعاني؟!.. والسبب في ذلك أننا نقرا ذكر الاستغفار كعادة اعتدناها بين السجدتين، لا أننا نستغفره حقيقة، ومن هنا فقد روحه ومعناه.

وهنا نضيف قائلين: بأنه من الممكن أن نجعل الاستغفار بين السجدتين، بنية التقصير في استجماع الفكر في الصلاة أيضا، ولعدم الإقبال اللازم فيها، حتى لو ادعى العبد أنه لم يرتكب ذنبا قبل الصلاة، وحينئذ نقول: لو أن العبد أعطى هذه المحطة حقها في كل ركعة، أي الاستغفار بالمعنى الأعم، فهل تبقى عليه تبعة؟!

---

١) الخصال، ج٢، ص٦١٦.

الصلوات الحقيقية

١٨- من الممكن أن نحوّل الصلوات على النبي وآله عليهم السلام والمتكررة في حال الركوع والسجود والتشهد إلى صلوات حقيقية، لا إلى مجرد ألفاظ نرددها من دون التفات إلى المعنى أبدا - كما هو الحال فيها خارج الصلاة أيضا - فالمطلوب من أحدنا أن يطلب المباركة الإلهية المتوجهة للنبي وآله عليهم السلام كما لو طلب هذه المباركة لنفسه وذريته.

ومن المعلوم أن الطلب الجاد فيه حالة من اللهفة والإصرار، والحال أن الكثير منا يصلي على النبي وآله عليهم السلام إسقاطا للتكليف، أو من باب العادة التي تسلب الذكر معناه عادة.

البحث عن مظهرات العبودية

١٩- يبلغ العبد في عالم العبودية إلى درجة، يبحث فيها عن أية وسيلة يبدي بها شكره وذلته بين يدي الله تعالى، فإذا ذكر نعمة من نعم الله تعالى - كانت غائبة عن باله أو مُحدثة في ساعته - ولم يمكنه السجود الشرعي على الأرض، فإنه لا يؤجل ذلك إلى حين التمكن منه، بل يضع خده على كفه، لاهجا بذكر الشكر والتذلل بين يدي ربه.. وما أجمل أن يُرى العبد بهذه الحالة، وهو بين قوم غافلين قد أنعم المولى عليهم و هم قد نسوا ذكره!..

وهذا المعنى مستلهم من قول الصادق عليه السلام: **«إذا ذَكَرَ أَحَدُكُمْ نِعْمَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى التُّرَابِ شُكْراً لله فإن كَانَ رَاكِباً فَلْيَنْزِلْ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى التُّرَابِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ عَلَى النُّزُولِ لِلشُّهْرَةِ، فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى قَرَبُوسِهِ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى كَفِّهِ، ثُمَّ لْيَحْمَدِ اللهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ»**[1].

---

١) الكافي، ج٣، ص٢٥٢.

التذلل بالسجود دائما

٢٠- إن المؤمن العاشق لعبادة ربه، لا ينتظر موجبا من موجبات السجود: كسجدة الفريضة، أو سجدة التلاوة، أو سجود السهو، أو سجود الشكر، ليتقرب إلى مولاه بها، بل يقوم به بقصد التذلل أو التعظيم لله تعالى، بل من حيث هو راجح وعبادة، بل من أعظم العبادات وآكدها، بل ما عُبد الله بمثله، وما من عمل أشد على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجدا؛ لأنه أمر بالسجود فعصى، وهذا أمر به فأطاع ونجى.

و ليُعلم أن أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، وأنه سنة الأوابين، ويستحب إطالته، فقد سجد آدم ثلاثة أيام بلياليها، **وسجد علي بن الحسين** عليه السلام **عَلَى حِجَارَةٍ خَشِنَةٍ، فَأَحْصَى عَلَيْهِ أَلْفَ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَقّاً حَقّاً، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَعَبُّداً وَرِقّاً، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِيمَاناً وَصِدْقا**، وكان الصادق عليه السلام يسجد السجدة حتى يقال: إنه راقد، وكان موسى بن جعفر عليه السلام يسجد كل يوم بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال[١].

التنعم بالعبادة

٢١- إننا لا نستوعب حقيقة هذا العشق للسجود، وذلك عندما نتصفح سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام في عبادتهم، والسبب في ذلك إننا لم نصل إلى هذه المرحلة من البلوغ الباطني، لنستوعب طبيعة اللذائذ الباطنية، والتي يصب شرابها في أقداح تلك الأرواح المقدسة.

وعليه فإن من وصل إلى مرحلة التلذذ بالعبادة، فإنه لا يعيقه شيء في هذا الطريق أبدا إلى يوم لقائه، و هذا الحديث القدسي شاهد على ذلك حيث يقول تعالى: «**يَا عِبَادِيَ الصِّدِّيقِينَ، تَنَعَّمُوا بِعِبَادَتِي فِي الدُّنْيَا؛**

---

١) انظر الروايات في وسائل الشيعة، ج٦، ص ٣٨٢.

فإنكُمْ تَتَنَعَّمُونَ بِهَا فِي الآخرة»[1]، وقد ورد في الخبر التعبير بالعشق مُسندا إلى العبادة، في قول النبي صلى الله عليه وآله: «أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ فَعَانَقَهَا، وَأَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ، وَبَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ، وَتَفَرَّغَ لَهَا فَهُوَ لَا يُبَالِي عَلَى مَا أَصْبَحَ مِنَ الدُّنْيَا، عَلَى عُسْرٍ أَمْ عَلَى يُسْرٍ»[2].

وهنا للعلامة المجلسي في بحاره تعليق منيف حيث يقول: «"عَشِقَ" من باب تعب والاسم العشق، وهو الإفراط في المحبة، أي أحبها حبا مفرطا من حيث كونه وسيلة إلى القرب الذي هو المطلوب الحقيقي... وربما يُتوهم أنّ العشق مخصوص بمحبة الأمور الباطلة، فلا يستعمل في حبّه سبحانه وما يتعلق به، وهذا يدل على خلافه، وإن كان الأحوط عدم إطلاق الأسماء المشتقة منه على الله تعالى، بل الفعل المشتق منه أيضا بناء على التوقيف... قيل: ذكرت الحكماء في كتبهم الطبية، أنّ العشق ضرب من الماليخوليا والجنون والأمراض السوداوية، وقرروا في كتبهم الإلهية أنه من أعظم الكمالات والسعادات، وربما يظن أنّ بين الكلامين تخالفا، وهو من واهي الظنون، فإن المذموم هو العشق الجسماني الحيواني الشهواني، والممدوح هو الروحاني الإنساني النفساني، والأول يزول ويفنى بمجرد الوصال والاتصال، والثاني يبقى ويستمر أبد الآباد وعلى كل حال»[3].

سجود السهو

٢٢- إن الشريعة قررت ما يسمى بسجدة السهو لمن سها في صلاته، فيُطلب منه التعويض عن هذا النقص بسجدة بين يدي الله تعالى بعد الصلاة بكيفيتها الخاصة، ولو كان هناك شيء أفضل من هذا النحو من السجود لتدارك النقص في الصلاة، لأمرنا به.

---

١) الكافي، ج٣، ص٢١٥.

٢) وسائل الشيعة، ج١، ص٨٣.

٣) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٥٣.

وهنا لنا الحق أن نقول: بأن من سها عن ربه في مجمل حركة حياته لا في خصوص صلاته، وغفل عن بعض ما أوجبه عليه ـ ولو كان لقصور منه ـ ألا يحسن له أن يتدارك النقص في عبوديته لربه، وذلك من خلال سجود سهو بالمعنى الأعم؟!.. أي يسجد متقربا إلى الله تعالى، مبدياً أسفه لطول غفلته عنه، كما لو خرج من مجلس كان الغالب عليه كلام البطالين، و قد ورد في دعاء مكارم الأخلاق ما يدل على ذلك: «**وعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ، وَ لِمَا فَسَدَ صَلَاح**»[1].

السجود الواجب والمستحب

٢٣- إن في القرآن الكريم خمسة عشرة موضعا يجب أو يستحب السجود فيه، وكأنّ العبد يريد أن يتأسى بالساجدين كلما سمع ذكرا لهم في كتاب ربه، فتارة يكون السجود فيه منسوبا للعباد الصالحين كقوله تعالى:﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾[2]، وتارة للملائكة المقربين في مثل قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[3]، وتارة لكافة الموجودات كما في قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلاَلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[4].

محسنات السجود

٢٤- إننا نرى السجدة تكليفا بدنيا بسيطا، تتأدى بمجرد وضع المساجد السبعة على الأرض، إلا أنها محاطة بالكثير من المحسنات التي

---

١) الصحيفة السجادية، ص٩٨.

٢) مريم/ ٥٨.

٣) الأعراف/ ٢٠٦.

٤) الرعد/ ١٥.

تزيدها بهاء وتوهجا، حيث بلغت في بعض كتب الفقه عددا لم يطلع عليها أغلب المصلين، وآخرها كما ذُكر فيها: الواحد والثلاثون وهي زيادة تمكين الجبهة وسائر المساجد في السجود.

والغريب أن أهل الدنيا كم يتعبون أنفسهم في تزيين دنياهم بما لا طائل تحته، ولكنهم لا يزينون وقفتهم بين يدي الله تعالى، بهذه المزينات المعنوية!.

الذكر قبل التسبيح

٢٥ـ إن التسبيحة الكبرى أو الصغرى في السجدة الواجبة والمستحبة، هي قوام السجدة وروحها؛ لأنها الذكر الواجب فيها، فمن المناسب أن يدعو قبلها بما ورد في محله: «**اللهُمَ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبِّي، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين**»[١]، فمن الطبيعي أن من هيّج مشاعره الباطنية بهذه الكلمات النيرة، يكون أقدر من غيره لإتقان التسبيح، كما يريده رب العزة والجلال.

التلذذ بالسجود

٢٦ـ إن من الطبيعي لمن لم يصل إلى ملكوت السجود، أن يكتفي بالأقل الواجب من الذكر، حتى من دون الصلاة على النبي وآله عليهم السلام والحال أنه ورد استحباب إطالة السجود، والإكثار فيه من التسبيح والذكر، فمثَل المصلي العامل بهذا الاستحباب، كمثل من دخل بستانا مليئا بصور الجمال، فلا تطاوعه نفسه للاستعجال للخروج منه، وخاصة إذا انتابته في صلاته حالة من الرقة المصاحبة للبكاء، فإنه

---

١) الكافي، ج٦، ص١٧٠.

سيعيش عالما من البهاء والسناء لا يمكن وصفه، وهو ما أشار إليه على ما روي عن الصادق عليه السلام: «**وَجَدَت النُورَ فِي البُكَاءِ وَالسَجدَةِ**»[1].

وهذا هو ما أدركه أصحابهم في سجودهم، فدعاهم إلى ما ذكره الفضل بن شاذان: «**دَخَلتُ عَلَى مُحَمَّدِ بنِ أَبِي عُمَيرٍ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَطَالَ السُجُودَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأسَهُ ذُكِرَ لَهُ طُولُ سُجُودِهِ، فَقَالَ لَهُ: كَيفَ لَو رَأيتَ جَمِيلَ بنَ دَرَّاجٍ؟! ثُمَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى جَمِيلِ بنِ دَرَّاجٍ، فَوَجَدَهُ سَاجِداً فَأَطَالَ السُجُودَ، فَلَمّا رَفَعَ رَأسَهُ، قَالَ لَه مُحَمَّدُ بنُ أَبِي عُمَير: أَطَلتَ السُجُودَ! فَقَالَ لَهُ: لَو رَأَيتَ مَعرُوفَ بنَ خَرَّبُوذ**»[2]، وقد قيل[3] عن محمد بن أبي عمير: «**إنَّهُ سَجَدَ بَعدَ صَلَاةِ الفَجرِ، فَمَا رَفَعَ رَأسَهُ إلّا عندَ الزوالِ**».

السجود وشرح الصدر

٢٧ ـ من الممكن أن نستفيد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ... وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[4] إن من مواضع السجود الراجحة، هي حالة الإحساس بالضيق والتبرم، وخاصة في الحالات المرتبطة بالأمور الرسالية، كضيق أهل الدعوة إلى الله تعالى من إعراض المعرضين، فإن الله تعالى طلب من نبيه صلى الله عليه وآله أن يسبّحه ويعبده، واختار من بين تلك العبادات خصوص السجود، ليخلصه مما هو فيه من ضيق الصدر.

السجود والاقتراب

٢٨ـ إن من الآيات المبينة لعظمة السجدة ومدى تأثيرها في تقريب

---

١) اسرار الصلاة، (للملكي التبريزي)، ص ٢٦٨.

٢) اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٤٦٠.

٣) بحارالأنوار، ج ٨٣، ص ٢٠٨.

٤) الحجر/ ٩٩_٩٧.

العبد من ربه، هو قوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[1].

فإن كان المراد بالسجدة هنا:

- الكناية عن إقامة الصلاة في مقابلة من نهى النبي صلى الله عليه وآله عن الصلاة، صار إطلاق جزء الصلاة - وهو السجود - على المجموع، دالا على عظمة هذا الجزء من الصلاة.

- نفس السجود كحركة مستقلة للعبد دخيلة في قرب المولى من ربه، فإنه يدل أيضا على العظمة ذاتها؛ لاختيار هذه الحركة الخاصة، سبيلا للقرب إلى المولى ومواجهة للطغاة أمثال أبي جهل.

وهنا نضيف حقيقة أخرى وهي: إن القرب السجودي ليس مرتبة ثابتة، وإنما مرتبط شدة وضعفا بقوة السجدة ومدى إتقانها؛ لأن الآية تدعو للسجود والاقتراب كعِدلين متلازمين، ومن الواضح أن ما جعل وسيلة للقرب، فإنه متناسب أيضا مع ذي الوسيلة في سرعة الإيصال إليه..ومن هنا كانت السجدة الطويلة من سنن الصالحين طوال التاريخ، لاكتسابهم القرب المميز مع كل آن من أوان هذه الحركة المباركة.

التأدب في الجلوس

٢٩- إن من المحطات الصلاتية التي لا يتقنها غالب المصلين، هي جلسة الاستراحة بعد السجدتين في الركعة الأولى والثالثة، فإن البعض لا يكاد يجلسها، وإن جلسها فليس فيها وقار العبودية، والحال أن المصلي لا بد أن يكون وقورا في كل تقلباته، ممتثلا للكيفية التي يطلبها الشارع حتى في جزئيات حركته، فعند القيام من جلسة الاستراحة يرفع ركبتيه أولا، وعند الهوي إلى السجود يضع يديه أولا، وقد جمع الإمام

---

١) العلق/ ١٩.

الكاظم عليه السلام هذه الآداب في قوله: «**إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ مِنْ آخِرِ سَجْدَتِكَ فِي الصَّلَاةِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ، فَاجْلِسْ جَلْسَةً، ثُمَّ بَادِرْ بِرُكْبَتَيْكَ إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَ يَدَيْكَ، وَابْسُطْ يَدَيْكَ بَسْطاً، وَاتَّكِ عَلَيْهِمَا ثُمَّ قُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَقَارُ الْمَرْءِ الْمُؤْمِنِ الْخَاشِعِ لِرَبِّهِ، وَلَا تَطِيشُ مِنْ سُجُودِكَ مُبَادِراً إِلَى الْقِيَامِ، كَمَا يَطِيشُ هَؤُلَاءِ الْأَقْشَابُ فِي صَلَاتِهِم**»[1].

التبري من الحول والقوة

٣٠- إن الصلاة إضافة إلى أنها محطة عبادية، فإنها مدرسة لتثبيت العقائد والمفاهيم الصحيحة أيضا، وذلك من خلال الأذكار الواردة فيها والحركات المقارنة لها، ومنها ما يقوله المصلي عندما يقوم من سجوده إلى القيام، فيجعل القيام والقعود مستندا إلى نفسه، ولكن القوة التي مكّنته من ذلك ينسبها إلى الله تعالى فيقول معلنا: «بحول الله وقوته أقوم وأقعد» وبذلك يبين موقفه من النزاع القديم بين أهل الجبر والتفويض بهذا الحل الجامع، وهو ما بيّنه الإمام الصادق عليه السلام في موقف أمير المؤمنين عليه السلام من القدرية من خلال هذا الذكر، حيث قال: «**كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَبْرَأُ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَ يَقُولُ بِحَوْلِ اللهِ وَ قُوَّتِهِ أَقُومُ وَ أَقْعُدُ**»[2].

طلب الحوائج في السجود

٣١- قد تمر على العبد فترة حرجة، تكون له فيها حاجة ملحّة من حوائج الدنيا أو الآخرة، وليس له مجال في أن ينطلق إلى مواطن الإجابة كالمساجد والمشاهد، أو يلهج بدعاء بليغ فيه تفصيل كأدعية قضاء

---

١) الاصول الستة عشر، ص٥٣.

٢) وسائل الشيعة، ج٧، ص٢٨٧

الحوائج المطولة في كتب الدعاء، فيفتح الله تعالى له بابا من أجل مناجاته بأقصر خطاب، ومنه ما ورد من الذكر حال السجود، فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَجَدَ فَقَالَ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، حَتَّى يَنْقَطِعَ نَفَسُهُ، قَالَ لَهُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: لَبَّيْكَ مَا حَاجَتُكَ؟**»[1]،أو كما روي عن أمير المومنين عليه السلام: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ وَ هُوَ سَاجِدٌ: إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ثَلَاثاً**»[2] وقد يكون حال العبد في مثل هذه المناجيات المختصرة، مقترنا برقة أكثر من المناجيات المفصلة.

إتْقان سجدة الشكر

٣٢ ـ عندما يوفق العبد لصلاة خاشعة، فإن من المناسب أن يختم صلاته بسجدة الشكر، لعلمه بأن ما جرى له من التوفيق إنما هو فضل ساقه الله تعالى إليه، ومن الواضح أن الشكر من موجبات الزيادة.. وعليه فقد يُوفق العبد لخشوع مضاعف في صلاة قادمة، إذا أتقن هذه السجدة كما هو حقه، وقد روي عن الصادق عليه السلام: «**إِنَّمَا يَسْجُدُ الْمُصَلِّي سَجْدَةً بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، لِيَشْكُرَ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهَا، عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَدَاءِ فَرْضِهِ، وَأَدْنَى مَا يُجْزِي فِيهَا شُكْراً للهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»[3].

١) الكافي، ج٤، ص٤١٦.

٢) مستدرك الوسائل، ج٥، ص١٣٥.

٣) وسائل الشيعة، ج٧، ص٥.



الآداب الباطنية للتشهد

معنى التشهد

١ـ إن التشهد مأخوذ من الشهادة، فالشاهد في المحكمة هو الإنسان الذي يشهد على أمر ما، وهذه الشهادة بالنسبة إلى صاحبها على ثلاث حالات:

ـ الحالة الأولى: أن يشهد لنفسه فيعود له نفع، فيقول: أنا أشهد وأقر بأني أطلب من فلان مالاً، فهذه الشهادة مقدمة لجلب منفعة له.

ـ الحالة الثانية: أن يشهد على نفسه، فيقع عليه ضرر، فيقول: أنا أشهد وأقر بأني ارتكبت عملا مما توجب له الإدانة.

ـ الحالة الثالثة: أن تكون شهادته لا له ولا عليه، ولكن لمجرد الإدلاء بحق، فيقول: أنا رأيت فلانا يسرق مال فلان.

إن التشهد المتضمن للإقرار بالتوحيد وبنبوة النبي الخاتمﷺ يمكن أن يلحق بالقسم الثاني، فهي عليه لا له؛ لأن من لوازم التشهد بالوحدانية هو الالتزام بلوازم الاعتراف بها من أنواع التوحيد، ومنها التوحيد في العبادة والحاكمية وغيرها، وهو بطبيعة الحال ينافي حاكمية الهوى، الذي هو في حكم إله يعبد من دون الله تعالى كما هو الغالب على حياة البشر، وكذلك الاعتراف برسالة النبيﷺ فإنه مستلزم للتقيد بكل تفاصيل رسالته؛ إذ قد ورد الأمر بإطاعة النبيﷺ كما ورد الأمر بإطاعة الله تعالى.

ومن هنا فإن الإقرار بالشهادتين ـ عند إظهار الإسلام وفي الأذان والإقامة والتشهد ـ مستلزم لكل هذه المعاني وإن لم يستحضرها العبد، لغفلته عن الدلالات الالتزامية لهذه الكلمات المقدسة.

التشهد واستشعار العبودية

٢ـ يصف الإمام الصادق عليه السلام التشهد قائلا: «**التَّشَهُّدُ ثَنَاءٌ عَلَى اللهِ، فَكُنْ عَبْداً لَهُ بِالسِّرِّ خَاضِعاً لَهُ بِالْفِعْلِ كَمَا أَنَّكَ عَبْدٌ لَهُ بِالْقَوْلِ وَالدَّعْوَى، وَصِلْ صِدْقَ لِسَانِكَ بِصَفَاءِ صِدْقِ سِرِّكَ، فإنهُ خَلَقَكَ عَبْداً، وَأَمَرَكَ أَنْ تَعْبُدَهُ بِقَلْبِكَ، وَلِسَانِكَ وَجَوَارِحِكَ، وَأَنْ تُحَقِّقَ عُبُودِيَّتَكَ لَهُ وَرُبُوبِيَّتَهُ لَكَ، وَ تَعْلَمَ أَنَّ نَوَاصِيَ الخَلْقِ بِيَدِهِ، فَلَيْسَ لَهُمْ نَفَسٌ وَ لَا لَحْظَةٌ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيَّتِهِ، وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ إِتْيَانِ أَقَلِّ شَيْءٍ فِي مَمْلَكَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِرَادَتِه**»[١].

فروح كلام الإمام في هذه الفقرة، تعود إلى أن الإنسان لا بد وأن يستشعر في أعماق وجود معنى العبودية، بمجرد تصور مخلوقيته، وذلك في قبال خالقية ربه ومدبريته.

واللافت في بني آدم أنه يستشعر كثيرا من المعاني الوجدانية حين تحقق أسبابها، كالزوجية عندما يتم عقده، أو الأبوة عندما يأتيه وليده، والحال أنه قد لا يستشعر صفة العبودية طوال عمره ولو مرة واحدة، رغم اكتمال أسبابها النظرية، والمشكلة هي ما يصفها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٢].

العبودية ثم الرسالة

٣ـ عندما يذكر المصلي في تشهده النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فإنه يصفه

١) بحارالأنوار، ج٨٢، ص٢٨٤.

٢) المطففين/ ١٤.

بالعبودية أولا، ثم بالرسالة ثانيا، وكأنّ فيه إشعارا بأن رتبة العبودية هي التي أهّلته لأن يكون صلى الله عليه وآله نبيا، فلولا هذه الحالة الباطنية من التعبد بمراد الله تعالى في كل أحواله، لما تأهل لأن يُبعث بالرسالة، فهو الذي أمضى ثلثي عمره عبدا لله داخرا، ليكمل الثلث الأخير رسولا نبيا!.

والدرس العملي من ذلك كله: إن من يروم المقامات العليا لا ينبغي له أن يعيش الحيرة والتردد، فالطريق إلى الله تعالى سالك ولا غموض فيه، ولا يحتاج إلا إلى عزم أراده يختاره بها، فالراحل إليه قريب المسافة، وسبل الراغبين إليه شارعة، كما نقرأها في مضامين الزيارات والأدعية.

وأهم شرط من شروط العبودية في هذا المجال، هو ترك ما يوجب غضب الحق المتعال، فإن الباب إذا أغلق فإنه قد لا يفتح ثانية، والطاعات مع وجود المعاصي كالنفخ في قربة مثقوبة.

ومن هنا لا ينبغي أن يتعجب بعضهم من عدم الوصول إلى مقامات الكمال بعد عمر من الطاعات، وذلك لأن المعاصي المتخللة تُبطل أثر الطاعات، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

التأسي بالله تعالى والملائكة

٤ـ إن الإمام الصادق عليه السلام يطلب منا أن نصلي على جده المصطفى صلى الله عليه وآله مع الالتفات إلى المضامين اللازمة عند الصلاة عليه قائلا: «**فَأَوصِلْ صَلَاتَهُ بِصَلَاتِهِ، وَطَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ، وَشَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِ، وَانْظُرْ إلى أَنْ لَا تَفُوتَكَ بَرَكَاتُ مَعْرِفَةِ حُرْمَتِهِ، فَتُحْرَمَ عَنْ فَائِدَةِ صَلَاتِهِ، وَأَمْرِهِ بِالاسْتِغْفَارِ لَكَ، وَالشَّفَاعَةِ فِيكَ إِنْ أَتَيْتَ بِالْوَاجِبِ فِي الأمر وَالنَّهْيِ، وَالسُّنَنِ وَالْآدَابِ، وَتَعْلَمَ جَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ**»[2].

---

١) المائدة/ ٢٧.

٢) بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢٨٥.

والشاهد في هذه الرواية أن الإمام عليه السلام يطلب منا أن نوصل صلاتنا على النبي بصلاة الله تعالى عليه، وقد يكون مراد الإمام من ذلك: إن نحقق سنخية بين طبيعة الصلاتين، فإن الله تعالى وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وقد أمرنا أن نصلي نحن عليه أيضا في سياق واحد، وهنا نتساءل: ألا يستلزم ذلك أن نجعل صلاتنا بدرجة من الإتقان والتوجه والدوام، تصح أن تُجعل في مصاف صلوات الله تعالى والملائكة على نبيه صلى الله عليه وآله ؟!.

وجوب الصلوات في التشهد

٥- إن الصلاة على آل النبي عليهم السلام - وإن تساهل بعض المسلمين في التقيد بها خارج الصلاة - إلا أنهم يوجبونها في تشهد الصلاة، ففي الصواعق لابن حجر: «**أخرج الدارقطني والبيهقي حديث: «من صلى صلاة، ولم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي، لم تُقبل منه»[١].. وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي رضي الله عنه: إن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة، كالصلاة عليه صلى الله عليه وآله**».[٢]

ويقول في موضع آخر: «**فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه، قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح**»[٣].

كما ذكر الرازي في تفسيره هذه الحقيقة نفسها حيث قال: «**إن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جُعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: اللهم صل على محمد وآل محمد، وارحم محمدا وآل محمد، وهذا**

---

١) سنن الدار القطني، ص١٣٦.

٢) الصواعق المحرقة، ص٢٣٤.

٣) سنن الدار القطني، ص١٣٦.

التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب، ثم يستشهد بقول الشافعي:

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقال أيضا: أهل بيته صلى الله عليه وآله ساووه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد، وفي السلام، والطهارة، وفي تحريم الصدقة، وفي المحبة»[1].

دور التحميد

٦- يستحب التحميد للمصلي في أول تشهده، و هذا أمر في محله ومطابق لحكمة التشريع، حيث يجعل في منتصف صلاته وآخرها، محطتين لشكر الله تعالى، وذلك على نعمة التوفيق للصلاة بين يديه، كما أنه يذكر نعمته تعالى عليه قبل القيام للركعة الأخرى، حيث أعانه على ذلك بتمكين أعضائه من القيام بعد الجلوس قائلا: بحول الله وقوته أقوم وأقعد.

ولا شك أن هذا الحمد المتخلل من موجبات الاستجابة، حيث يقول في كل ركعة قبل الهوي إلى السجود: «سمع الله لمن حمده»، وهو قد حمد الله تعالى قبلها في تشهده.

ثناء الله تعالى على عبده

٧- ليعلم المصلي أن بإزاء الثناء على الله تعالى و الذي يصدر منه حين الصلاة، أنواعا من ثنائه على عبده، ولا مجال للمقارنة والقياس بين الثنائين، لاختلاف الدرجات بين الباقي والفاني، وهذا من منطلق شكورية الله تعالى، ووعده بذكر عبده إذا ذكره. وإلى هذه الحقيقة

---

١) مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص٥٩٥.

يشير الإمام العسكري عليه السلام كما روي عنه: «إذا قَعَدَ الْمُصَلِّي لِلتَّشَهُّدِ الأول وَالتَّشَهُّدِ الثَّانِي، قَالَ اللهُ تعالى: يَا مَلَائِكَتِي قَدْ قَضَى خِدْمَتِي وَعِبَادَتِي، وَقَعَدَ يُثْنِي عَلَيَّ وَيُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّي، لَأُثْنِيَنَّ عَلَيْهِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَأُصَلِّيَنَّ عَلَى رُوحِهِ فِي الْأَرْوَاحِ»[1].

ومن هنا لزم الالتفات إلى ضرورة أن يكون الثناء من العبد، مميزا بآدابها وقواعدها، ليكون الثناء الإلهي مميزا أيضا، فإن الثناء اللفظي المجرد عن المعنى قد لا يصدق عليه الثناء حقيقة، بل هو تشبه بأهل الثناء والحمد.

التخيل المحفز

٨ـ من المشاعر التخيلية التي قد تورث الإقبال للعبد في تشهده: أن يتصور نفسه في عرصات القيامة، وهو واقف بين يدي ربه، فيشهد له بالربوبية وينفي عنه كل صور الشرك، ثم يتوجه إلى النبي صلى الله عليه وآله ليشهد له بالعبودية والرسالة ثانيا، ثم يتذكر مقام شفاعته العظمى فيطلب من الله تعالى أن يقبل منه شفاعته لأهل الكبائر من أمته ثالثا، ثم يطلب من الله تعالى أن يرفع من درجة النبي صلى الله عليه وآله رابعا، وهذا كله من دون أن يطلب لنفسه شيئا، بل يكتفي بما ذكره من تحقيق الشفاعة لجميع الأمة، وحينئذ نقول: إن من يعيش هذا الجو الباطني في «خياله» والذي سيتحقق يوما ما، ألا ينتقل «بقلبه» إلى أجواء القيامة حين صلاته، ليُذهله على كل عناصر الدنيا المحيطة به؟!.

١) بحارالأنوار، ج٨٢، ص٢٨٦.



الآداب الباطنية للتسليم

الأسفار الباطنية

١ـ إن للإنسان أسفارا في عالم الوجود، ومنها سفرة الأنفس، والتي يمكن وصفها بأوصاف عديدة، ومنها التقسيم إلى الأسفار الأربعة أعني:

ـ السير من الخلق إلى الحق، وهو مرحلة عبور عالم الطبيعة والكثرات إلى الله تعالى.

ـ السير بالحق في الحق، وهو مرحلة معرفة الأسماء والصفات الإلهية.

ـ السير من الحق إلى الخلق بالحق، وهو مرحلة الرجوع إلى الخلق لهدايتهم وإرشادهم.

ـ السير في الخلق بالحق، وهو مرحلة الهداية الرحيمية.

والملاحظ هنا أن المصلي بعد أن ترتقى روحه في عروج علوي إلى عالم الغيب المتناسب للسيرين الأولين، فإنه يختم صلاته بالتوجه إلى العباد الصالحين بما يناسب السيرين الأخيرين، فإن ختام الحركة الأنفسية إلى الله تعالى، هو الأخذ بأيدي الآبقين من عباده، وهي من أهم ثمار الصلاة الخاشعة، حيث يتأهّل العبد لأن يكون في خط الأنبياء والمرسلين في دعوتهم، لا في استنقاذ نفسه من الردى فحسب، بل في استنقاذ الآخرين أيضا.

وقد ورد في الخبر عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «**أوحَى اللهُ تعالى**

إلى مُوسَى عليه السلام: حَبِّبْنِي إلى خَلْقِي، وَحَبِّبْ خَلْقِي إِلَيَّ، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَفْعَلُ؟، قَالَ: ذَكِّرْهُمْ آلَائِي وَنَعْمَائِي لِيُحِبُّونِي، فَلَئِنْ تَرُدَّ آبِقاً عَنْ بَابِي، أو ضَالًّا عَنْ فِنَائِي، أَفْضَلُ لَكَ مِنْ عِبَادَةِ مِائَةِ سَنَةٍ، بِصِيَامِ نَهَارِهَا وَقِيَامِ لَيْلِهَا»[1].

أدب السلام

٢ـ إن المسلّم لا بد أن يكون حين سلامه على درجة من درجات الإقبال والتوجه إلى المخاطب، وإلا فلو سلّم عليه وهو معرض بوجهه عنه، فإنه يُعد مستخفا بصاحبه.

وعليه نقول: أن المسلّم على النبي صلى الله عليه وآله في ختام صلاته لو كان ذاهلا عن المخاطب، وعن السلام عليه، ألا يعد ذلك نوعا من عدم الاعتناء به، فإنه قد يوجب العتاب على أقل تقدير؟!.

التوجه للنبي صلى الله عليه وآله

٣ـ إن الفقرة المرتبطة بتحية النبي صلى الله عليه وآله عند السلام عليه، لهي فقرة بليغة من حيث المعاني المتعددة: ففيها سلام ورحمة وبركات.. ومن المعلوم أن كل واحدة من هذه المعاني لها دلالتها المتمايزة، ولازمة ذلك توجّه ثلاث أنواع من شعب الخير من الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله بطلب من عبده، ولهذا أضيفت الرحمة والبركات إليه، فهي كلها مرتبطة بالعبد طلبا، ومن الله تعالى إجابة.

فهل استحضرنا هذه المعاني طوال العمر ولو مرة واحدة؟!.. ولك أن تتصور حجم العطاء الإلهي والعناية النبوية، وذلك لمن توفق لسلام جامع ومانع، بآدابها وشروطها الباطنية!.

---

١) بحار الأنوار، ج٢، ص٤.

العباد الصالحون في التشهد

٤- إن كلمة «العباد الصالحين» في التسليمة الوسطى من الممكن أن تنطبق على جميع الصالحين من لدن آدمعليه السلام إلى آخر عبد صالح وقت صدور السلام من المصلي، ومن المعلوم أن هذا العدد الهائل لا يعلمه إلا الله تعالى وهو المحصي لكل شيء، وحينئذ نقول: لو توجه السلام من الله تعالى إلى هذا الجمع الغفير بطلب من العبد الفقير، فما هي الجائزة التي سيحصل عليها العبد من وراء هذا السلام؟!.. ومن المعلوم أن لكل سلام جوابا، ولكل تحية ردا، والأولياء الصالحون أولى بالعمل بهذه القاعدة من غيرهم!.

ولا ينبغي التشكيك في إمكان وصول السلام إلى هذا الجمع الهائل بجملة سلام واحدة، فإن له نظيرا أيضا في عالم اللطف الإلهي حيث يتحقق الجزاء «الباقي» بالعمل «الفاني» في الدنيا، وهذا أكثر إثارة للتعجب من إيصال البركات الكثيرة بجملة محدودة، ولكن الشرط الأساسي في كل ذلك، هو وصول هذا السلام لمن طلبنا السلام عليه، لوضوح أن السلام الصادر، لا يلازم السلام الواصل دائما.

حقيقة التسليم

٥- إن الإمام الصادقعليه السلام يعلمنا من خلال ذكر الآداب الباطنية للتسليم، أن ننتقل من كل الفقرات الصلاتية إلى المعاني العميقة المختزنة فيها، فالتسليم جزء من أجزاء تلك الصلاة، والتي تمثل قمة الرمزية في العلاقة مع رب العالمين.

فيقول الصادقعليه السلام كما روي عنه في بيان معنى التسليم: «**مَعْنَى التَّسْلِيمِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَعْنَى الْأَمَانِ، أَيْ مَنْ أَتَى بِأَمْرِ اللهِ تعالى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ**صلى الله عليه وآله **خَاضِعاً لَهُ خَاشِعاً فِيهِ، فَلَهُ الْأَمَانُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا، وَ الْبَرَاءَةُ مِنْ**

عَذَابِ الآخِرَة»، ثم يضيف عليه السلام حقيقة أخرى قلما مرت على خيال المصلين، وهي: إن المسلّم في صلاته يقرّ ويعلن - ولو من خلال سلامه الأخير - أنه مظهر للسلم والسلام، فليسلَم الجميع منه في المعاملات وأداء الأمانات، حيث يقول عليه السلام: «**وَ السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تعالى أودَعَهُ خَلْقَهُ، لِيَسْتَعْمِلُوا مَعْنَاهُ فِي الْمُعَامَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ وَالْإِلْصَاقَاتِ وَتَصْدِيقِ مُصَاحَبَتِهِمْ وَمُجَالَسَتِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَصِحَّةِ مُعَاشَرَتِهِم**»[1].

السلام الأخير

٦- إن السلام الأخير وإن كان متوجها إلى العموم بمقتضى التعبير بـ «عليكم» - على اختلاف في تفسير معناه ومصاديقه - إلا أن المتيقن من ذلك هم الأقربون منهم، فإذا كان المصلي متحمّلا لتبعة من تبعاتهم قبل الصلاة، فكيف يكون صادقا في تسليمه، وهو بين يدي رب العالمين وأشد المعاقبين؟!.

والإمام الصادق عليه السلام يوجه هذا العتب قائلا: «**فإن مَنْ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إليه، فَالْأَبْعَدُ أولَى، وَمَنْ لَا يَضَعُ السَّلَامَ مَوَاضِعَهُ هَذِهِ فَلَا سَلَامَ وَلَا تَسْلِيمَ، وَكَانَ كَاذِباً فِي سَلَامِهِ وَإِنْ أَفْشَاهُ فِي الْخَلْق**»[2].. ومن الواضح أن الفقرة الأخيرة بليغة جدا في العتاب.

لحظات الوداع

٧- إن التسليم يمثل اللحظات الأخيرة من وداع الصلاة، فمن المناسب أن يعيش المصلى ألم الوداع، لو كان مستأنسا حقيقة باللقاء، فبمقدار ما كان مُقبلا في صلاته، فإنه سيعيش حالة المرارة لانقطاع أجواء الأنس

---

١) مصباح الشريعة، ص٩٥.

٢) مصباح الشريعة، ص٩٦.

واللذة التي كان فيها، وخاصة أنه لا يحرز العودة إلى هذا اللقاء ثانية، بمقتضى الأمر بصلاة المودعين.

ومن هنا فإن المصلي يغتنم الفرصة بين فقرات التسليم، ليكتسب مزيدا من الوقت في الفقرات الوداعية، وإن كان مما يهون الخطب عنده أن سيعقبها بالتعقيبات المأثورة، وعلى رأسها تسبيحات الزهراء عليها السلام فيحاول أن يستصحب المصلي إقباله الصلاتي، إلى حين الإتيان بهذه التسبيحات المباركة.

ولعل هذا الأمر من موجبات تشريع تسبيح الزهراء عليها السلام ؛ إذ يوجب إبقاء المصلي - ولو إجمالا - في جو صلاته، رغم خروجه منها وانقطاع القيود الإلزامية فيها.

نية التسليم

٨- اختلف الفقهاء في جواز قصد السلام على النبي صلى الله عليه وآله عند التسليم في الصلاة، حيث إنه يتحول إلى حديث بشري مبطل للصلاة؟!.. ولكن بعضهم أجاب عنها: بأن الأمر خرج بدليل، فمن لم يُجز الحديث مع الآدمي في الصلاة، هو الذي أجاز الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله .

وحينئذ نقول: إن الأمر هنا شابه السلام على النبي صلى الله عليه وآله في سجود السهو، فكم من اللافت أن يجيز رب العالمين أن يسلم أحدنا على نبيه صلى الله عليه وآله في حال السجود و التسليم، حيث إن الالتفات إلى نبيه صلى الله عليه وآله إنما هو في طول الالتفات إليه تعالى، فلا ندية واثنينية في البين، كما قد يتصوره بعض الجهلاء بمقامات النبوة و الولاية!.

معنى «علينا» و«عليكم»

٩- وقع الاختلاف في المراد من كلمة «علينا» و«عليكم» في السلام

الأخير، فقيل: إن المصلي يسلم على جميع المحيطين حوله، ليشمل الملائكة الحافين به، وكذلك المحيطين به من أفراد مجتمعه، فضلا عن المصلين معه لو كان في جماعة، وبكلمة جامعة قد يكون المراد بهما: هم المعاصرون له في زمانه، ممن يصح خطابهم بصيغة «عليكم» أو إضافتهم إلى نفسه بصيغة «علينا».

وعليه فنقول: ما المانع أن يكون ممن نخصهم بالسلام - على التقديرين - ذلك الولي الأعظم الذي بيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، أعني الإمام المنتظر عليه السلام والذي يرجى بالتوجه إليه أن ترتفع صلواتنا مع صلواته، مصداقا لما ورد في دعاء الندبة: «واجعل صلاتنا به مقبولة».

قبح الغش

١٠- إن المصلي - لتكرار ما يقوم به ذكرا وفعلا في صلاته - لا يلتفت إلى لوازم صلاته ومدى ما ألزم نفسه به بين يدي ربه، ومن مصاديق ذلك ما يقوله حين السلام الأخير، فإنه يقر بين يدي مولاه أنه ممن يمكن أن يأمن المسلمون من يده ولسانه، وأنه لا داعي لأنه يخافه أي مسلم في غيبته حيث إنهم جميعا في أمان من جهته، وحينئذ نقول: لو تعهد إنسان أمام مخلوق مثله بهذا الالتزام، فكم يعاتب فيما لو خالفها بعده؟!.

والحال أن أحدنا قد يخالف هذا الأمان الموعود به لكافة المسلمين بعد صلاته مباشرة، فتراه مغتابا غاشا ماكرا، وهذا ما حذر منه الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**كَانَ النَّاسُ فِيمَا مَضَى إِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَارِدٌ أَمِنُوا شَرَّهُ، وَ كَانُوا إِذَا رَدُّوا عَلَيْهِ أَمِنَ شَرَّهُمْ، وَ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ لَمْ يَأْمَنُوهُ وَ، إِنْ لَمْ يَرُدُّوا**

عَلَى الْمُسَلِّمِ لَمْ يَأْمَنْهُمْ، وَ ذَلِكَ خُلُقٌ فِي الْعَرَب»[1]، فلا يكونن أحدنا أقل من أهل الحمية والصدق من عامة العرب!.

التشبه بالخلق الإلهي

١١ـ من الممكن أن نعد التسليمات الصادرة من المصلي من باب التخلق بأخلاق الله تعالى ورسوله وملائكته والمؤمنين، فلا بد من إتقانها ليقترب وجه الشبه بين هذه التسليمات، فمنها:

ـ سلام رب العالمين، فهو يكثر من السلام في كتابه على أنبيائه كقوله تعالى: ﴿سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[2]، وكذلك السلام بقول مطلق في قوله تعالى: ﴿سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[3].

ـ سلام الملائكة المقربين عند دخول الجنة حيث يقول تعالى: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾[4].

ـ سلام النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه على المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَإِذا جاءَكَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾[5].

ـ سلام المؤمنين على أنفسهم في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[6].

---

١) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤١٨.
٢) الصافات/ ٧٩.
٣) يس/ ٥٨.
٤) النحل/ ٣٢.
٥) يس/ ٥٤.
٦) النور/ ٦١.



الآداب الباطنية للقنوت والتعقيب

أهمية القنوت

١ـ إن من الأجزاء المستحبة للصلاة هو القنوت، ولكن من الممكن أن يحقق العبد في هذا الجزء المستحب، درجة من القرب الذي قد لا يحققها في باقي صلاته، وذلك لأنه محطة للحديث المسترسل والممتع مع رب العالمين، ففيه يجوز الحديث بغير العربية، وإن كانت وظيفة القنوت لا تؤدى إلا بها، فيمكن ـ بعد الدعاء أو الذكر بقصد القنوت ـ أن يدعو بلغة الأم التي يتقنها.

ولو علم الناطقون بغير العربية هذه السعة في الأمر، لأمكنهم الانطلاق بحديث عفوي فطري مع رب العالمين، وهي نعم الفرصة لإيجاد حالة مع الأنس برب العالمين، وهو جوهر الصلاة كما هو معلوم.

واستدل بعضهم على جواز هذا الأمر بإطلاق بما روي عن أبي جعفر عليه السلام: «**لَا بَأْسَ أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ، بِكُلِّ شَيْءٍ يُنَاجِي بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[١].

قضاء القنوت

٢ـ إذا نسي المصلي القنوت وركع، فله أن يقنت بعد رفع رأسه من

---

١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣١٦.

الركوع، عوضاً عن القنوت الذي فاته، ولو ذكر في السجود أنه لم يقنت، فله أن يقنت بعدَ الفراغ من الصلاة، ولو ترك القنوت رغبةً عنه ـ كما روي ـ فلا صلاة له، فصار الأمر شبيها بترك الصلاة لجار المسجد، حيث لا صلاة له إلا فيها، مع أن الصلاة في المسجد والقنوت في الصلاة مستحبان كما هو معلوم.

والغريب في العبد أنه يوفّر على نفسه لحظات الأذان والإقامة، وذكر الصلاة على النبي وآله عليهم السلام في الركوع والسجود، والتسليمة المستحبة، وتثليث التسبيحات الأربع، ولكن بعد الفراغ من الصلاة التي وفّر فيها كل ذلك، يخوض في كل ما هب ودب، من أباطيل الدنيا بل في حرامها، فأين أنصاف العبد لربه ولنفسه؟!.

إطالة القنوت

٣ـ إن من صفات المؤمنين الذين وصلوا إلى درجة الأنس بالله عز وجل، أنهم يقومون بكل المستحبات ما أمكنهم ذلك، كيما يبقى ذكر الله تعالى في قلوبهم وعلى ألسنتهم، في كل تقلباتهم قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فهناك فرق بين عبادة الله تعالى بدواعي الخوف والرجاء فحسب، وبين الأنس بذكره والتلذذ بمناجاته. فقد فرّق علي عليه السلام بين أنواع العبيد بقوله: «**إِنَ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ**»[1].

وعليه فإن المؤمن يحب أن يطيل في قنوته، ليبقى في مناجاة مع ربه في هذا الجزء من صلاته في أطول مدة ممكنة، فما المانع مثلا أن يقرأ دعاء كميل في قنوته ليلة الجمعة؟!..وما المانع أن يلهج بدعاء أبي حمزة

١) نهج البلاغة (صبحي صالح)، ص٥١٠.

في قنوت صلاة ليله، بل في قنوت الصلوات الواجبة؟!.، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أَطْوَلُكُمْ قُنُوتاً فِي دَارِ الدُّنْيَا، أَطْوَلُكُمْ رَاحَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمَوْقِفِ**»[١].

إن البعض قد لا يتفاعل مع الحمد والسورة لتكررهما في كل صلاة، بيد أنه قد يتفاعل مع أنواع الذكر في القنوت، لما له من حرية الاختيار لأنواع الذكر والدعاء فيه، بما يشمل مجمل الصحيفة السجادية، وكذا صحف الأئمة الآخرين عليهم السلام المنتشرة هذه الأيام، يضاف إليها كتب الدعاء كمفاتيح الجنان وغيره، وخاصة عند من يجيز قراءة الدعاء من خلال كتاب أمامه.

درجات الصلوات

٤- إن لصلوات العباد درجات على حسب درجات إتقانهم لها، وتقربهم من ربهم فيها، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «**إِنَ مِنَ الصَّلَاةِ لَمَا يُقْبَلُ نِصْفُهَا وَ ثُلُثُهَا وَ رُبُعُهَا وَ خُمُسُهَا إلى الْعُشْرِ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلَقُ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا، وَ إنما لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ**»[٢]، فما هي الصلاة التي ترتفع إلى ربها مقبولة زاكية؟

وفي الجواب يمكن القول بأن من موجبات هذه المباركة، أن يطيل الإنسان في قنوته، مصداقا لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ مَا طَالَ قُنُوتُهَا**»[٣]، فيمكن اتخاذ القنوت ذريعة ليعتذر إلى الله تعالى من سهوه في الركعتين السابقتين، ويطلب منه المدد فيما تبقى من صلاته، إذن فهي محطة تعويض لما مضى، وعزم على إتقان ما سياتي.

---

١) الأمالي (للصدوق)، ص٥٠٩.

٢) بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦٠.

٣) وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٩٢.

ومن المجربات النافعة في هذا المجال: إن المصلي إذا أقبل في جزء من أجزاء صلاته، فإنه يستحسن له البقاء في ذلك الجزء وإطالته، لاحتمال تبدل حاله لو انتقل إلى الجزء اللاحق، فمثلا لو أقبل في قنوته فيرجح له البقاء فيه، إذ قد لا يبقى معه هذا الإقبال، فيما لو انتقل إلى الركوع بعده.

الخوف من النهايات

٥- إن من الهواجس التي تقضّ مضاجع المؤمنين دائما، هو الخوف من النهايات أولا، أعني سوء العاقبة، ثم الخوف من سكرات الموت ثانيا وإن ختمت له بالسعادة، ولا يمكن معرفة المنجيات في هاتين المرحلتين إلا من خلال العالِمين بأسرار الوجود، ممن أطلعهم الله تعالى على غيبه، وهم محمد وآله الطاهرين عليهم السلام.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله موجبا من موجبات الراحة في تلك الساعة الموحشة حيث قال: «**طُولُ القُنُوتِ فِي الصَلَاةِ، يُخَفِّفُ سَكَرَاتِ المَوتِ**»[1].. ومن المعلوم هنا أن هذه الصفة لا يراد منها الحالة العابرة، وإنما الصفة المتأصلة من باب مناسبة الحكم والموضوع.

التكلف ثم الأنس

٦- إن حكم إطالة القنوت كحكم باقي العبادات، فقد تبدأ تكلفا ومجاهدة، ولكن مع التكرار فإن النفس تأنس بها، أضف إلى تدخّل رب العالمين في تحبيب العبادة، وتزيينها في قلوب عباده المجاهدين لأنفسهم وهو السبب الأهم، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[2].

---

١) كنز العمال، ج٧، ص ٧٣٥.

٢) الحجرات/ ٧.

وحينئذ لا يقف الأمر عند الاستمتاع بالعبادة حين الصلاة، بل يتعدى ساحات الحياة الأخرى، ليتحول مجمل الحياة إلى ساحة للاستمتاع بالقرب الإلهي، كما يصفه الإمام السجادعليه السلام قائلا: «**يَا نَعِيمِي وَجَنَّتِي وَيَا دُنْيَايَ وَآخِرَتِي**»[1].

قسما القنوت

٧ـ إن الروايات تشير إلى قسمي القنوت، فمنها ما يدل على أن العبد يدعو بما يجرى على لسانه، فمثلا بإمكانه أن يلهج أولا بالثناء الإلهي، وطلب المباركة على أهل بيت نبيهصلى الله عليه وآله، ثم طلب فرج وليهعليه السلام، ثم الدعاء لحوائج الدنيا والآخرة، فقد روي عن الصادقعليه السلام في جواب عمن سأله عما يقال في القنوت، فقال: «**مَا قَضَى اللهُ عَلَى لِسَانِك**»[2]، ومنها ما يذكر فيها المأثور عنهم من أنواع الدعاء البليغ، كقول الصادقعليه السلام: «**يُجْزِئُكَ فِي الْقُنُوتِ: اللهُمَ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**»[3]، ومن المعلوم أن عافية الدنيا والآخرة، فيها جماع الخير في النشأتين، وهو ما كان يدعو به النبيصلى الله عليه وآله قائلا: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة**»[4]، وكما ورد أيضا عن الأئمّةعليهم السلام وهو ما يعبر عنه بكلمات الفرج، وهي التي يلقن بها الميت ساعة الموت أيضا: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين**»[5].

١) بحار الأنوار، ج٩١، ص١٤٨.
٢) الكافي، ج٦، ص٢٢٦.
٣) الكافي، ج٦، ص٢٢٧.
٤) بحار الأنوار، ج٩٤، ص٢٣٤.
٥) وسائل الشيعة، ج٢، ص٤٦٠.

تكرر القنوت

٨ـ هناك بعض المواطن التي يتكرر فيها القنوت في الفريضة الواحدة، وهي مواطن اجتماع المسلمين، كصلاة الجمعة والعيدين، فالدعاء القنوتي فيها يصدر من الجمع الذي له خصوصية في الإجابة، فإن اجتماع جماعة من المؤمنين ـ خصوصا إذا بلغوا الأربعين ـ على أمر واحد مما يحقق الإجابة الإلهية.

فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «**مَا مِنْ رَهْطٍ أَرْبَعِينَ رَجُلًا اجْتَمَعُوا فَدَعَوُا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرٍ، إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُمْ، فإن لَمْ يَكُونُوا أَرْبَعِينَ، فَأَرْبَعَةٌ يَدْعُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَشْرَ مَرَّاتٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُم**»[1]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية الدعاء من خلال القنوت ـ خصوصا في موارد الاجتماع كالجمعة والجماعات ـ و الذي قلنا عنه بأنه فرصة للعبد لكي ينطلق مع ربه فما يريد، وكيفما يريد وبأي لغة يشاء.

رفع القيود في القنوت

٩ـ إن توقيفية السور والآيات، لمن موجبات تقييد العبد في أن يأتي بها صحيحة غير ملحونة، وهذا بدوره يؤدي ـ في بعض الحالات ـ إلى وسوسة العبد وانشغاله بعالم الألفاظ، لإحراز الإتيان بالوظيفة الشرعية، ولكن هذا القيد مرفوع في القنوت، حيث يجوز للعبد أن يأتي بالدعاء ولو كان ملحونا، وهذا بدوره يجعل العبد في سعة من ذلك التقيد الذي لا بد من مراعاته في التلاوة القرآنية الصحيحة في الصلاة، بل يتعدى الأمر إلى جواز ذكر الأشعار المناجاتية في قنوته ـ كما مثل له في العروة الوثقى [2]ـ بقول الشاعر:

---

١) الكافي، ج٤، ص٣٤٠.

٢) «مسألة: يجوز قراءة الإشعار المشتملة على الدعاء و المناجاة مثل قوله:...»؛ العروة الوثقى، ج١، ص٦٩٩.

الهي عبدك العاصي أتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاكا

ونحوه ذلك شعرا ونثرا، مما يثير النفس للسير في عالم الملكوت.

الصلوات في القنوت

١٠- إن من مواطن الصلاة على النبي وآله عليهم السلام - سوى موطن السجود والركوع والتشهد - هو موقف القنوت، فإن هذه الصلوات من موجبات الإجابة فيه، حيث يبدأ بالصلاة على النبي وآله عليهم السلام ويختم بها، و يستفاد من الروايات هذه الحقيقة: أنه بعيد من رحمة الله تعالى أن يستجيب الأول والآخر ولا يستجيب الوسط، فينبغي أن يكون طلب المغفرة والحاجات، واقعة بين دعائين مستجابين قطعا، أعني الصلاة على النبي وآله الكرام عليهم السلام.

واللافت هنا في المقام: إن التكبير المستحب والمتخلل ضمن صلاة ركعتين، يبلغ تسع مرات وهو العدد نفسه في الصلوات المستحبة على النبي وآله عليهم السلام خلال ركعتين، وذلك ضمن القنوت والركوع والسجود والتشهد، فكم هو الوفاء الإلهي لعبده المرسل، حيث جعل كفة التوحيد والولاية متساويين في هذا المقام؟!.

أجل التعقيبات

١١- إن من أجلّ التعقيبات بعد الصلاة هي تسبيحات الزهراء عليها السلام والتي هي من المواريث المعنوية لهذه السيدة الجليلة، وذلك عندما طلبت من أبيها خادمة، فعوضها الله تعالى بهذه التسبيحة التي تعد كنزا من كنوز الرحمن قد أودعها الله تعالى في أمة أبيها عليهما السلام إلى يوم القيامة، ويؤيد ذلك ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «**مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَ لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ،**

لَنَحَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام»[1].

ويبدو أن انتساب هذا العمل إلى سيدة النساءعليها السلام - والتي قدمت ما قدمت من أجل الدين من التضحيات التي لا تتحملها الجبال الرواسي - جعل لها ذلك الأثر الذي لا يتناسب مع حجم العمل، كباقي موارد الانتساب إلى الله تعالى فقد روي عن الصادقعليه السلام: «**تَسْبِيحُ فَاطِمَةَعليها السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ**»[2] وهذه من مصاديق المباركة الإلهية أيضا فيما انتسب إليه، كالكعبة حيث التقديس المضاعف، وقميص يوسفعليه السلام حيث الشفاء لعين أبيه، وتابوت موسىعليه السلام حيث اقترنت به السكينة.

الأنس بتربة الحسينعليه السلام

١٢- إن للمؤمن أنسا بتربة قبر الحسينعليه السلام كأنسه بصاحبها، فبالإضافة إلى السجود عليها - كما هو دأب الأئمة العظام من ذريته - فإن لحمل سبحة من تربته أيضا مزية من المزايا، نفهمها مما روي عن الصادقعليه السلام حيث قال: «**السُّجُودُ عَلَى طِينِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ ع يُنَوِّرُ إِلَى الْأَرَضِينَ السَّبْعَةِ، وَمَنْ كَانَتْ مَعَهُ سُبْحَةٌ مِنْ طِينِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام كُتِبَ مُسَبِّحاً وَإِنْ لَمْ يُسَبِّحْ بِهَا**»[3].

ومن هنا نقول: إن من المناسب أن يسبح المصلي تسبيحات الزهراءعليها السلام بهذه التربة المباركة، ليكتب مسبّحا وإن غفل عن التسبيح بعد الفراغ منه.. فعن الصادقعليه السلام: «**إِنَ مَنْ أَدَارَ الْحَجَرَ مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِعليه السلام فَاسْتَغْفَرَ بِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً كَتَبَ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَإِنْ أَمْسَكَ السُّبْحَةَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بِهَا،**

---

١) الكافي، ج٦، ص٢٣٦.

٢) الكافي، ج٦، ص٢٣٦.

٣) وسائل الشيعة، ج٥، ص٣٦٦.

فَفِي كُلِّ حَبَّةٍ مِنْهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ»[1] فهذه الرواية تبين أيضا مظهرا آخر من مظاهر مضاعفة الله تعالى الأجر، لمن يشاء وذلك كيف يشاء.

عدم الاستحضار بالتكرار

١٣- إن البعض - من جهة التكرار والرتابة في الذكر- قد يسبّح تسبيحات الزهراء عليها السلام بنحو لا يستحضر المعنى المختزن فيها أبدا، وكأنّ همه هو الفراغ من العدد المحدّد له كيفما اتفق، والحال أن كمال الذكر هو الالتفات إلى المضامين.

فما المانع أن يعيش العبد جو «التكبير» بما فيه من العجز عن الوصف الربوبي، وجو «التحميد» بما فيه الثناء للنعم المتواترة على العبد، وجو «التسبيح» تنزيها لله تعالى من كل منقصة وعجز؟!.

وبذلك يكون متشبّها بصاحبة هذه التسبيحات، بدرجة من الدرجات، وهي التي كانت تؤديها حق الأداء.

الفرصة الذهبية

١٤- هناك فرصة ذهبية يفوّتها كثير من المصلين، ألا وهو التعقيب بعد الفريضة، وإن عقّب بعض منهم فهو تعقيب لفظي لا رُوح فيه، فلا بد من معرفة هذه الحقيقة وهي: إن للمصلي منحة إلهية خاصة بعد كل فريضة، متمثلة بدعوة مستجابة، والذي يستوعب هذه الحقيقة، لا يمكنه إلا وأن يجعل محطة نوعيه لمناجاة الله تعالى بعد كل فريضة، فيستصحب فيها أجواء الصلاة حتى بعد الفراغ منها، وخاصة بعد إقبال مميز فيها.

فقد روى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال: «مَنْ أَدَّى للهِ مَكْتُوبَةً، فَلَهُ

---

١) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٥٦.

فِي أَثَرِهَا دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»[1]، قال ابن الفحام: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في النوم، فسألته عن الخبر، فقال: «**صَحِيحٌ، إِذَا فَرَغتَ مِنَ المَكتُوبَةِ فَقُل وَأَنت سَاجِدٌ**: «**اللهُمَ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِ مَنْ رَوَاهُ، وَبِحَقِّ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ، صَلِّ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ، وَافْعَلْ بِي كَيْتَ وَكَيْتَ**»[2].

الاسترسال في المناجاة

١٥- إن البعض يكتفي بالتعقيبات المأثورة الثابتة بعد كل فريضة - العامة منها والخاصة -، ولكن ما المانع أن يسترسل الإنسان في مناجاة بليغة بين يدي رب العالمين، وذلك فيما لو رأى إقبالا في قلبه حين الصلاة، فيختار من بين المناجيات الخمسة عشر ما يناسب حاله، وعندئذ قد تكون فترة الإقبال من خلال المناجاة، أطول من فترة الصلاة نفسها، بل قد ورد أن **من عقّب في صلاته فهو في صلاة**[3]، فما أحسن أن يجمع الإنسان بين ثواب الموقف الصلاتي، وبركات الوقفة المناجاتية بين يدي مولاه!.

التوسعة في معنى التعقيب

١٦- إن بعض كبار الفقهاء وهو صاحب العروة [4]يعرف التعقيب بأنه: «**الاشتغال عقيب الصلاة بالدعاء، أو الذكر، أو التلاوة أو غيرها من الأفعال الحسنة، مثل التفكر في عظمة الله ونحوه، ومثل البكاء لخشية الله أو للرغبة إليه وغير ذلك. والظاهر استحبابه بعد النوافل أيضا وإن كان بعد**

---

١) الأمالي (للطوسى)، ص٢٨٩.

٢) عدة الداعي، ص٦٧.

٣) ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، ج٣، ص٦٠٤.

٤) العروة الوثقى، ج١، ص ٣.

الفرائض آكد. ويعتبر أن يكون متصلا بالفراغ منها، غير مشتغل بفعل آخر ينافي صدقه، الذي يختلف بحسب المقامات من السفر والحضر والاضطرار والاختيار؛ ففي السفر يمكن صدقه حال الركوب أو المشي أيضا كحال الاضطرار، والمدار على بقاء الصدق والهيئة في نظر المتشرعة. والقدر المتيقن في الحضر، الجلوس مشتغلا بما ذكر من الدعاء ونحوه، والظاهر عدم صدقه على الجلوس بلا دعاء، أو الدعاء بلا جلوس، إلا في مثل ما مر، والأولى فيه الاستقبال والطهارة، والكون في المصلى».

واللافت في هذا التعريف: إنه جعل التفكر من مصاديق التعقيب أيضا، وذلك عطفا على الذكر والدعاء والتلاوة، مما يدعو العبد إلى اتخاذ محطة للتأمل والتفكر بعد كل صلاة، من قبيل محاسبة نفسه، أو أي تفكير يعود إلى الله تعالى، ولو كان ذلك من خلال مقروء أو مسموع يذكّره بالله تعالى واليوم الآخر.

المحفزات المادية

١٧ـ إن تحفيز النفس بالمحفزات المادية من قبيل: الرزق، والعافية، والمودة في قلوب المخلوقين وغيرها من المزايا الدنيوية، عامل من عوامل إقبال النفس أيضا على عالم المعنى، وهو ما استعمله القرآن الكريم كثيرا، وذلك عندما يذكّر العباد بمتع الجنة المادية منها كالحور والقصور.

ومما يحقق ذلك أيضا ـ أي تحفيز النفس نحو الإقبال في الدعاء ـ هو الاعتقاد بوجود صلة بين الرزق بكل صوره وبين التعقيب بكل صوره أيضا، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «**التَّعْقِيبُ أَبْلَغُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ مِنَ الضَّرْبِ فِي الْبِلَادِ**»[1].

---

١) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٢٩.

ومن موجبات سعة الرزق أيضا هي اليقظة بين الطلوعين، حيث يستحب أن يجلس بعد صلاة الفجر في مصلاه إلى طلوع الشمس، مشتغلا بذكر الله تعالى حيث ورد عن علي عليه السلام: «**وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ فِيمَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ؛ فَإِنَّهُ أَسْرَعُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، مِنَ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ، وَ هِيَ السَّاعَةُ الَّتِي يَقْسِمُ اللهُ فِيهَا الرِّزْقَ بَيْنَ عِبَادِهِ**»[1].

الدعاء خير من الصلاة

١٨- روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**الصَّلَاةُ خَيْرُ مَوضُوعٍ، فَمَن اسْتَطَاعَ أَن يَستكثِرَ فَلْيَستكثِر**»[2] ومع ذلك فإن الدعاء بعد الفريضة - كما ورد[3] - أفضل من الصلاة تنفّلا، وهذا لوحده كاف في بيان عظمة هذه الوقفة الدعائية بعد الصلوات الواجبة، وكأنّ الله تعالى يحب أن يُفضي العبد بما في قلبه من حديث باطني، سواء كان طلبا لحاجةٍ، أو شوقا محضا إليه.

دفع البلاء

١٩- إن اليوم الذي يستقبله الإنسان قد يكون مزدحما بالمقدرات الإلهية والتي قد يكون بعضها نقمة عليه وذلك لتقصير ارتكبه في أيامه السابقة.. ومن هنا فإن من بركات التعقيبات الصباحية - ومنها الاستعاذة - هو دفع البلاء عن العبد وقد أبرم إبراما، حيث يقول العبد في استعاذته: «**أُعِيذُ نَفْسِي، وَدِينِي، وَأَهلِي، وَمَالِي، وَوُلدِي، وَإِخوَانِي فِي**

---

١) الخصال، ج٢، ص٦١٦.

٢) المعجم الاوسط للطبراني، ج ١، ص ٨٤.

٣) «الدُّعَاءُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ تَنَفُّلا»، الكافي، ج٦، ص٢٣٢.

دِينِي، وَمَا رَزَقَنِي رَبِّي، وَخَوَاتِيمِ عَمَلِي، وَمَن يَعنِينِي أَمرُهُ...»[1].

واللافت هنا إن قوة هذه الاستعاذة في دفع الشرور والآفات، تعم المحيطين بالإنسان من الأهل والعيال، بل من يعنيه أمره من المؤمنين والمؤمنات.

خير الهدايا

٢٠- إن خير هدية يقدمها المؤمن لأخيه المؤمن، هو ما يعينه على التزود لآخرته، ومنه إهداؤه له عُدّة الصلاة التي هي لقاء مع ربه، وكلما كانت العدة أكمل كان اللقاء أقرب إلى القبول، وهذه العدة هي التي ذكرها الإمام الكاظم عليه السلام بقوله: «**لَا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ مِنْ خَمْسَةٍ: سِوَاكٍ، وَمُشْطٍ، وَسَجَّادَةٍ، وَسُبْحَةٍ فِيهَا أَرْبَعٌ وَ ثَلَاثُونَ حَبَّةً، وَخَاتَمِ عَقِيقٍ**»[2].

بل إن بعض ما في هذه العدة، إنما هي هدية العرش لساكنيها، فكيف يغفل أهل الفرش عنها؟!. فقد روي في الخبر: «**أَنَّ الْحُورَ الْعِينَ إذا بَصُرْنَ بِوَاحِدٍ مِنَ الْأَمْلَاكِ يَهْبِطُ إلى الْأَرْضِ لِأَمْرٍ مَا، يَسْتَهْدِينَ مِنْهُ الْمِسْبَحَ وَ التُّرَابَ مِنْ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام**»[3].

التفكر عند التعقيب

٢١- إن المؤمن مأمور بالتفكر دائما، حيث ورد: «**تَفَكُّرُ سَاعَةٍ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَة**»[4]، **وفي نقل آخر من عبادة سنة**[5]، **وفي رواية ستين سنة**[6]،

---

١) مفاتيح الجنان، باب التعقيبات المشتركة.

٢) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٥٦.

٣) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٥٦.

٤) الكافي، ج١، ص١٤١.

٥) تفسير العياشي، ج٢، ص٢٠٨.

٦) تفسير الصافي، ج١، ص٤٠٩.

وفي حديث آخر سبعين سنة[1]، وجاء التصريح في بعضها بإدمان التفكر في الله وفي قدرته.

ومن أفضل الأوقات لمثل هذا التفكر، هو عقيب صلاة الصبح والمغرب لسكون النفس فيهما، فإن المصلي فرغ من زحمة الحياة وتوارد القيل والقال.

والمطلوب في هذه الساعة أن يكون التفكير فيما قضى يومه فيه، وما ينبغي عليه أن يكون من غد، بل مراجعة مسيرة حياته العامة، ليعلم إلى أين وصل من الاستعداد لاستقبال الموت، والدفاع عن نفسه في محكمة ربه الكبرى!.

استحياء الرب

٢٢- إن من الروايات اللافتة بل المخجلة لبني آدم، ما ورد في حال العبد وهو رافع يديه إلى السماء في قنوت أو غيره، حيث إن الله تعالى وهو الغني المتعال، يستحي من عبده الذليل الحقير بين يديه، فقد ورد عن الصادق عليه السلام : «**مَا أَبْرَزَ عَبْدٌ يَدَهُ إِلَى اللهِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ إِلَّا اسْتَحْيَا اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْراً، حَتّى يَجْعَلَ فِيهَا مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ مَا يَشَاءُ، فَإِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَرُدَّ يَدَهُ حَتّى يَمْسَحَ عَلَى وَجْهِهِ وَ رَأْسِه**»[2]، ولعل الأمر بمسح الوجه بيده من جهة العطاء الإلهي الذي حل فيه، أو من جهة أن اليد التي مدت إلى الله تعالى صارت مباركة، فصارت من شؤونه فجاز التبرك بها أيضا.

---

١) رياض السالكين، ج٣، ص٣٠٧.

٢) الكافي، ج٤، ص٣٠٧.



الآداب الباطنيّة لصلاة الليل

تأكيدان نادران

١ـ قلما ورد تأكيد على فعل مستحب مثل التأكيد على مستحبين وهما: صلاة الليل، وصلاة الجماعة.. ومن اللافت في المقام أنهما مستحبان من لونين مختلفين، فإحداهما تُؤدى سرا في جوف الليل ـ كما هو الغالب ـ والثانية تؤدى جهرا في ملأ من الناس.

ومن المعلوم أن من تعوّد على وقفه خالصة بين يدي الله تعالى في جوف الليل، فإنه يُؤمن عليه من الرياء، لو اتفق أن صلى جماعة في الناس، فإنه على موعد في الحالتين معا مع من عظُم في نفسه، فصغُر ما دونه في عينه.

وصية النبي لوصيه

٢ـ عندما أوصى النبيﷺ علياًعليه السلام بصلاة الليل، طلب من الله تعالى أن يعينه عليها، حيث قالﷺ: «**أوصِيكَ فِي نَفْسِكَ بِخِصَالٍ فَاحْفَظْهَا، ثُمَّ قَالَ اللهُمَّ أَعِنْهُ، إلى أَنْ قَالَ: وعَلَيْكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ، وَعَلَيْكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ، وَعَلَيْكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ**»[1].

ولعل السر في ذلك هو علم النبيﷺ بالمواقف الصعبة التي ستمر

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص٩١.

عليه كليلة الهرير، فهو الذي قال بعد ذلك: «**مَا تَرَكْتُ صَلَاةَ اللَّيْلِ مُنْذُ سَمِعْتُ قَوْلَ النَّبِيِّ**صلى الله عليه وآله: **صَلَاةُ اللَّيْلِ نُورٌ، فَقَالَ ابْنُ الْكَوَّاءِ: وَلَا لَيْلَةَ الهَرِيرِ، قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ الهَرِيرِ**»[1].

أو بلحاظ توقع النبيصلى الله عليه وآله أن يكون وصيه في أعلى درجات الإقبال فيها، ليشابهه أيضا في هذه الحالة التي عبّر عنها قائلا: «**إِنَّ لِي مَعَ اللهِ حَالَاتٍ لَا يَحْتَمِلُهَا مَلَكٌ مقرب، وَلَا نَبِيٌّ مُرسَلٌ**»[2].

السفر بصلاة الليل

٣ـ خير ما يصور لنا تأثير صلاة الليل في إيصال العبد إلى غايته، هو ما روي عن الإمام العسكريعليه السلام حيث قال: «**الوُصُولُ إِلَى اللهِ سَفَرٌ، لَا يُدرَكُ إِلّا بِامتِطَاءِ اللَيلِ**»[3]، وكأنّ هذا السفر الشاق لا يسهّله إلا ركوب هذا المركب أي قيام الليل، الذي وإن بدا صعبا لمن لم يستذوق حلاوة القيام فيه ـ لما يستلزمه من هجران النوم ـ إلا إن الغاية التي يحققها وهو الوصول إلى الله تعالى، مغرية في المقام أيما إغراء!.. فأين نسبة هجر ساعة من نوم، من الوصل بمبدأ كل فيض في الوجود؟!.

وليُعلم أنه لم يعهد في تاريخ الأولياء والصالحين، أن وصل أحدهم إلى شيء من الكمال، من دون أن يكون من أهل الليل، وهو الذي يُفهم من هذا الحديث الشريف.

الجزاء المبهم

٤ـ إن القرآن الكريم ذكر الجزاء المترتب على التهجد، وذلك في حالة

---

١) بحارالأنوار، ج١٤، ص١٧.

٢) جامع السعادات، ج١، ص٣٥.

٣) بحارالأنوار، ج٧٥، ص٣٨٠.

من الإبهام حيث قال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[1]، والحال أن القرآن الكريم طالما ذكر الجزاء حول مختلف الطاعات في مطاوي آياته، حول مختلف الطاعات، وذلك تحفيزا لأهلها وخاصة مع موجبات التكاسل، وذلك بالقول أن الأمر لا يحيطه به وصف أو ذكر جزاء، فإن الواردات الإلهية على قلوب المتهجدين بالأسحار، تدرك ولا توصف، فغير المستذوق لها في مقام العمل، لا يمكنه فهم هذه المعاني القلبية، فكأن الإبهام في محله.

وقد يكون الإبهام من جهة أن الله تعالى، لا يريد أن يذكر جزاء مقابل الخلوة معه، فأي جزاء من الحور والقصور يصل إلى حد هذا الجزاء الذي هو أشبه بمقام الرضوان؟!.

ويؤيد ذلك كله قول الصادق عليه السلام: «**مَا مِنْ عَمَلٍ حَسَنٍ يَعْمَلُهُ الْعَبْدُ إِلَّا وَلَهُ ثَوَابٌ فِي القرآن إِلَّا صَلَاةَ اللَّيْلِ، فإن اللهَ لَمْ يُبَيِّنْ ثَوَابَهَا لِعِظَمِ خَطَرِهَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ يَدْعُون رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ. فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُون**»[2].

اقتضاء العبادات

٥- إن تأثير العبادات في النتائج الموعودة عليها في الروايات، إنما هو من باب الاقتضاء لا العلة التامة، فلا يتوقعن العبد أن يحصل على النتيجة بمجرد القيام بعمل عبادي في فترة قصيرة، فلعل هناك نقصا لبعض الشرائط، أو مانعا يبطل أثر المقتضي.

ومن هنا فإن الآية لم تجزم بهبة المقام المحمود، بل جعلته في قالب

١) الإسراء/ ٧٩.

٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٦٣.

الترجي «عسى» لئلا يركن العبد إلى عمله، فإن الباعث على المقام المحمود، له معادلاته التي لا يستوعبها البشر بعقله، وإنما أمرها بيد العليم الخبير.

نقصان الشرف

٦ـ لو أن المؤمن جاء بجميع الطاعات ـ سوى قيام الليل ـ فإنه يبقى في دائرة النقص؛ إذ فقد مرتبة من مراتب الشرف، حتى لو كان صاحبه مجاهدا في سبيل الله تعالى، أو من كبار المنفقين في طاعته، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ**»[١].

ومن المعلوم أن لهذه الشرافة تجلياتها في الآخرة ـ وهو العمدة في المقام ـ لأن منطقة الأشراف في الجنة، لا يدخلها إلا أهل قيام الليل.

الرزق وصلاة الليل

٧ـ هناك تناسب بين الرزق بمعنييه المادي والمعنوي وبين قيام الليل، فمن جهة فقد وعدت الرواية كما عن الصادق عليه السلام: «**إِنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ تَضْمَنُ رِزْقَ النَّهَارِ**»[٢] ومن جهة أخرى فإن المعصية مانعة من قيام الليل، وبالتالي الحرمان من البركات التي تنزل على أهلها في كل ليلة، فعن الصادق عليه السلام أيضا: «**إِنَّ الرَجُلَ يُذنِبُ فيُحرَمُ، صَلاةَ اللَيلِ**»[٣].

إن الالتفات إلى الحرمان من المزايا المادية والمعنوية، لمن موجبات الالتزام بقيام الليل، وما من ريب أن الوجود الإنساني ـ حتى الجانب البدني منه ـ يتأقلم مع الحوافز الداخلية؛ إذ ما ضعف بدن عما قويت عليه النية، وما ذكرناه من المزايا في دار الدنيا، يُعد أيضا من موجبات

---

١) الكافي، ج٦، ص٦٥١.

٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٥٨.

٣) الكافي، ج٣، ص٦٧٥.

تحقق النية الجازمة من أجل الحصول على الرزق الواسع بمعناه الأعم الشامل: للعلم النافع، والصدقة الجارية، والزوجة المطيعة، والذرية الطيبة، وشرح النفس وغيرها.

القلق من الحرمان

٨- إن عدم التوفيق لقيام الليل خسارة في حد نفسه، ولكنه أيضا كاشف عن حزازة في النفس ومنقصة فيها، وهي التي جلبت له مثل هذا الحرمان.

ولهذا فإن المؤمن لا يمر على سلب هذا التوفيق - ولو في ليلة من الليالي - مرور الكرام وكأنّ شيئا لم يقع، بل يبحث عن جذورها لئلا يتكرر الحرمان في ليلة لاحقة.

ومن هنا جاء أحدهم شاكيا إلى علي‌عليه‌السلام هذا الحرمان، وإذا بطبيب النفوس يبيّن العلة في ذلك قائلا: «**أَنْتَ رَجُلٌ قَدْ قَيَّدَتْكَ ذُنُوبُكَ**»[1]، وهذا التعليل سار في كل الأزمنة لمن ابتلي بهذا الحرمان - ولو في بعض لياليه - فإن لكل يوم وليلة حسابهما الخاص بهما، فقد يكون التقصير في ليلة سببا للحرمان في تلك الليلة.

شرط الإثمار

٩- إن المداومة على المستحبات لمن شروط الإثمار الكامل، فلا يتوقع المستمزج للعبادة أو المجرب لها في بعض أيامه ولياليه، أن يحصل على البركات المترتبة عليها، والموعودة بها في الآيات والروايات، فمثلا من أراد أن يكتب من المستغفرين بالأسحار فعليه بالاستغفار في صلاة الليل، مداوما عليها سنة كاملة. فعن الباقر‌عليه‌السلام: «**مَنْ دَاوَمَ عَلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ**

١) التوحيد (للصدوق)، ص٩٧.

وَالْوَتْرِ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ فِي كُلِّ وَتْرٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ وَاظَبَ عَلَى ذَلِكَ سَنَةً كُتِبَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ»[1].

والمستفاد من هذه الرواية: إن من سُلب منه التوفيق بعد هذا الالتزام، فإنه يبقى متصفا بهذه الصفة المقدسة، فكم من العظيم أن يحوز الإنسان على هذا الشرف الذي يفارقه بمغالبة نفسه سنة واحدة!.

الدعوة للجميع

١٠ـ إن الدعوة إلى قيام الليل، ليست متوجهة إلى طبقة خاصة من الأمة ممن يشار إليهم بالبنان في طريق السير إلى الله تعالى، بل إنه يعم خيار الأمة الذين عناهم النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «**مَا زَالَ جَبْرَئِيلُ يُوصِينِي بِقِيَامِ اللَّيْلِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ خِيَارَ أُمَّتِي لَنْ يَنَامُوا**»[2].

وعليه فكم من المعيب أن يطلع الله تعالى على أهل بلد، وفيهم من يقيم الليل، ممن هو ليس على نهج أهل البيت عليهم السلام والحال أن من يدعي الانتساب إلى نهجهم ينام مع الغافلين في الأسحار، وبكلمة عتابية فإن الإمام الصادق عليه السلام يُخرج هؤلاء عن الزمرة القريبة اللصيقة بهم حين يقول: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُصَلِّ صَلَاةَ اللَّيْلِ**»[3].

نور المتهجدين

١١ـ إن النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة ـ كما يصفه القرآن الكريم ـ يلامس أيضا أرواح المتهجدين بالليل، إلى درجة تنعكس على وجوههم في الدنيا، وإن لم يدركها فاقدوا البصيرة الباطنية، فقد

---

١) بحار الأنوار، ج٨٤، ص٢٢٥.

٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٥٤.

٣) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٦٢.

سُئل السجاد عليه السلام: «مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ بِاللَّيْلِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً؟ قَالَ: لِأَنَّهُمْ خَلَوْا بِاللهِ، فَكَسَاهُمُ اللهُ مِنْ نُورِهِ»[1] ولا شك أن لهذا النور تأثيره في الحياة الدنيا: حلاوة في القول، و سماحة في الوجه، وتأثيرا في القلوب، وهو معنى الود الذي يجعله الرحمن لمحبيه.

النور الخاص

١٢- إن لكل عبادة نورها الخاص بها، فما يكتسبه العبد من نور الحج لا يجده في الصلاة، وما يكتسبه من نور الجماعة لا يجده في صلاة الليل.. وعليه فإن المؤمن حريص على أن يكون مجْمعا لكل هذه الأنوار الربانية، فأي عمل يعوّض عن وقوف المتهجد في جوف الليل مناجيا ربه قائلا:

«الهي!.. غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتوحة للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني... أما وعزّتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكّ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليّ، فإنا الآن من عذابك من يستنقذني، وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنّي؟!»[2].

محطتا التنقية

١٣- إن للمؤمن محطتين لتنقية باطنه مما علِق به من شوائب الذنوب:

- وقفة في النهار متمثلة بالاستغفار بعد صلاة العصر، فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنِ اسْتَغْفَرَ اللهَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ سَبْعِينَ مَرَّةً، غَفَرَ اللهُ لَهُ سَبْعَمِائَةِ ذَنْبٍ»[3].

---

١) علل الشرايع، ج٢،ص٣٦٦.

٢) مصباح المتهجد، ج١، ص١٣٢.

٣) وسائل الشيعة، ج٦، ص٤٨٢.

- وقفة في الليل متمثلة بالاستغفار في صلاة الوتر سبعين مرة أيضا، وهو من موجبات المغفرة لما ورد عن الصادق عليه السلام أيضا أنه قال: «**صَلَاةُ الْمُؤْمِنِ بِاللَّيْلِ، تَذْهَبُ بِمَا عَمِلَ مِنْ ذَنْبٍ بِالنَّهَارِ**»[1]، والجامع للاستغفارين هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[2].

ولك أن تتصور إنسانا يستحم في اليومين مرتين، فهل يبقى من درنه شيء؟!.

تبعات العباد

١٤- إن من المواقف العسيرة يوم القيامة، هو موقف المصافاة مع العباد، والتي لا ترفعها مغفرة رب العالمين، فإن حق المخلوق يغاير حق الخالق، فقد يعفو الحق المتعال عما يتعلق بحقه، وتبقى تبعات العباد فيما بينهم ليعفو بعضهم عن بعض.

ومن هنا تأتي قيمة الاستغفار للمؤمنين في جوف الليل، وذلك عندما يذكر المؤمن الذين أساء بحقهم، فقد يكون هذا الاستغفار الليلي من موجبات تجاوز ذلك العبد يوم القيامة عن ظالمه؛ لأنه رصيد مدخر يظهر أثره في ذلك اليوم العصيب.

الحد الأدنى

١٥- إن البعض يترك قيام الليل بركعاتها الكاملة تكاسلا وتثاقلا، فما المانع أن يُلزم العبد نفسه بالحد الأدنى من القيام كالشفع والوتر، وذلك قبل منتصف الليل - لمن يُجيز الإتيان بها كذلك - إلى أن يستذوق في باطنه بركات العمل، فيدعوه للمزيد من الخير؟!.

---

١) الكافي، ج٦، ص١٤.

٢) هود/ ١١٤.



وهذا القليل الذي يداوم عليه العبد من موجبات اللطف الإلهي، فقد ورد عن الباقر عليه السلام أنه قال: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا دَاوَمَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ**»[1].

ولا يفوتنا هنا أن نقول بالمناسبة: إن العبد يصل إلى درجة من انكشاف الحجب عنه، بحيث تتساوى عنده المواسم، فلا يُقبل في وقت دون آخر، ولا يكتفي بالأقل في عالم الطاعة، بل شعاره: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[2]، وهو ما كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام حينما سَأَلْتُ أُمَّ سَعِيدٍ سُرِّيَّةَ عَلِيٍّ عَنْ صَلَاةِ عَلِيٍّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَتْ: رَمَضَانُ وَ شَوَّالٌ سَوَاءٌ، يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ.[3]

موجبات قيام الليل

١٦ـ هناك أمور ذُكرت لمن يروم قيام الليل، خائفا من غلبة سلطان النوم عليه، فمنها:

ـ قراءة آخر آية من سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[4]، وجزاؤه كما ذكر النبي صلى الله عليه وآله: «**سَطَعَ لَهُ نُورٌ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَشْوُ ذَلِكَ النُّورِ مَلَائِكَةٌ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ**»[5]، وآية الكرسي ثلاث مرات، وآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ...﴾[6]، وآية السخرة [7]، وتسبيحات الزهراء عليها السلام، والنوم على الوضوء.

---

١) الكافي، ج٦، ص٣٦.

٢) التغابن/ ١٦.

٣) بحار الأنوار، ج٤١، ص١٧.

٤) فصلت/ ٦.

٥) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٤٧١.

٦) آل عمران/ ١٨.

٧) تُعرف الآيات: ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ من سورة الأعراف بآية السُّخْرَة.

- قراءة المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله: **«مَنْ أَرَادَ شَيْئاً مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَأَخَذَ مَضْجَعَهُ فَلْيَقُلْ: «اللهُمَّ لَاتُؤْمِنِّي مَكْرَكَ، وَ لَاتُنْسِنِي ذِكْرَكَ، وَ لَاتَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ، أَقُومُ سَاعَةَ كَذَا وَ كَذَا»، إِلَّا وَكَّلَ اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- بِهِ مَلَكاً يُنَبِّهُهُ تِلْكَ السَّاعَةَ»**[1].

- شكر نعمة الاستيقاظ عندما يقوم العبد من مضجعه، ومن المعلوم أن شكر نعمة اليقظة في تلك الليلة، يوجب المزيد من التوفيق لليالي القادمة، فقد روي عن الباقر عليه السلام: **«إذا قُمْتَ بِاللَّيْلِ مِنْ مَنَامِكَ، فَقُلِ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي لِأَحْمَدَهُ وَ أَعْبُدَه»**[2].

- تخفيف العشاء، فإن ثقل الطعام يوجب ثقل النوم أيضا.

- النوم المبكر بدلا من الانشغال بالأباطيل المذهلة عن الحق، فإنه لا يمكن تحدي طبيعة البدن، فالبدن المرهق الذي لم يأخذ قسطه من النوم، لا يستجيب لصاحبه بنشاط وإقبال.

- قضاء صلاة الليل عند فواتها - وخاصة بعد القيام من النوم مباشرة - فإن هذا علامة صدق على أن صاحبها كان جادا في نيته، وخاصة مع استشعاره شيئا من الندم لما قد فاته.

- امتلاك الهاجس النفساني قبل النوم، وأن يعيش حالة من القلق، لاحتمال فوات التهجد في تلك الليلة، وبالتالي فقد الدرجات العليا عند الله تعالى، وهو ما يذكرنا به الإمام السجاد عليه السلام عندما يقول: **«مَعَاشِرَ شِيعَتِنَا أَمَّا الجَنَّةُ فَلَنْ تَفُوتَكُمْ سَرِيعاً كَانَ أو بَطِيئاً وَ لَكِنْ تَنَافَسُوا فِي الدَّرَجَاتِ»**[3].

---

١) الكافي، ج٤، ص٤٦١.

٢) الكافي، ج٤، ص٤٥٥.

٣) بحارالأنوار، ج٧١، ص٣٠٨.

معنى قلة الهجوع

١٧ـ وقع الكلام في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[١]؛ فمن قائل: إنهم كانوا قليلا ما ينامون في الليلة الواحدة، فيهجعون في كل ليلة فترة قليلة فيها ويصلّون أكثرها، ومن قائل: إنه مأخوذ بالقياس إلى مجموع الليالي، فيفيد أنهم يهجعون في قليل من الليالي بمعنى فوات قيام الليل فيها، ويقومون للصلاة في أكثرها أي لا يفوتهم صلاة الليل إلا في قليل من الليالي.

فعلى التقديرين فإن قيام الليل سمة لازمة للمؤمنين ـ حتى للذين كانوا في أوائل الدعوة ـ وعليه نقول: إن كان تمسّك من كان حديث عهد بالإسلام على ما وصفته الآية، فكم من الخسران أن يحرم العبد هذا التوفيق، وقد مضى من عمره ما مضى في أجواء الهداية والصلاح!.

تثبيت المكاسب

١٨ـ إن الله تعالى يشير إلى دور الليل ـ وخاصة ما فيه من الصلاة ـ في تثبيت المكاسب الأخروية فيها حين يقول: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً﴾[٢] فما ذكر في الآية ـ على ما ذكره صاحب الميزان[٣] ـ كناية عن كونها أثبت قدما لصفاء النفس، وعدم تكدرها بالشواغل النهارية، وقيل مواطأة القلب اللسان، والمراد بكونها «أقوم قيلا»، كونها أثبت قولا، وأصوب لحضور القلب و هدوء الأصوات، والمعنى أن حادثة الليل أو الصلاة في الليل هي أثبت قدما، أو أشد في مواطأة القلب اللسان، و أثبت قولا وأصوب، لما أن الله جعل الليل سكنا، يستتبع انقطاع الإنسان عن شواغل المعيشة، إلى نفسه و فراغ باله.

١) الذاريات/ ١٧.

٢) المزمل/ ٦.

٣) الميزان، ج٢٠، ص ٦٤.

وأما قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾[1] فإنه كناية عن الغور في مهمات المعاش، وأنواع التقلب في قضاء حوائج الحياة، والمعنى: أن لك في النهار مشاغل كثيرة تشتغل بها مستوعبة، لا تدع لك فراغا تشتغل فيه بالتوجه التام إلى ربك والانقطاع إليه بذكره، فعليك بالليل و الصلاة فيه.

البركات المختصة

١٩- إن من البركات المختصة بأهل قيام الليل وصلاة الفجر، هو توفيقهم لدرك ساعة اقتران ملائكة الليل الصاعدة وملائكة النهار النازلة، وهو المستفادة من قوله تعالى:﴿كَانَ مَشْهُوداً﴾[2].

ولا شك أن شهادة صنفي الملائكة لعبادة المتعبدين في هذا الساعة، لهي شهادة مقبولة في العرش، وليُعلم أن هذه الملائكة تتولى محاسبة العباد بإذن الله تعالى، كما أنها أيضا تستغفر لمن في الأرض.

سرور العرش

٢٠- من الممكن أن يصلي العبد صلاة ليله دهرا، ولكن قد تكون صلاة ليلة من الليالي تقع موقعها في العرش، لما فيها من التلبس بزي العبودية الخاصة، وذلك كما لو قام العبد بمجاهدة معتبرة في هذا المجال، ومثاله ما ورد في الحديث النبوي[3]: «**ثَلاَثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللهُ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ: الَّذِي إِذَا انْكَشَفَ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لله عَزَّ وَجلَ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللهِ عَزَّ وَجَلٍ وَ يَكْفِيَهُ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، كَيْفَ**

---

١) المزمل/ ٧.

٢) الإسراء/ ٧٨.

٣) كنز العمال، ج١٥، ص٨٤٣.

صَبْرَ لِي بِنَفْسِهِ، وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ، وَفِرَاشُ لَيِّنٌ حَسَنٌ؛ فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُنِي، وَلَوْ شاءَ رَقَدَ، وَ الَّذِي كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ رَكِبَ فَسَهِرُوا ثُمَّ هَجَعُوا، فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَّاءَ وَسَرَّاء».. ومن المعلوم أن الضحك هنا، كناية عن السرور والاستبشار.

إلقاء الثقل

٢١ـ لو تأمل العبد في هذه الآية لانتابه الخوف من أن يكون من مصاديقها؛ لأنها تتحدث عن حالة لا يحب الله تعالى فيها الخير من عبده، فيلقي عليه الوهن ويثبّطه عن العمل، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[1] فالآية وإن نزلت في مورد الجهاد، ولكن من الممكن أن يثبط الله تعالى عبده عن الصالحات في حالات أخرى، وذلك عندما يريد خذلانه ومنها قيام الليل، فيتفق أن يقوم العبد من ليلته لأمر سوى الصلاة، ولكنه لا يرى في قلبه أي إقبال على قيام الليل.

ويستفاد من بعض الروايات أن للشيطان دورا في إلقاء هذا الثقل عليه ليكرّهه عبادة ربه، فعن الصادق عليه السلام أنه قال: «لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ إِلَّا «وَيُوقَظُ» فِي كُلِ لَيْلَةٍ مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ أو مِرَاراً، فإن قَامَ كَانَ ذَلِكَ وَإِلَّا فَحَّجَ الشَّيْطَانُ فَبَالَ فِي أذنِهِ، أَوَ لَا يَرَى أَحَدُكُمْ أَنَّهُ إذا قَامَ ولَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ، قَامَ وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ ثَقِيلٌ كَسْلَانٌ»[2].

العجب من القيام

٢٢ـ يتفق للعبد أن يصاب بالعجب إذا توفق لصلاة الليل فترة من عمره

---

١) التوبة/ ٤٦.

٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٥٩.

- وخاصة إذا اقترن بالإقبال والخشوع - فيظن أنه قد قطع مسافات في طريق القرب من الله تعالى، والحال أن لكل ساعة عبادتها، فكونه موفقا من ساعة من ليل، لا يعني أنه قد وفّق لنيل رضى ربه في ساعات النهار أيضا، فقد يصبح وهو سيئ الخلق مع أهله بدعوى سهر الليل مثلا، وهنا يتدخل عالم الغيب في إلقاء النعاس عليه، لئلا يبتلى بمثل ذلك.

فقد روي عن النبيﷺ أنه قال: «**قال الله تعالى: إِنَ مِنْ عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ يَجْتَهِدُ فِي عِبَادَتِي، فَيَقُومُ مِنْ رُقَادِهِ وَلَذِيذِ وِسَادِهِ، فَيَتَهَجَّدُ لِيَ اللَّيَالِيَ، فَيُتْعِبُ نَفْسَهُ فِي عِبَادَتِي، فَأَضْرِبُهُ بِالنُّعَاسِ اللَّيْلَةَ وَ اللَّيْلَتَيْنِ؛ نَظَراً مِنِّي لَهُ، وَ إِبْقَاءً عَلَيْهِ، فَيَنَامُ حَتّى يُصْبِحَ، فَيَقُومُ وَهُوَ مَاقِتٌ لِنَفْسِهِ، زَارِئٌ عَلَيْهَا، وَ لَوْأُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ مِنْ عِبَادَتِي لَدَخَلَهُ الْعُجْبُ مِنْ ذلِكَ، فَيُصَيِّرُهُ الْعُجْبُ إلى الْفِتْنَةِ بِأَعْمَالِهِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ ذلِكَ مَا فِيهِ هَلَاكُهُ؛ لِعُجْبِهِ بِأَعْمَالِهِ، وَرِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، حَتّى يَظُنَّ أَنَّهُ قَدْ فَاقَ الْعَابِدِينَ، وَجَازَ فِي عِبَادَتِهِ حَدَّ التَّقْصِيرِ، فَيَتَبَاعَدُ مِنِّي عِنْدَ ذلِكَ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَ**»[1].

الالتفاتة الرحيمة

٢٣- ما من ريب أن نفس الاستيقاظ من أجل صلاة الليل وهجران الكرى، لمن موجبات الالتفاتة الرحيمة من الله تعالى في حد نفسه، لما يعيشه العبد من المعاناة عند التجافي عن مضجعه - كما يعبر عنه القرآن الكريم - فكيف إذا اقترن به الإقبال والخشوع.

وحينئذ من الممكن أن يؤدي العبد صلاته في حال من النعاس مترنحا يمينا وشمالا، إلا أن الله تعالى يباهي به الملائكة، وكفى بالعبد فخرا في تلك الحالة أن يفتخر به ربه، فقد روي عن الصادقعليه السلام أنه قال: «**إِنَ الْعَبْدَ لَيَقُومُ فِي اللَّيْلِ، فَيَمِيلُ بِهِ النُّعَاسُ يَمِيناً وَشِمَالًا، وَقَدْ وَقَعَ ذَقَنُهُ**

١) الكافي، ج٣، ص١٥٧.

عَلَى صَدْرِهِ، فَيَأْمُرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى أَبْوَابَ السَّمَاءِ، فَتُفَتَّحُ ثُمَّ يَقُولُ لِمَلَائِكَتِهِ انْظُرُوا إلى عَبْدِي، مَا يُصِيبُهُ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيَّ، بِمَا لَمْ أَفْرِضْ عَلَيْهِ رَاجِياً مِنِّي لِثَلَاثِ خِصَالٍ ذَنْبٍ أَغْفِرُهُ، أو تَوْبَةٍ أُجَدِّدُهَا، أو رِزْقٍ أَزِيدُهُ فِيهِ، أُشْهِدُكُمْ مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ جَمَعْتُهُنَّ لَهُ»[1].

الزوجان الإلهيان

٢٤ـ إن من الصور اللافتة عند أهل السماء ـ وهم الذين لا يُلفت نظرهم إلا ما كان عظيما ـ صورة زوجين مؤمنين يقيمان الليل على نحو التواصي فيما بينهما، وقد ترحّم النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه فيما روي عنه على مثل هذين الزوجين حيث قال: «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِن اللَيلِ فَصَلَّى، وَأَيقَظَ امرَأَتَهُ فَصَلَّت، فَإِن أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امرَأَةً قَامَت مِن اللَيلِ، فَصَلَّت وَ أَيقَظَت زَوجَها، فَإِن أَبَى نَضَحَت فِي وَجهِه الماءَ»[2]، والنتيجة إن هذا البيت الرباني يتحول إلى ما يشبه النجم لأهل السماء، ولك أن تتصور ما هي البركات النازلة على منزل مضيء بما فيه من: تلاوة القرآن، والصلاة بين يدي الله تعالى!.

فعن الصادقعَلَيهِالسَّلَام أنه قال: «إِنَ الْبُيُوتَ الَّتِي يُصَلَّى فِيهَا بِاللَّيْلِ بِتِلَاوةِ القرآن، تُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا يُضِيءُ نُجُومُ السَّمَاءِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»[3]، ويضاف إلى كل هذه المزايا، أن الله تعالى يكتب هكذا زوجين من الذاكرين لله كثيرا، وإن قلّ ذكرهما له بعد ذلك، فقد ذكر النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه هذه الحقيقة قائلا: «إذا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَ تَوَضَّئَا وَ صَلَّيَا، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ»[4].

---

١) علل الشرايع، ج٢، ص٣٦٤.

٢) مسند أحمد، ج ١٢، ص ٣٧٢.

٣) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، ص٤٢.

٤) وسائل الشيعة، ج٧، ص٢٥٧.

احتفاف الملائكة

٢٥ـ لو كشف الغطاء عمن يقوم الليل ـ وهو في خلوة لا يراه فيها أحد ـ لرأى عجبا من جهة الملائكة الحافة به، ولولا انكشاف هذه الحقائق في كلمات المعصومين عليهم السلام لما وسعنا علمها، ولخفيت علينا معالمها.

وهنا نقول: ما المانع أن يسلّم العبد على هذا الجمع من الملائكة المجتمعة حوله في جوف الليل، كما يستفاد من هذا الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وهو سيد المتهجدين حيث قال: «فَمَنْ رُزِقَ صَلَاةَ اللَّيْلِ مِنْ عَبْدٍ أو أَمَةٍ، قَامَ لله عَزَّ وَجَلَّ مُخْلِصاً، فَتَوَضَّأَ وُضُوءاً سَابِغاً، وَصَلَّى لله عَزَّ وَجَلَّ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ، وَقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَ بَدَنٍ خَاشِعٍ، وَعَيْنٍ دَامِعَةٍ، جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى خَلْفَهُ تِسْعَةَ صُفُوفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، فِي كُلِّ صَف مَا لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللهُ تَبَارَكَ وَ تعالى، أَحَدُ طَرَفَيْ كُلِّ صَفّ بِالمَشْرِقِ، وَالْآخَرُ بِالمَغْرِبِ، قَالَ: فَإِذا فَرَغَ كُتِبَ لَهُ بِعَدَدِهِمْ دَرَجَات»[1].

العقبة الكبرى

٢٦ـ إن من العقبات الكبرى في طريق السالكين إلى الله تعالى، هو عدم انكشاف معالم الطريق له كما هو في واقعه، فيكرّر أحدهم تجارب الخطأ والصواب إلى أن يصل إلى النتيجة، ومن الممكن أن لا يصل إليها أيضا، فهو وإن كان من جهة الأحكام في راحة حيث يعوّل على فتوى الفقيه فيه فتبرأ ذمته بذلك، إلا إن المشكلة في الموضوعات الخارجية التي لا يمكن الجزم برجحانها، لعدم وجود حكم شرعي ملزم فعلا وتركا فيها.

ومن هنا يأتي دور النور الإلهي ليريه الأشياء كما هي؛ إذ يجعل له فرقانا يمشي به في الناس، ومن موجبات انبثاق مثل هذا النور في قلب المؤمن، هو التزامه بقيام الليل لما فيه من الخلوة مع سيده، ولا يُعقل

---

١) الأمالي (للصدوق)، ص٦٨.

أن يهمله بعد مناجاة العبد له، وقول الرب له: «لبيك»، وهو الخطاب الذي يتعارف صدوره من العبد خطابا لربه، لا من الرب لعبده، فقد روي عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ أنه قال: «إِنَّ اللهَ جلَّ جَلَالُهُ أَوْحَى إِلَى الدُّنْيَا أَنْ أَتْعِبِي مَنْ خَدَمَكِ وَاخْدُمِي مَنْ رَفَضَكِ وَ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَخَلَّى بِسَيِّدِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَ نَاجَاهُ أَثْبَتَ اللهُ النُّورَ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا قَالَ يَا رَبِّ يَا رَبِّ!... نَادَاهُ الْجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ لَبَّيْكَ عَبْدِي!... سَلْنِي أُعْطِكَ، وَ تَوَكَّلْ عَلَيَّ أَكْفِكَ، ثُمَّ يَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ لِمَلَائِكَتِهِ مَلَائِكَتِي!... انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، فَقَدْ تَخَلَّى بِي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَ الْبَطَّالُونَ لَاهُونَ، وَ الْغَافِلُونَ نِيَامٌ، اشْهَدُوا أَنِّي غَفَرْت لَه »[1].

يضاف إلى هذا النور، تسديده بالحكمة والعقل كرسول باطني ملازم له، وهو أيضا ما بشر به النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ قائلا: «خِيَارُكُمْ أولُو النُّهَى قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: مَنْ أولُو النُّهَى، فَقَالَ: الْمُتَهَجِّدُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[2].

الملائكة المسددة

٢٧ـ يتفق للمؤمن أن يستيقظ في جوف الليل للصلاة بين يدي مولاه، فيرى نشاطا في باطنه رغم نومة غير طويلة في تلك الليلة، ولعل السبب في ذلك زيارة الملائكة المسددة له، والتي تولت إيقاظه في تلك الليلة أو في كل ليلة.. ومن المعلوم أن اليقظة المصاحبة لمباركة الملَك لمن موجبات قرة العين طوال نهاره، فقد روي عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِهِ أنه قال: «أَيُّهَا النَّاسُ مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَهُوَ يُضْرَبُ عَلَيْهِ بِخَزَائِمَ مَعْقُودَةٍ، فَإِذا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ، وَبَقِيَ ثُلُثُهُ أَتَاهُ مَلَكٌ فَقَالَ لَهُ: قُمْ فَإذكُرِ اللهَ، فَقَدْ دَنَا الصُّبْحُ قَالَ: فإن هُوَ تَحَرَّكَ وَ ذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَةٌ، وَ إِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ، انْحَلَّتْ عَنْهُ الْعُقَدُ كُلُّهُنَ، فَيُصْبِحُ قَرِيرَ الْعَيْنِ»[3].

---

١) الجواهر السنية فى الأحاديث القدسية، ص٢٨١.

٢) الأحاديث القدسية، ج٨٤، ص١٥٨.

٣) بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٥٥.

سهر المؤانسة

٢٨ـ من المعروف في عرف العاشقين للفانيات ومحبي الشمائل ـ كما يقال ـ أنهم يتخذون الليل للمسامرة مع من يهوون، من دون أن ينتابهم ملل أو كلل، فإن ساعة المؤانسة لأهلها تمر مر السحاب، فكيف بمن رأى في جوف الليل من التجليات ما يوجب الصعق تارة، والاندهاش تارة، والوجد تارة أخرى؟!.

ولهذا من الممكن أن نعد هجران العبد لفراشه للقاء ربه بشوق وترقب، من صور صدق المحبة والجدية في دعوى العبودية، وقد ورد حديث قدسي في غاية الرقة في هذا المجال، وهو ما أوحاه الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام قائلا: «**يَا بنَ عِمرَانَ!.. كَذِبَ مَن زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي، فَإِذَا جَنَّهُ اللّيلُ نَامَ عَنِّي، أَلَيسَ كُلُّ مُحِبُ يُحِبُّ خَلوَةَ حَبِيبِهِ؟.. هَا أَنَا ذَا يا بنَ عِمرانَ!.. مُطَّلِعٌ عَلَى أَحِبَّائِي، إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيلُ حَوَّلتُ أَبصارَهُم فِي قُلُوبِهِم، وَ مَثَّلْتُ عُقُوبَتِي بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ، يُخَاطِبُونِّي عَنِ الْمُشَاهَدَةِ وَيُكَلِّمُونِّي عَنِ الْحُضُورِ**»[١].

ولا بد هنا من التوقف عند العبارة الأخيرة المشيرة إلى بعض التجليات الخاصة في جوف الليل، والتي هي السبب في عشق أولياء الله تعالى لساعة السحر، حيث الإشارة إلى مقام المشاهدة والحضور ـ كما في هذا الحديث القدسي ـ والذي يغاير تماما عالم الاستطلاع الذهني لهذه المقامات.

البلاء الموفق

٢٩ـ إن البعض من المؤمنين قد يعاتب ربه جهلا أو دلالا ـ من دون أن يجري ذلك على لسانه ـ وذلك لما يرى من النقص في بعض جوانب حياته: سقما في بدنه، أو نقصا في رزقه، والحال أنه لو علم ما هو فيه من

١) وسائل الشيعة، ج٧، ص٧٨.

التوفيق ـ ومنها القيام في جوف الليل ـ لما تخيل هذا الوهم الباطل، إذ لعله لو فتحت عليه أبواب الدنيا لما وُفق لمثل ذلك القيام، فلعل البلاء الذي هو فيه هو السبب لذلك، ولو رفع عنه البلاء لما صاحبه ذلك التوفيق.

فلتأمل في قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي يقارن بين ركعتي الليل وبين الدنيا وما فيها: «**الرَّكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[1].

الأقرب للرب

٣٠ـ إن من أقرب مواطن قرب العبد من ربه هو عندما يكون ساجدا، ومن هذه المواطن أيضا ساعة قيام الليل، فهو عنوان مستقل في قبال عنوان السجود، وحالته وقربه من مولاه ـ لو كشف الغطاء عنه ـ هي نفس حالة السجود، وذلك من جهةٍ لو علم أنه بين يدي من، وما هو مدى الرحمة الغامرة له، لما سره أن يصرف وجهه عما هو فيه.

وهذا هو ما نفهمه من جواب الإمام الصادق عليه السلام لمن سأله: «**أَيُّ سَاعَةٍ يَكُونُ الْعَبْدُ أَقْرَبَ إلى اللهِ وَ اللهُ مِنْهُ قَرِيبٌ؟ قَالَ: إذا قَامَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَ الْعُيُونُ هَادِئَةٌ، فَيَمْشِي إلى وَضُوئِهِ حَتَّى يَتَوَضَّأَ بِأَسْبَغِ وُضُوءٍ، ثُمَّ يَجِيءُ حَتَّى يَقُومَ فِي مَسْجِدِهِ، فَيُوَجِّهُ وَجْهَهُ إلى اللهِ، وَيَصُفُّ قَدَمَيْهِ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ، وَيُكَبِّرُ وَافْتَتَحَ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ أَجْزَاءً، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَقَامَ لِيُعِيدَ صَلَاتَهُ، نَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ عَنَانِ السَّمَاءِ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُنَادِي رَبَّهُ، إِنَّ الْبِرَّ لَيُنْشَرُ عَلَى رَأْسِكَ مِنْ عَنَانِ السَّمَاءِ، وَالْمَلَائِكَةَ مُحِيطَةٌ بِكَ مِنْ لَدُنْ قَدَمَيْكَ إلى عَنَانِ السَّمَاءِ. وَاللهُ يُنَادِي: عَبْدِي لَوْ تَعْلَمُ مَنْ تُنَاجِي إذا مَا انْفَتَلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ مَا الِانْفِتَالُ قَالَ: تَقُولُ بِوَجْهِكَ وَجَسَدِكَ هَكَذَا، ثُمَّ وَلَّى وَجْهَهُ فَذَلِكَ الِانْفِتَال**»[2].

---

١) وسائل الشيعة، ج٨، ص١٥٦.

٢) بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٥٨.

جيفة الليل

٣١- إن من صور الشقاء للعبد بحسب الواقع - وإن كان مشغولا بما يظنه أن فيه السعادة - أن يكون مبغوضا وقبيحا عند ربه، وذلك عندما يتحول إلى جيفة في الليل، فما الفرق بين النائم الذي لا يذكر الله تعالى، وبين ميت بشري أو حيواني؟!.. ففي الأول حياة مع موت القلب بما يوجب اللوم، وفي الثاني موت البدن الذي قد لا يستتبع عتابا ولا عقابا.

وعليه فإن تصور هذا المنظر المنفّر، يجعل العبد يحوّل نومه إلى عبادة وذلك بالتطهر قبله، وقراءة المأثورات قبلها، ثم النوم بنية الاستيقاظ لقيام الليل، **فقد سأل موسى**عليه السلام: **يَا رَبِّ!.. أَيُّ عَبادِكَ أَبغَضُ إِلَيكَ؟.. قَالَ:«جِيفَةٌ بِاللَّيْلِ بَطَّالٌ بِالنَّهَار»**[1].

التنوع في صلاة الليل

٣٢- إن الشارع المقدس جعل عباده في سعة من جهة الإطالة أو الاختصار في صلاة الليل، وذلك بحسب طاقتهم وانفتاح شهيتهم الباطنية، ومن هذا المنطلق فإنه يمكن الإتيان بها بركعاتها الإحدى عشرة، كما يمكن الاكتفاء بركعتي الشفع والوتر، كما أن المصلي مخير بين الإتيان بالركعة من دون سورة وبين تلاوة سور متعددة في ركعة واحدة، كما يمكنه الإتيان بها قبل منتصف الليل - على بعض الفتوى - كما يجوز له القضاء إذا فاتته، أو يصليها قياما أو جلوسا، كما أن بإمكانه أن لا يقنت فيها أبدا، وله أن يستغفر لأربعين مؤمن، وتكرار الاستغفار سبعين مرة، مضيفا له العفو ثلاثمائة مرة، غير الأدعية الطوال الواردة ساعة السحر.

---

١) بحارالأنوار، ج١٣، ص٣٥٤.

التشجيع على القيام

٣٣- إن البعض منا يظن أن كتمان الخير أمر محمود دائما، والحال أن القرآن يصف المؤمنين بأنهم ينفقون أموالهم سرا وعلانية؛ لما في الإنفاق علانية مع أمن الرياء - كما هو مقتضى إيمانهم - تشجيع للغير على الطاعات، ومن هذا المنطلق فإن ذكر قيام الليل - وهو من أخص العبادات التي يؤتى به في السر والخلوة - قد يكون راجحا لغرض يرتضيه المولى، من قبيل: تسهيل الأمر على الغير بذكر خفته، أو تحفيزه بذكر مزاياه في العاجل والآجل.

وقد وردت رواية في رجحان إظهار العمل في مثل هذه الحالة وهي ما روي عن الباقر عليه السلام أنه قال: «لَا بَأْسَ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ إِذَا رَجَوْتَ أَنْ تَنْفَعَهُ وَ تَحُثَّهُ، وَ إِذَا سَأَلَكَ هَلْ قُمْتَ اللَّيْلَةَ أَوْ صُمْتَ، فَحَدِّثْهُ بِذَلِكَ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ، فَقُلْ: قَدْ رَزَقَ اللهُ ذَلِكَ، وَ لَا تَقُلْ لَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ»[1].. ومن الممكن أن نعمم هذه المقولة من الإمام عليه السلام في كل أبواب الخير.

---

١) مستدرك الوسائل، ج١، ص١١٥.



الآداب الباطنية للمسجد

مزايا البيت الإلهي

١ـ جرت العادة أن تكون البيوت متناسبة مع أصحابها، فقصر الملك لا يُقاس ببيت الرعية، ومن المعلوم أن المسجد هو بيت الله عز وجل الذي يستجمع كل المزايا المتصورة في عالم الضيافة الإلهية، ومن لوازم زيارة بيته تعالى:

ـ الإغاثة: فقد جرى العرف البشري على إغاثة من يلتجئ إلى دار كريم أو وجيه من وجهاء الدنيا ـ ولو كان الملتجئ ـ ظالما، بل كانت تقع الحروب عند مخالفة هذا العرف كما هو واقع في تاريخ الجاهلية؛ فإذا كانت هذه البيوت محمية من التعرض لمن يلتجئ إليها، فكيف ببيوت الله تعالى؟!.. ومن هنا نعتقد أن سُلطة الشياطين وقوتها تضعف في المساجد، وإن الذي يصلي في المسجد جماعة، يكون إقباله أسهل بكثير ممن يصلي في المنزل، وذلك من جهة أن الحماية الإلهية للمصلي تتضاعف في جمع المؤمنين، وفي بيت من بيوت الله تعالى.

ونقول هنا بالمناسبة: إن بعضهم يحرم نفسه إتيان المساجد، بدعوى طلب الإقبال في المنزل فرادى، ومن الواضح أن هذه وسوسة من الشيطان، وهو يغريه بذلك ليحرمه الثواب الجزيل، فالمؤمن يجمع بين الصلاة في المسجد والخشوع فيه أيضا؛ لأنه عندما يقف في صفوف

المصلين، فإن هنالك رحمة غامرة تحيط بهم جميعا حتى لو أقيمت هذه الجماعة خارج المسجد، فكيفَ إذا أقيمت الصلاة جماعة، وفي بيت الله تعالى وبحالة من الإقبال؟!. وبذلك تجتمع أركان الكمال في الصلاة أعني: جماعة المؤمنين، والبيت الإلهي، والخشوع الصلاتي.

- الضيافة: فعندما يقوم الإنسان بزيارة أحدهم، فإن أول خطوة يقوم بها المزور - كحق ثابت للزائر- هو إكرامه بما أمكنه، فكيف الأمر عند أكرم الأكرمين؟!. وخير ما يجسّد هذا المعنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتعالى: إِنَّ بُيُوتِي فِي الأَرْضِ المَسَاجِدُ، تُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ النُّجُومُ لِأَهْلِ الأَرْضِ.. أَلاَ طُوبَى لِمَنْ كَانَتِ المَسَاجِدُ بُيُوتَهُ!.. أَلاَ طُوبَى لِعَبْدٍ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي!.. أَلاَ إِنَّ عَلَى المَزُورِ كَرَامَةَ الزَّائِرِ، أَلاَ بَشِّرِ المَشَّاءِينَ فِي الظُّلُمَاتِ إلى المَسَاجِدِ، بِالنُّورِ السَّاطِعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1]، ومن المعلوم أن المقصود بالمساجد - في الرواية - مطلق المساجد، فرب العالمين لا ينظر إلى صور الناس وأبدانهم، ولا ينظر إلى بناء المساجد وزخرفها!.. فالبيت إذا صار لله تعالى وإن كان من قصب لا سقف له - كما كان بناء مسجد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله - فإنه يبارك فيه بما ذكر في الرواية.

- زيارة الله تعالى: «**أَلاَ طُوبَى لِعَبْدٍ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي**»[2] فكلمة «طوبى»، يوازي كلمة «ويل» بفارق أن الويل يستعمل في العذاب وطوبى في الثواب، وانطلاقا من هذا الحديث فإن البعض يتعمد الوضوء في منزله، ليكون مصداقا دقيقا لهذه الرواية، وقد روي أيضا عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**عَلَيْكُمْ بِإِتْيَانِ المَسَاجِدِ فإنهَا بُيُوتُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَمَنْ أَتَاهَا مُتطَهِّراً طَهَّرَهُ اللهُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَكُتِبَ مِنْ زُوَّارِه**»[3]. فرب

---

١) المحاسن، ج١، ص٤٧.

٢) بحارالأنوار، ج٨١، ص١٤.

٣) الأمالي (للصدوق)، ص٣٥٩.

العالمين لا يحدهُ زمان ولا مكان، ولكن بيوته في الأرض هي هذه المساجد، فكما أن استلام الحجر في حكم استلام يمين الله تعالى في الأرض، فيقول العبد: «**أَمَانَتِي أَدَّيْتُهَا، وَ مِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ، لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُوَافَاةِ**»[١]، فكذلك الأمر عندما يذهب إلى بيت من بيوت الله تعالى، فإنها هي الأماكن التي يُزار فيها رب العالمين بالمعنى الكنائي، فناسب أن يقول متوجها: «**إلهي العبد عبدك، والبيت بيتك، وها أنا ذا بين يديك**».

الآية الذامة والمادحة

٢ـ هُناك آيتان في القرآن الكريم حول بناء المساجد: إحداهما آيةٌ ذامة والأخرى مادحة:

ـ فالآية الذامة تتحدث عن مسجد ضرار، فقد اشتد فيه التعبير والنسبة إلى الكفر حيث يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَ اللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٢] ومختصر قصة «مسجد ضرار»:

إنّ بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء، و بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأتيهم فأتاهم وصلّى فيه، فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف، فقالوا: نبني مسجداً فنصلي فيه، ولا نحضر جماعة محمد، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قبا، فلّما بنوه أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة، والليلة المطرة والليلة الشاتية، وإنّا نحب أن تأتينا فتصلي فيه لنا، وتدعو بالبركة، فقال صلى الله عليه وآله: إنّي على جناح سفر، ولو قدمنا

---

١) المحاسن، ج٢، ص٣٤٠.

٢) التوبة/ ١٠٧.

أتيناكم إن شاء الله، فصلّينا لكم فيه، فلمّا انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك، نزلت عليه الآية في شأن المسجد ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي يا رسول الله، لا تقترب من هذا المسجد!.. والنبي صلى الله عليه وآله لم يكتف بعدم مباركة المسجد والصلاة فيه، بل أمر المسلمين بإحراقه، ثم تخريب جدرانه لتصير مزبلة ترمى فيها القمامة، فهذا مصيرُ المسجد الذي يُبنى لغيرِ اللهِ عزَ وجل!.

ـ والآية المادحة تتحدث عن مسجد قباء، فقال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[1] فمن يوفق للحج أو العمرة يذهب إلى هذا المسجد ليصلي فيه ركعتين، وتكتب له بذلك عمرة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**صَلَاةٌ فِي مَسجِدِ قُباءَ، كَعُمَرَةٍ**»[2]، وقال صلى الله عليه وآله أيضا: «**مَن تَطَهَّر فِي بَيتِهِ، ثُمَّ أَتَى مَسجِدَ قُباءَ فَصَلَّى فِيهِ، كَانَ لَهُ كَأَجرِ عُمرَةٍ**»[3]، فانظر كيف صار هذا المسجد من المساجد الخالدة في تاريخ الاسلام، وذلك لأن من قاموا بتأسيسه كانوا من المتطهرين، فقاموا بعمارة أنفسهم قبل عمارة بيوت ربهم، ومن المعلوم أن عمارة النفس يغاير البناء الخارجي، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[4].

وهذه القاعدة سارية على مدى الأزمان والاعصار، فبعضهم يقوم بصدقة جارية لا يُبارك له فيها، بل تندثر مع الأيام، وهناك ما يُكتب له

---

١) التوبة/ ١٠٨.

٢) سنن ابن ماجة، ج١، ص٤٥٣.

٣) المصدر السابق.

٤) التوبة/ ١٨.

البقاء والخلود؛ إذ المدار في بركات البناء هي خشية الباني، كما في الآية المذكورة، واللافت في ذلك أنه مع تحقق هذه الخشية أيضا فإن الله تعالى يجعل الهداية مرجوة لهم بقوله: ﴿فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[1].

عمارة المسجد

٣ـ إن عمارة مساجد الله تعالى لها مصداقان:

ـ المصداق الأول: البناء المادي وهو تارة يكون بناء كاملا ولو على مساحةٍ صغيرة: «**مَنْ بَنَى مَسْجِداً كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ**»[2]. وقد يكون تارة مساهمة في بناءِ بيتٍ من بيوت الله تعالى ولو بلبنة واحدة، فرب العالمين واسعٌ كريم، يقبل من عباده اليسير من العمل ويجازيهم عليه بالعظيم من الأجر.

ففي نيشابور هنالك قبرٌ لعجوزة تسمى شطيطة، وهي التي بعثت بدرهم للإمام الكاظم عليه السلام فقبل منها ذلك وقال: «**إن الله لا يستحيي من الحق**»[3]، وإلى يومنا هذا، فإن درهم شطيطة ذهب مثلًا في القبول!.

ـ المصداق الثاني: البناء المعنوي، ونعني بذلك توقير بيوت الله تعالى، بما يحقق مصداق العمارة والتوقير من هذه المصاديق:

أ. عدم اللغو: فعن أبي ذر الغفّاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يَا أَبَا ذَرٍّ مَنْ أَجَابَ دَاعِيَ اللهِ وَأَحْسَنَ عِمَارَةَ مَسَاجِدِ اللهِ كَانَ ثَوَابُهُ مِنَ اللهِ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ يُعْمَرُ مَسَاجِدُ اللهِ؟ قَالَ: لَا تُرْفَعُ فِيهَا الْأَصْوَاتُ، وَلَا يُخَاضُ فِيهَا بِالْبَاطِلِ، وَلَا يُشْتَرَى فِيهَا وَلَا يُبَاعُ، وَاتْرُكِ اللَّغْوَ مَا دُمْتَ**

١) التوبه/ ١٨.

٢) من لايحضره الفقيه، ج١، ص٢٣٥.

٣) انظر القصة في كتاب مناقب آل أبي طالب (لابن شهر آشوب)، ج٤، ص٢٩١.

فِيهَا، فإن لَمْ تَفْعَلْ فَلَا تَلُومَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَفْسَكَ»[1] فكيف إذا خضنا بالباطل بأصوات مرتفعة، فجمعنا بين الرذيلتين؟. والباطل هنا قد يعم الباطل بمعنى الحرام الشرعي، أو بمعنى اللغو الذي لا معنى له، أضف إلى ذلك كله، فإن الذي لا يوقّر المسجد فقد أضر بغيره؛ لأنه قد يوجب حرمان أحدهم من التوجه في صلاته، فبذلك يسقط من عين الله تعالى؛ لأنه آذى أخاه المؤمن من جهة، واستخف بأمر الله تعالى من جهة أخرى، فإن من كان في قاعة السلطان التزم بلوازمها، وهذا بيت الله تعالى، وهو أولى بذلك بما لا يقاس طبعا!.. كما أنه أضر بنفسه حيث حرم نفسه الإقبال على الله تعالى وهو في بيته، لوضوح أن الله تعالى ما جعل لرجل من قلبين في جوفه، فمن اشتغل بالأباطيل لا يمكنه الإقبال على الحق المتعال؛ إذ ليس بعد الحق إلا الضلال.

ب. إقامة الصلاة: فما دام المؤمن في ضيافة مولاه و في فترة محددة، فلِم لا يغتنم الفرصة للإتيان بالنوافل والفرائض، ما دام الإقبال في المسجد أيسر تحقق قياسا إلى المنزل؟!.. أضف إلى أنه لا يخلو مؤمن من صلوات القضاء ـ ولو فجرا ـ ليكون الإتيان بها وخاصة في موارد الفوات العمدي، من موجبات قبول المولى له ولصلاته.

ج. قراءة القرآن: فإن حديث الله تعالى مع العبد يكون من خلال القرآن الكريم، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: «**مَنْ كَانَ القرآن حَدِيثَهُ، وَالمَسْجِدُ بَيْتَهُ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ**»[2].

وعليه فمن يشتاق إلى حديث رب العالمين معه، فإنه يقرأ كتابه؛ إذ القرآن هو الكتاب النازل، كما أن الذي يشتاق إلى حديث مع الرب معه فإنه يصلي، حيث إن الصلاة هي حديث العبد مع مولاه، ولا تنبغي

---

1) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٣٤.

2) الأمالي (للصدوق)، ص٥٠١.

الغفلة عن أن الصلاة جامعة للنورين معا، أي نور القرآن والدعاء.

وخير مكان لتلاوة كتاب رب العالمين هو بيته، وعليه فإن المؤمن في المسجد يكون بين حديثٍ مع الرب، وبين حديث للرب معه، أو لا يصدق بعدها أن الجلوس في المسجد خير من الجنة؟!.. وهو ما علله علي عليه السلام قائلا: «**الجَلْسَةُ فِي الجَامِعِ خَيْرٌ لِي مِنَ الجَلْسَةِ فِي الجَنَّةِ؛ لِأَنَّ الجَنَّةَ فِيهَا رِضَى نَفْسِي، وَالجَامِعَ فِيهِ رِضَى رَبِّي**»[1].

د. التأمل: إن المؤمن وهو في المسجد يستطيع أن يتأمل في حاله، وإن لم يكن في حال صلاة أو قراءة للقرآن، فيفكر: من أين وفي أين وإلى أين ؟!.. وما الجديد في حياته ؟!.. فقد عاش ما عاش ولم يزدد معرفة ولا قربا من مولاه، فيأخذ الإنسان بمعاتبة نفسه، عندما لا يجد جوابا مقنعا على أسئلته تلك، وقد تكون زيارة واحدة للمسجد بهذه النية، كافية لتغيير مجرى حياته إلى الأبد.

هـ. المناجاة: فطوبى لإنسان وهو في بيت الله تعالى يُفكر في هذهِ المضامين: «**آهِ.. آهِ.. مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدِ السَّفَرِ**»[2] ومناجيا ربه قائلا: «**فَوَاسَوْأَتَاهْ غداً مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ، إذا قِيلَ لِلْمُخِفِّينَ جُوزُوا، وَ لِلْمُثْقِلِينَ حُطُّوا أَمَعَ الْمُخِفِّينَ أَجُوزُ أَمْ مَعَ الْمُثْقِلِينَ أَحُطُّ وَيْلِي كُلَّمَا طَالَ عُمُرِي كَثُرَتْ خَطَايَايَ وَ لَمْ أَتُبْ أَمَا آنَ لِي أَنْ أَسْتَحِيَ مِنْ رَبِّي**»[3].

و. القراءة: فبعض المساجد فيها مكتبة نافعة، فبإمكان المؤمن أن يأخذ منها كتاباً نافعاً، ويقرأ الكتب الدالة على عظمة الله تعالى في خلقه، ثم يصلي بعدها مستذكرا بديع صنعه قائلا: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، فيا له من أسلوب جميل!.

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص١٩٩.

٢) بحار الأنوار، ج٣٣، ص٢٧٥.

٣) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٨١.

نوعا التشريع

٤ـ إن رب العالمين لهُ نوعان من التشريع: تشريعٌ للجلوات، وآخر للخلوات:

ـ فتارةً يحثنا على صلاة الجماعة، حيث إنه قلما ورد التأكيد على مستحب كالتأكيد على صلاة الجماعة، حيث ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام تأكيد مذهل على هذه الصلاة، حتى أنه يُفهم من بعض المضامين أن الركعة الواحدة منها لا يحصي ثوابها إلا الله عز وجل، ففي حديث قدسي طويل، ورد فيه فضل صلاة الجماعة: «**فإن زَادُوا عَلَى الْعَشَرَةِ، فَلَوْ صَارَتْ بِحَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّهَا مِدَاداً، وَالْأَشْجَارُ أَقْلَاماً، وَالثَّقَلَانِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ كُتَّاباً، لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَكْتُبُوا ثَوَابَ رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ**»[1]. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الحج وصلاة العيدين؛ فهذه كلها عبادات في العلن.

ـ وتارة يحثنا على الصوم وصلاة الليل والصدقة، وهذه عبادات في السر.

وعليه فإن رب العالمين يحب أن يُعبد علناً كما يحب أن يعبد سراً، والذي يُتقن عبادةَ ربه في الخلوات، هو الذي يتقنها في الجلوات، وهنيئاً لإنسان له خلوة مع الله تعالى في الليل، وله حديث معه في النهار!.. فأرواحنا بحاجة ـ في طريق تكاملها ـ إلى صلاة الجماعة، كما هي بحاجة إلى صلاة الليل، ليكون مصداقا لما ورد في المناجاة الشعبانية: «**فَنَاجَيْتَهُ سِرّاً وَعَمِلَ لَكَ جَهْراً**»[2]، وطوبى لمن جمع بينهما في صلوات الفجر، حيث جماعة العلن، والمشي إلى المسجد في خلوة الليل!..

---

١) مستدرك الوسائل، ج٦، ص٤٤٤.

٢) بحارالأنوار، ج٩١، ص٩٩.

الطبقة المتميزة

٥- إن من المتميزين من بين المؤمنين، هم الذين يرون في أنفسهم شوقا وحنينا إلى المسجد، فهم فيه كالسمكة في الماء لا كالطير في القفص.

ومن الممكن القول: بأن المؤمن يختبر مدى إيمانه بملاحظة حاله في المسجد، فإن رأى نفسه - كما تصفه الرواية - كان ذلك علامة على صدق إيمانه.

ومن العلامات أيضا شوقه لاستقبال الفريضة الأخرى، فيستشعر في قلبه هذه الحقيقة وهي: أن أنسه بالمسجد أشد من أنسه بمنزله وأهله، ومن هنا يتبع الفريضة بالفريضة، ويكون من أول الداخلين إلى المسجد - إثباتا لشوقه إلى صاحبه - وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِنْ خَالِصَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ زَارَ أَخَاهُ فِي اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَهُوَ زَوْرُ اللهِ، وَعَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ زَوْرَهُ، وَ يُعْطِيَهُ مَا سَأَلَ، وَ رَجُلٌ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى وَعَقَّبَ انْتِظَاراً لِلصَّلَاةِ الْأُخْرَى فَهُوَ ضَيْفُ اللهِ وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ ضَيْفَهُ، وَالحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، فَهُمَا وَفْدُ اللهِ وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ وَفْدَهُ**»[1].

آداب المسجد

٦- إن على المصلي - عندما يدخل المسجد - عليه أن يراعي كل آداب دخول المساجد من: قراءة المأثور، وتقديم الرجل اليمني على اليسرى، والخروج بالعكس، وأخذ الزينة، والتطيب، والدخول بأطيب وأطهر لباسه، وأن يعيش حقيقة أن هذا المكان ملك خالص لله عز وجل، وإن كان كل ما علي الأرض ملكا له.

وليُعلم هنا أن هذا الأدب الأخير - أي الإحساس بكونه في بيت الله

---

١) وسائل الشيعة، ج٤، ص١١٦.

تعالى وضيافته ـ موجب لتحقق جميع الآداب الأخرى، فالمكان إذا أوقف مسجدا، صار بيتا لله تعالى إلى قيام الساعة. فعندما يدخل المسجد، عليه أن يستحضر مالكية الله تعالى الخاصة لتلك البقعة.

ومن المعلوم أن من ورد على الكريم، فإن وروده يوجب حقا عليه، لما قيل من أن لكل قادم كرامة، ولو كان مجرما أو مسيئا، ولهذا جعل الله تعالى مجرد الدخول إلى حرمه في مكة، من موجبات الامان بقول مطلق، وهذا الامن متحقق نسبيا في كل المساجد؛ إذ من دخلها كان آمنا بمعنى من المعاني.

كرم أهل البيت

٧ـ إن أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ وهم المتخلقون بأخلاق الرب المتعال ـ كانوا يعتقون من بأيديهم، عندما كانوا يرون حركة لطف أو اعتذار من جارية أو من غلام، إذ العتق غاية أمنية كل مملوك، وهذا هو ما وقع مع الحسين عليه السلام عندما دخلت عليه جارية وبيدها طاقة ريحان، فحيّته بها، فقال لها: **«أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ، فَقُلْتُ: تَجِيئُكَ بِطَاقَةِ رَيْحَانٍ لَا خَطَرَ لَهَا فَتُعْتِقُهَا، قَالَ: كَذَا أَدَّبَنَا اللهُ، قَالَ اللهُ: وَإذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أو رُدُّوها، وَ كَانَ أَحْسَنَ مِنْهَا عِتْقُهَا»**[1].

ولا ريب أن عتق الرقبة من النار، أهم من عتق الرقبة من الرقيّة الظاهرية، وهو المرجو من صاحب المسجد، عندما يدخله العبد طالبا فكاك رقبته من النار!.

فإذا كان المرجو مثل هذا الخلاص المصيري من زيارة واحدة للمسجد، فكيف بالزيارات المتكررة؟!.

١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٥.

الانسلاخ عن الهوية

٨- إن كل من يدخل الحرم الإلهي أو مسجد الرسول صلى الله عليه وآله أو مشاهد أبنائه المعصومين عليهم السلام فإنه ينسلخ عن هويته الرسمية، ويكتسي وشاح الضيافة لله تعالى، وهكذا الأمر فيمن دخل المسجد أيضا، فإنه حل ضيفا على الله تعالى، وعلى المصلي أن ينظر إلى المصلين بهذا المنظار الإلهي، وهو الموجب للحصانة لمن دخل بيته.

وعليه فإن توهين هذا المؤمن في المسجد، قد يثير غضب الرب المنتقم؛ لانه في دائرة حمايته وضيافته، فإياك أن تتكلم معه بكلمة جارحة، وإياك أن تغتابه وهو في المسجد!..

وهناك حقيقة أخرى في هذا المجال: وهو أن الإدمان على حضور المسجد، من موجبات الحكم بحسن الظاهر، وبذلك ترجح مجاورته ومعاملته ومصاهرته كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله : «**مَن صَلَّى الخَمسَ فِي جَماعَةٍ، فَظَنُّوا بِهِ خَيرَاً**»[1].

دروس الحياة

٩- إن كل فقرة من فقرات آداب صلاة الجماعة ومستحباتها، فيها درس بليغ من دروس الحياة، ولولا صلاة الجماعة في المساجد لما بقي للإسلام نور ووهج.

وعليه فإن من موجبات توقير الشريعة، هو تشريع الجماعات والأمر بعمارة المساجد، فالمصلي له دور في تحقيق هذه الكرامة لبيوت الله تعالى، عند عمارتها بالبناء والحضور، وإن لم يشعر بذلك تفصيلا.

---

١) وسائل الشيعة، ج٨، ص٢٨٧.

حرمة المساجد

١٠- هنالك بعض التشريعات المتعلقة بالمساجد من: حرمة دخول الجنب والحائض، وحرمة التنجيس والمبادرة إلى التطهير، وغيرها من الأمور الدالة على حرمة هذا المكان المقدس الذي تناسبه الطهارة والتقديس.

ومن هنا نقول: إن مبدأ السنخية بين هذه الآداب والمسجد، يقتضي أيضا من المصلي، أن لا يدنس المسجد بقذارته الباطنية، فكيف يراعي حرمة المسجد فمن كان متدنسا بأكل لحم الميتة عند الغيبة مثلا، وهو لم يستغفر الله تعالى متطهرا منها قبل الدخول؟!.

المعية الدائمة

١١- لا شك أن المعية الإلهية متحققة - تكوينا - مع العبد في كل حركاته وسكناته، ولكن تشتدّ المعية اللطف في بعض المواطن، إلى درجة يُوصف فيها العبد بأنه ضيف الله تعالى وزائره ومن وفاده، ومن المعلوم أنه إذا انطبق مثل هذا العنوان على العبد، فإنه سيعيش في كنف اللطف الإلهي المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذينَ اتَّقَوْا وَالَّذينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[1]، ومن المصاديق المحققة لهذه الضيافة المستلزمة للمعية الخاصة، هو حضور المساجد والصلاة فيها.

ضريبة المكان

١٢- إن لكل مكانٍ لوازمه من جهة مراعاة الحقوق والآداب، وملوك الدنيا - عادة - يبالغون في تشريفات لقائهم إلى درجة يخاف الداخل عليهم من التقصير في أداء ما ينبغي عليه، فكيف بمن يريد اللقاء بمكان منسوب إلى مالك الوجود؟!.

---

١) النحل/ ٢٨.

وعليه لا بد أن يكون في أعلى درجات التوقير والتعظيم له، فلا يثير غضبه بمعصيته وهو في بيته، ويحاول أن يكون متأدبا في كل حركاته وسكناته بما يطلبه منه في ساحة لقائه.

ومن هنا عد الفقهاء جملة من الأمور التي يكره الإتيان بها في المسجد فقيل: يكره استطراق المساجد إلا أن يصلي فيها ركعتين، وكذا إلقاء النخامة والنخاعة، والنوم إلا لضرورة، ورفع الصوت إلا في الأذان ونحوه، و إنشاد الضالة، وقراءة الأشعار غير المواعظ ونحوها، والبيع، والشراء، والتكلم في أمور الدنيا، واتخاذها محلا للقضاء والمرافعة، وسل السيف، ودخول من أكل البصل والثوم ونحوهما مما له رائحة تؤذي الناس، وتمكين الأطفال والمجانين من الدخول فيها، وإخراج الريح.

والإمام الصادق عليه السلام يجمع كل آداب دخول المسجد بكلمة جامعه قائلا كما روي عنه: **«إذا بَلَغْتَ بَابَ المَسْجِدِ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَصَدْتَ بَابَ بَيْتِ مَلِكٍ عَظِيمٍ، لَا يَطَأُ بِسَاطَهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، وَلَا يُؤْذَنُ بِمُجَالَسَةِ مَجْلِسِهِ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ، وَهَبِ الْقُدُومَ إِلى بِسَاطِ خِدْمَةِ المَلِكِ، فإنكَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ، إِنْ غَفَلْتَ هَيْبَةَ المَلِكِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ مَعَكَ وَبِك»**[1].

جامعية المسجد

١٣- إن البعض يرى المسجد دارا للعبادة فحسب، وهذا هو حال بعض المساجد في العصر الحاضر، فتراها مقفلة أبوابها بعد الصلاة مباشرة، ناهيك أن بعضا منها تحول إلى ما يشبه المتاحف يدخلها المسلم والكافر، وهذا كله من آثار عدم الإخلاص في بنائها، بل لأجل التفاخر والتباهي كما يصنعه الملوك عادة، ولكن المسجد الذي يُراد عمارته في الإسلام، هو ما

١) بحار الأنوار، ج٨٠، ص٣٧٣.

كان جامعا للمنافع الدنيوية والأخروية، والتي يذكر شطرا منها علي عليه السلام في قوله: «**مَنِ اخْتَلَفَ إلى المَسْجِدِ أَصَابَ إِحْدَى الثَّمانِ: أَخاً مُسْتَفَاداً فِي اللهِ، أو عِلْماً مُسْتَطْرَفاً، أو آيَةً مُحْكَمَةً، أو رَحْمَةً مُنْتَظَرَةً، أو كَلِمَةً تَرُدُّهُ عَنْ رَدًى، أو يَسْمَعَ كَلِمَةً تَدُلُّهُ عَلَى هُدًى، أو يَتْرُكَ ذَنْباً خَشْيَةً أو حَيَاءً**»[1].

المشي إلى المساجد

١٤- إن من موجبات إعراض البعض عن الذهاب إلى المسجد هو البعد المكاني، فإذا لم تكن له دابة توصله إليه، فإنه يتوانى عن الذهاب إلى المسجد، ويصلي فريضته في البيت حتى في الجُمع والأعياد، والحال أنه لو اطلع على التراث الروائي المتعلق بالمساجد لانتابه العجب، حيث إنها بيوت الله تعالى في أرضه، وله الحق في أن يميز ويزين مسجده بما يشاء، ولكن بزينة يظهر أثرها في العالم الآخر، ومما يبين هذا المعنى ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَنْ مَشَى إلى المَسْجِدِ، لَمْ يَضَعْ رِجْلًا عَلَى رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ، إِلَّا سَبَّحَتْ لَهُ الْأَرْضُ إلى الْأَرَضِينَ السَّابِعَةِ**»[2].

كمفحص القطاة

١٥- قد يتحسر العبد الذي لم يؤت سعة من المال على عدم توفيقه لبناء مسجد يُذكر فيه اسم الله تعالى في الدنيا، ويوجب له بناء بيت في الجنة في الآخرة، ولكن لا ينبغي اليأس في ذلك، فليس المطلوب أن يبنى مسجدا تام العمارة مكتملة الأركان، بل يكفي أن يحقق المسمى ولو كان بسيطا، فأعظم مسجد في الإسلام وهو مسجد النبي صلى الله عليه وآله لم يكن له سقف يقي الحر والبرد.

---

١) الأمالي (للصدوق)، ص٣٩٠.

٢) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٠٠.

ومن طريف ما ذكر في هذا المجال هو ما روي عن الباقر عليه السلام أنه قال: «مَنْ بَنَى مَسْجِداً كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَ مَرَّ بِي وَأَنَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ أَضَعُ الْأَحْجَارَ، فَقُلْتُ: هَذِهِ مِنْ ذَاكَ، قَالَ: نَعَمْ»[1]، أي أن مجرد التحجير في طريق الحج، مما يوجب تحقيق مصداق المسجدية، وقد أقره الإمام عليه السلام على ذلك.

أدب الدخول والخروج

١٦- من المناسب للعبد أن يتقيد بكل الآداب المأثورة في كل تقلباته، وهي ليست قليلة حيث يندر وجود حركة من العبد، لا تقارنها دعوة مختصرة أو مفصلة، سواء: في التخلي، والوضوء، والغسل، والأكل والشرب، والنوم، وركوب الدابة، ولبس الثوب وغيرها الكثير، وأقل الأذكار المقارنة هي البسملة، ومن مصاديق الذكر المستوعب لحركات العبد، هو ما يذكره عند دخول المسجد، كما هو الأمر كذلك عند الدخول إلى المشاهد الشريفة.

وعليه فعلى العبد المراقب لنفسه، أن يتأسى بما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله عند دخول المسجد، فقد كان إذا دَخَلَ المَسجِدَ يَقولُ: «**بِسمِ اللهِ وَالسَّلامُ عَلى رَسولِ اللهِ، اللهُمَّ اغفِر لي ذُنوبي وَافتَح لي أبوابَ رَحمَتِكَ**»، وإذا خَرَجَ قالَ: «**بِسمِ اللهِ، وَالسَّلامُ عَلى رَسولِ اللهِ، اللهُمَّ اغفِر لي ذُنوبي وَافتَح لي أبوابَ فَضلِكَ**».

خدمة المسجد

١٧- يكفي في إثبات بركة خدمة المسجد: بناء، وإعمارا، وصيانة، وخدمة فيها، ما وقع لأم مريم عليها السلام عندما طلبت من الله تعالى أن يجعل

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٠٤.

حملها في خدمة بيت المقدس، حيث قالت: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١] فكانت الجائزة الإلهية متمثلة بالقبول، والإنبات الحسن لابنتها مريم عليها السلام وحفيدها عيسى عليه السلام إلى الأبد مقابل هذه النية المباركة.

فما المانع أن تشمل مثل هذه البركة، كل من نوى أن يوفقه الله تعالى لخدمة بيت من بيوته، وهو صادق في طلبه؟!.

الزينة عند كل مسجد

١٨- إن التزيّن الظاهري في الملبس، والتطيب عند دخول المسجد لمن موجبات توقيره، وقد أمرنا الله تعالى بذلك من خلال قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٢]، حيث جرت العادة أن يتزين الإنسان لكل من كان له وزن في نفسه، فكيف بمن يريد مواجهة ملك الملوك؟!.. بل قد أمرنا بعدم استعمال ما ينفّر الآخرين لما فيه من عدم التوقير، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **«مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فإن الْمَلَائِكَةَ تَتَأذى مِمَّا يَتَأذى مِنْهُ بَنُو آدم»**[٣].

ولكن لا بد من مراعاة الشرك الخفي، لئلا يدخل الشيطان حتى في مثل آداب التزين، والذي قد يراه المصلي بعيدا عن الرياء، وإلى ذلك يشير الشهيد الثاني[٤] قدس سره بقوله:

«لا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره، وسعد بتوفيق الله تعالى وهدايته، وإلا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة، حتى

---

١) آل عمران/ ٣٥.

٢) الاعراف/ ٣١.

٣) صحيح مسلم، ج١، ص٤٣٥.

٤) أسرار الصلاة (للشهيد الثاني)، ١٧٤.

يحملهم على المهالك في كل حركة من الحركات، حتى في: كحل العين، وقص الشارب، وطيب يوم الجمعة، ولبس الثياب الفاخرة.. فإن هذه سنن في أوقات مخصوصة، لكن في النفس فيها حظ خفى، لارتباط نظر الخلق بها، فيدخل الشيطان فيها عليه من المداخل، إن لم يتيقظ».

المسجد والتواصل الاجتماعي

١٩ـ إن الله تعالى حريص على كرامة المؤمن، إلى درجة جعله أشرف من الكعبة، حيث إن المؤمن موجود حي منتسب إلى الله تعالى بخلاف الكعبة الصامتة، ومن هذا المنطلق فإنه لم يأذن للمؤمن أن يذلّ نفسه، بحيث امتدح الذي لم يظهر فقره إلى درجة، يحسبه الجاهل غنيا من التعفف.

وفي هذا السياق نقول بأنه إن كان ولا بد من مكان يذهب إليه المؤمن المحتاج، فالمسجد من أولى الأماكن بذلك لأنه بيت الله تعالى، وإن كان لا بد من شخص يذهب إليه المؤمن فأهل الجماعة فيه هم من أولى الناس أيضا.

وهذا هو الذي وقع في زمان النبيﷺ حيث جاء السائل إلى المسجد، وكان المتصدق عليه أمير المؤمنينعليه السلام بخاتمه حين صلاته راكعا، فنزلت في ذلك آية تتلى إلى أبد الآبدين.



الآداب الباطنية
لصلاة الجماعة

عمارة المساجد بالجماعة

١ـ إن من بركات صلاة الجماعة هو توقير المساجد؛ لأن الجماعة تقام عادة في المسجد، والله تعالى يحب أن يُرى بيته عامرا.. ولهذا لو رأى الحاكم وهْنا في الحج ـ لقلة الحجاج مثلا ـ قام بما يوجب إرجاع هيبة الشعيرة، وذلك بإرسال من يؤم البيت لئلا يكون البيت خاليا من الطائفين.

أضف إلى أن الله تعالى يعامل الجمع بصلاة أقواهم، خلافا للإمام الذي يراعي أضعفهم ـ **حيث أوصى النبي**صلى الله عليه وآله **بذلك حينما وجه عليا**عليه السلام **إلي اليمن** ـ فيثيب بلطفه وكرمه جميع الوفد الواقف بين يديه، بمقياس أقرب صلواتهم إلى القبول.

تمرين القيادة

٢ـ إن في تشريع الجماعة إشعارا على لزوم انتخاب من يؤم الجمع في كل شؤون الحياة، حتى أنه يرجح أن يكون أحدهم أميرا على رفقة السفر، لئلا يقع النزاع فيما بينهم، فقد ورد عن النبيصلى الله عليه وآله: «**إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ، فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُم**»[١]، ولكن الكلام في مواصفات من

---

١) سنن أبي داود، ج٣، ص٣٦.

سيتقدم القوم في الجماعة، ويكون الناطق عنهم بين يدي الله تعالى، و من أهم هذه المواصفات هي العدالة، سواء بمعنى التحرز الخارجي عما ينافي العدالة، أو وجدان الملكة الباطنية الموجبة للتحرز الخارجي، وفي هذا الشرط في الجماعة، إشارة إلى موقع العادل في حركة الحياة.

فإذا كانت الصلاة المحدودة بحدودها، بحاجة إلى إمام عادل فيما لو أقيمت جماعة، فكيف بتصريف شؤون الأمة؟!.. وهذه من أساسيات فكرة لزوم وجود الإمام المعصوم عليه السلام على رأس هرم قيادة الأمة.

مقياس التفاضل

٣ـ على المؤمنين أن يراعوا الإنصاف والتقوى في تقييمهم لأنفسهم، فلا يقدموا لصلاة الجماعة إلا من ثبتت عدالته، بل لو قدموا أحدا وفي القوم من هو أعلم من الإمام، شملهم التهديد النبوي القائل: «مَنْ صَلَّى بِقَوْمٍ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، لَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ إلى سَفَالٍ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١].

وعليه فإن كل المقاييس الدنيوية في التقدم من المال والجاه، تتلاشى عندما يُراد تعيين إمام للجماعة ولو لصلاة واحدة، بل إن هذا المقياس يتعدى إلى المأمومين أنفسهم؛ **إذ قد ورد استحباب أن يكون في الصف الأول من هو من أهل الفضل**[٢]، وذلك في العلم والكمال والعقل والورع والتقوى.

إتقان العربية

٤ـ إن اشتراط صحة القراءة في إمام الجماعة، يفهم منه ـ ضمنا ـ لزوم أن يكون الإمام مهتما بأمر القرآن الكريم، فمن كان ملحنا في تلاوته، فإنه لم يتقن ظاهر القرآن تلاوة، فضلا عن باطنه تدبرا.. أضف إلى أن

---

١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٧٨.

٢) قال الباقر عليه السلام: «ليكن الذين يلون الامام ، اولو الاحلام والنهى»، الكافي، ج٣، ص٣٧٢.

اشتراط صحة التلاوة للمنفرد، فيه إشعار أيضا بضرورة الأنس بالتلاوة الصحيحة، ولو كان المصلي غير عربي.

وعندئذ فإن من أتقن تلاوة السور حال الصلاة، فإنه يرجى أن تسري قدرته على ضبط التلاوة في مجمل القرآن الكريم وهو المطلوب للشارع؛ إذ لا حرج في هذا المقدار من التعلم، ومن المعلوم أن من أحب أحدا ولم يفهم لغته، سارع إلى تعلمه لغته لتتم المؤانسة بلذة المحادثة.. فكيف إذا كان الحديث قرآنا من لدن حكيم عليم؟!.

إلغاء الحواجز

٥- من شرائط الجماعة أن لا يكون هناك حائل بين الإمام والمأموم، ولا بين المأمومين فيما بينهم أيضا، ومن ذلك يمكن استيحاء هذا السر الباطني، والمتمثل في عدم وجود الحوائل بين المؤمنين - وخاصة مع إمامهم - سواء كان الحائل معنويا كاعتبارات الجاه والرئاسة، أو ماديا كالحائل بحسب الحكم الفقهي، وهذا الذي كان عليه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله عندما يجلس في المسجد، فلا يتميز عن باقي أصحابه، حيث لا يوطّن له الأماكن أي لا يجعل لنفسه مكاناً.

التساهل في الجماعة

٦- إن البعض يتساهل في حضور الجماعة التي قد تكون على باب بيته أو في محل عمله، بدعوى: أن الجماعة مستحبة، أو أن صلاة الفرادى أقرب للخشوع، أو أنه أبعد من الرياء، أو التشكيك غير العرفي في قراءة الإمام أو عدالته، والحال أن أهمية صلاة الجماعة وما ورد فيها من الحث يفوق ذلك كله، وهي أولى بالمراعاة من بعض التوهمات المذكورة، والشاهد على ذلك ما ذكره صاحب العروة الوثقى في بحث الجماعة:

«وقد ورد في فضلها، وذم تاركها، من ضروب التأكيدات، ما كاد يلحقها بالواجبات»[1].

انتظام الصفوف

٧ـ إن مما ندب إليه الشارع في صلاة الجماعة، هو إقامة الصفوف واعتدالها، وسد الفرج الواقعة فيها والمحاذاة بين المناكب، وفي هذا كله إظهار للمجتمع الإيماني بمظهر التآلف، ورص الصفوف، وعدم وجود الفجوات الطبقية فيما بينهم.

ومن المعلوم أن تلاصق المناكب من موجبات سريان حالة المودة والتآخي فيما بينهم، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«أَيُّمَا رَجُلٍ غَضِبَ عَلى ذِي رَحِمٍ، فَلْيَدْنُ مِنْهُ، فَلْيَمَسَّهُ، فإن الرَّحِمَ إذا مُسَّتْ سَكَنَت»**[2]، فالرواية ـ وإن كانت في خصوص الرحم ـ إلا أنه قد يفهم منها أن القرب الجسدي يسهل القرب الروحي أيضا.

تواضع الإمام

٨ـ يشترط في موقف الإمام أن لا يكون أعلى من رتبة المأموم وإن جاز العكس، وهذا يذكرنا بقول أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: **«إِنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ، أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُه»**[3].

أضف إلى أن الإمام يتقيد بأضعف صلاة المأمومين، أفلا يدعوه ذلك أن يتفقد حال ضعافهم بعد صلاته، شفقة بهم ومواساة لهم؟!.

---

١) العروة الوثقى، ج١، ٧٦٣.

٢) الكافي، ج٣، ص٧٣٩.

٣) نهج البلاغة (صبحي صالح)، ص٣٢٥.

ومما يؤكد لزوم حالة المراعاة وحب الخير للغير في المجتمع الإيماني، استحباب أن يطيل الإمام في ركوعه، ليتسنى للمأموم أن يلتحق بالجماعة، ليدرك بذلك ثواب تلك الركعة.

حق الإمام

٩ـ إن الإسلام يربي المجتمع الإيماني على أساس شكر المنعم الخالقي أو المخلوقي، فقرر أن من لم يشكر الخالق لم يشكر المخلوق، ومن هذا الباب يذكر الإمام السجاد عليه السلام حق إمام الجماعة قائلا: «وأَمَّا حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلَاتِكَ، فإن تَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَلَّدَ السِّفَارَةَ فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللهِ وَالْوِفَادَةَ إلى رَبِّكَ، وَتَكَلَّمَ عَنْكَ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ، وَدَعَا لَكَ وَلَمْ تَدْعُ لَهُ، وَطَلَبَ فِيكَ وَلَمْ تَطْلُبْ فِيهِ، وَكَفَاكَ هَمَّ الْمُقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَالْمَسْأَلَةِ لَهُ فِيكَ، وَلَمْ تَكْفِهِ ذَلِكَ، فإن كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَقْصِيرٌ، كَانَ بِهِ دُونَكَ، وَإِنْ كَانَ آثِماً لَمْ تَكُنْ شَرِيكَهُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيْهِ فَضْلٌ، فَوَقَى نَفْسَكَ بِنَفْسِهِ، وَوَقَى صَلَاتَكَ بِصَلَاتِهِ، فَتَشْكُرُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[١].

وهذا بدوره من موجبات تكريم الإمام العادل، فيلزم على المأمومين تفقد حاله، وقضاء حوائجه، وإعطاؤه حقه من الاحترام والتوقير، بعدما ثبت عظيم حقه بما ذكره الإمام عليه السلام.

عبادة غير البالغين

١٠ـ إن الإسلام يريد منا تشجيع غير البالغين على ارتياد المساجد والصلاة جماعة فيه، ليتمرّنوا بذلك على أجواء الطاعة الجماعية، فإن ذلك أدعى لالتزامهم بالأحكام والتزام المساجد بعد البلوغ.

والشاهد ـ على هذا المعنى ـ ما ورد في الفتوى من عدم إضرار وجود

١) بحار الأنوار، ج٧١، ص١٦.

الصبي المميز في صلاة الجماعة، أضف إلى فتوى بعضهم بمشروعية عبادات الصبي، إن كانت صحيحة كالبالغين.

النهي عن التعرب

١١ـ إن الابتعاد عن مراكز العلم والتعلم، لمن موجبات ضعف الإيمان والحرمان من التفقه في الدين، وذلك كالعيش في البوادي التي لا يترقى فيها العبد في جانبيه العلمي والعملي، فقد ذُكر في ضمن شرائط الإمام أن لا يكون إعرابيا أي من سكان البوادي.. وفي هذا السياق نفسه ـ أعني ذم موارد التعرض لنقص الدين ـ تأتي حرمة التعرب بعد الهجرة، أي الذهاب إلى المواطن التي يخشى فيها على إيمان المسلم.

التبادل الثقافي

١٢ـ إن من موجبات نمو المجتمع الإيماني في شتى الأبعاد، هو تحقق التلاقح الفكري، والتبادل الثقافي والتمازج العاطفي، وذلك لا يكون إلا من خلال الجمع المدني الذي يحققه الإسلام، وذلك ضمن العبادات الجماعية، ومنها الحج وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين.

فلطالما سرى المعروف فيما بينهم، واهتدى الضالون منهم، وسُد نقص المعوزين فيهم، وغير ذلك من البركات التي لا تتحقق في عبادة الخلوات، ومجمل القول: إن الله تعالى يحب الهيئة الاجتماعية في عبادته، وذلك في السنة مرة متمثلة بالحج، وفي الأسبوع مرة متمثلة بصلاة الجمعة، وفي اليوم مرات متمثلة بصلاة الجماعة.

التنفير من الزنا

١٣ـ إن الإسلام حريص على سلامة البنية الأخلاقية في المجتمع

الإيماني، فجاءت تشريعات منع التأثر السلبي من جهة النساء في هذا السياق: فلا يخضعن بالقول، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وإذا سئلن عن متاع كان ذلك من وراء حجاب، إلى أن يصل الأمر أوجهه في تشديد عقوبة الزاني.

ومن التشريعات التي يُشم منها رائحة التنفير لهذه الموبقة، هو إن ابن الزاني لا يؤم الجماعة ـ وإن كان بريئا من ذنب والده ـ فاشتراط طهارة المولد، واقع في هذا السياق التحذيري.

مزايا ملكة العدالة

١٤ـ إن الفاقد لملكة العدالة، عليه أن يسعى حثيثا للوصول إلى هذه الرتبة ليتمتع بمزاياها، فمنها:

ـ إنه يمكنه إقامة الجماعة مع أهله وعياله في منزله، ولا ريب أن إقامة هذه الجماعة من موجبات تحصين الأسرة المؤمنة.

ـ سد الفراغ عند اجتماع المصلين، فقد يجتمع جمع من المؤمنين في بيت من بيوت الله تعالى تضطر للصلاة فرادى لعدم وجود إمام عادل يُصلى خلفه، فوجود مثل هذا العادل رافع لهذه الحسرة.

الدرجات التي سيحظى بها في عرصات القيامة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ إذا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إليه، وَ رَجُلَانِ كَانَا فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَ جَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ**»[1].

---

١) وسائل الشيعة، ج٥، ص١٩٩.

حسرة إمام الجماعة

١٥- إن البعض يرى نفسه مُقبلا في صلاته إماما، أكثر مما لو كان مأموما، ولعل السر - في غير موارد الرياء - هو ما يعرفه أو يراه من حالات إقبال المأمومين خلفه، فيستحي من الله تعالى أن يؤم قوما وفيهم من هو أكثر إقبالا وخشوعا منه، إضافة إلى أن ذلك قد يكون من موجبات الحسرة والخجل يوم القيامة، عندما يعلم أنه كان في صفوف المأمومين من هو أكثر خشوعا منه، وأنه قام في محراب لا يليق به، كما وقع للقوم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حيث أقصوا إمامهم!.

سلبيات إمام الجماعة

١٦- إن من المناسب لمن يروم إمامة الصلاة، أن لا يلحظ وجود مأموم خلفه، فإن هذا قد يجره إلى الاستئناس بهم فيفرح بكثرتهم، وقد تتفاوت صلاته إقبالا بحسب عدد المأمومين خلفه، وقد يتكلف بعض الحركات المشعرة بالخشوع خلافا للصلاة لوحده، وقد يقدم مسجدا على آخر لبعض المزايا الدنيوية، وقد يجعل اجتماع الناس خلفه في الصلاة، مقدمة لكسب شيء من الوجاهة في سبيل عرض من متاع الدنيا، بل قد يجعل مجرد الصلاة جماعة حرفة يُرضى بها ضميره، فيعُد ذلك خدمة معتدة للدين، والحال بأنه لا فرق بينه وبين المأمومين في أصل إقامتهما معا للصلاة، وأخيرا فليحذر إمام الجماعة أن يرى المقربون منه أن هيئته قولا وفعلا في المسجد، يغاير كثيرا ما هو عليه في المنزل، وكأنه جعل الله تعالى أهون الناظرين إليه!.

احترام إمام الجماعة

١٧- إن إمام الجماعة يجمع بين مزيتين، فمنها: العدالة الثابتة له

خارج الصلاة أيضا، ومنها: أنه مقدم الوفد حين الصلاة جماعة، ومن هنا فإن له حقا ثابتا على المؤمنين، وهي التي ذكرها الإمام السجاد عليه السلام في رسالة الحقوق.

ولعل من هذا الباب أيضا، نرى بعض التشريعات المرتبطة بإمام الجماعة، والتي فيها إشعار بموقعه الموجب لمراعاة الأدب تجاهه، فمنها عدم التقدم عليه في الموقف، وكذلك عدم سبقه في الأفعال، وكذلك الإنصات له حين القراءة الواجبة، وعدم إسماع المأموم صوته كلا أو بعضا.

الجماعة والسياسة

١٨- إن الخطيب في صلاة الجمعة يستغل هذه الفريضة المقدسة، لتوعية الناس فيما يهم أمر المسلمين جميعا، إضافة إلى الوصية بالتقوى والخاصة بحياتهم الفردية، ومن هنا صار هذا الاجتماع الإلهي مقدمة أيضا لتحصين الأمة من أخطار الكفار والمنافقين.

ومن اللافت هنا أنه يستحب في الركعة الأولى من ظهر يوم الجمعة أن يجهر المصلي بسورة الجمعة، وفيها ذكر لأشد الناس عداوة وهم اليهود، وبسورة المنافقون في الركعة الثانية وهو الصنف الذي يخشى خطره على الأمة أيضا، وهم الذين حرفوا المسار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

وقد بيّن الإمام الرضا عليه السلام هذه الخصوصية المهمة لخطبة الإمام يوم الجمعة، من خلال ما روي عنه حيث قال: «**وَتَوقِيفُهُم عَلَى مَا أَرادَ مِن مَصلَحَةِ دِينِهِم وَدُنياهُم، وَيُخبِرُهُم بِما وَرَدَ عَلَيهِم مِن الآفاقِ، مِن الأَهوَالِ التِي لَهُمْ فِيهَا المَضَرَّةُ وَالمَنفَعَةُ**»[1].

١) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١١١.

درجات الفضل

١٩- إن وضع درجات المفاضلة بين أئمة الجماعة فيما لو تعددوا لإمامة القوم، يدل على أن الإسلام دين الواقعية في تقييم المنتسبين إلى مدرسته، فلا تفاضل بين العباد إلا بما يوجب الامتياز حقيقة لا مجازا، وواقعا لا اعتبارا، وقد جعلت الرواية أول ملاك التقدم مع تساوى الأئمة في باقي الجهات، هو الأنس بالقرآن الكريم، ثم المجاهدة في سبيل الله تعالى بالهجرة، ثم السن، ثم العمل بالسنّة، ثم التفقه في الدين.

التعويد على النظم

٢٠ ـ إن شرط الموالاة والترتيب مما يسري في جميع أجزاء الصلاة، ويضاف إلى ذلك الترتيب والنظم الظاهري في صفوف الجماعة، حيث تُستحب: إقامة الصفوف واعتدالها، وسد الفرج الواقعة فيها، والمحاذاة بين المناكب، و تقارب الصفوف بعضها من بعض.

ومن هنا نقول: إذا كان الشارع المقدس يؤكد على هذا النظم الظاهري في صفوف الجماعة، فكيف باهتمامه بالنظم في جميع مرافق الحياة؟!.. ومنها عند مواجهة الأعداء حيث يقول تعالى: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[١].

تقدم من يكرهه القوم

٢١- إن الإسلام دين المودة والمؤاخاة، وإن من بركات تشريع الجماعة هي تثبيت هذه الأخوة الإيمانية، وهذا ينافي أن يتقدم الإمام في جماعة لقوم يكرهونه ـ كما لو فُرض عليهم فرضا ـ وهو ما قد يتفق في بعض الحالات التي يتحكم فيها من ليس بأهل في بيوت الله تعالى، فيُقدّم

---

١) الصف/ ٤.

للجماعة من ليس بواجد لشرائط الجماعة، وقد ورد الذم لمثل هذا الإمام حيث لا تُقبل صلاته، وذلك فيما روي عن النبيﷺ حيث قال: «وَإِمامُ قَومٍ يُصَلِّي بِهِم وَهُم لَهُ كَارِهُونَ»[١].

ومن الممكن أن تستفيد مما ذكر قاعدة عامة وهي: لزوم أن يكون المتصدي لأمور المسلمين ممن له مودة ومحبة في قلوب المؤمنين، فكما أن الحياة الأسرية لا تتم إلا بذلك، فإن نجاح التآلف الاجتماعي متقوم بذلك أيضا، أي إن قوامها التوادد والتآلف والتراحم فيما بينهم، كما يصفه القرآن الكريم.

جماعة الأمم السابقة

٢٢- إن البعض يستفيد من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، إن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يجعلوا بيوتهم متقابلة ومتقاربة - وهو المستفاد من كلمة القبلة - من أجل تسهيل اجتماعهم، وبالتالي تمكينهم من الصلاة جماعة؛ لأنه أمرهم بالصلاة بعد تقابل البيوت.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قِدم تشريع أصل الصلاة، وقِدم إقامتها جماعة أيضا، كما احتمل بعضهم أن يكون المراد بالقبلة هنا هي التوجه إلى نقطة بعينها، وهي التي كانت قبلة لهم في زمانهم، فعاد الأمر أيضا إلى التأكيد على الصلاة، ولزوم التوجه إلى جهة ترمز إلى التوحيد الحق.

---

١) المعجم الكبير (للطبراني)، ج١١، ص٤٤٩.

٢) يونس/ ٨٧.

جماعة المسلمين

٢٣- إن أهل البيت عليهم السلام رغم رفضهم الشديد لما جرى من أحداث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وهو ما نفهمه جليا من خلال الخطبة الشقشقية والفدكية، إلا أنهم كانوا حريصين في الوقت نفسه لعدم تعريض الأمة للخلاف العملي رغم وجود الاختلاف النظري، وهو ما مارسوه عمليا خلال فترة حياتهم المباركة. ومن هنا تعددت الروايات الداعية إلى التعامل مع المسلمين بروح الأخوة واللطف: كعيادة مرضاهم، وحضور جنائزهم، ومنها ما ورد في الحث على حضور جماعة المسلمين، فمنها ما عن الصادق عليه السلام: **«مَن صَلَّى مَعَهُم فِي الصَفِّ الأَوَّلِ، كَانَ كَمَن صَلّى خَلفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي الصَفِّ الأَوَّلِ»**[1].

صلاة الجمعة

٢٤- إن صلاة الجمعة هي من الصلوات التي غاب فضلها عن بال الكثيرين، ويكفي في فضلها أن الله تعالى عبّر عنها بذكر الله تعالى، عند الأمر بالسعي إليها في سورة الجمعة، ومع قطع النظر عن الجانب الفقهي للأمر - من جهة الوجوب وعدمه - فإن من مزايا هذه الصلاة أنها جامعة بين: تحقيق الجانب الفردي في علاقة الإنسان بالله تعالى والمتمثل بأصل الصلاة، وتحقيق الجانب الاجتماعي والمتمثل بخطبة الجمعة، التي يتناول الخطيب فيها أمور المسلمين.

وبنظرة سريعة نستكشف أهمية هذه الصلاة وذلك بالقول: إن الواجب أفضل من المستحب، والصلاة إنما هي على رأس الواجبات، والصلوات اليومية أفضل من غيرها، وصلاة الظهر هي أفضلها حيث إنها هي الصلاة الوسطى - على ما هو المحقق - وصلاة الجمعة خير من

---

١) الكافي، ج٦، ص٣٤٠.

الظهر، فصارت صلاة الجمعة عصارة العبادة الفضلى!.

يضاف إلى ذلك كله ما روي عن الصادق عليه السلام عندما سئل عن الساعة التي تُرجى في يوم الجمعة التي لا يدعو فيها مؤمنٌ إلا أُستجيب فقال عليه السلام : **نَعَم إِذَا خَرَجَ الإِمَامُ، قُلتُ : إِنَّ الْإِمَامَ رُبَّمَا يُعَجِّلُ وَ يُؤَخِّرُ، قَالَ: إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ .. وَ قَالَ: السَّاعَةُ الَّتِي يُسْتَجَابُ فِيهَا الدُّعَاءُ: مَا بَيْنَ فَرَاغِ الْإِمَامِ مِنَ الْخُطْبَةِ إِلَى أَنْ يَسْتَوِيَ النَّاسُ فِي الصُّفُوفِ، وَ سَاعَةٌ أُخْرَى مِنْ آخِرِ النَّهَارِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ.**[١]

أنواع الشرك الخفي

٢٥- إن الشرك الخفي يسري في كل العبادات، حيث إنه أخفى من دبيب النمل على الصخرة الصماء في الليلة المظلمة، ومنه ما يتعلق بإمام الجماعة، حيث الدواعي للشرك فيه أعظم، حيث إن الإمام العادل أقرب من غيره إلى الله تعالى ومن هنا صار إماما للناس.. وقد ذكر الشهيد الثاني[٢] قدس سره صورا خفية للشرك الذي يعرض على إمام الجماعة فننقلها ملخصة:

«**إحداها: أن يعقد الصلاة مثلا على الإخلاص، فيدخل عليه داخل، فيقول له الشيطان زد صلاتك حسنا، حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح، وحينئذ تخشع جوارحه، وهذا هو الرياء الطارئ الظاهر الذى لا يخفى على المبتدئين من المريدين.**

وثانيتها: أن يكون قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره، فيستمر في صلوته كما كان، فيأتيه في معرض الخير فيقول: أنت متبوع، وما تفعله يتأسى بك غيرك، فيكون لك ثواب أعمالهم، وهذه المكيدة أعظم من الأولى وأدق،

١) الكافي، ج٦، ص٤٤٥.

٢) أسرار الصلاة (للشهيد الثاني)، ١٧١ـ١٧٥.

وهو أيضا عين الرياء، فإنه إذا كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا، فلم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة، ولا يمكن أن يكون نفس غيره أعز عليه من نفسه!.

وثالثها: أن ينتبه العبد لذلك، ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء، فيُقبل على نفسه في الخلوة، وهذا أيضا من الرياء الغامض؛ لأنه حسّن صلوته في الخلوة ليحسن في الملاء، بل الإخلاص أن يكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة، وإلى هذا المعنى الإشارة في الحديث النبوي: «لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْعَبْدِ، حَتَّى يَكُونَ النَّاسُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الأَبَاعِرِ».

ورابعتها: أن ينظر إليه الناس، فيقول له الشيطان تفكّر في عظمة الله وجلاله، ومن أنت واقف بين يديه، واستح أن ينظر الله إلى قلبك وأنت غافل عنه، فيُحضر بذلك قلبَه، ويظن أن ذلك عين الإخلاص، وهو عين المكر والخداع، فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلال الله وعظمته، لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة، وعلامة الأمن من هذه الآفة: أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملاء، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر، كما لا يكون حضور البهيمة سببا».

